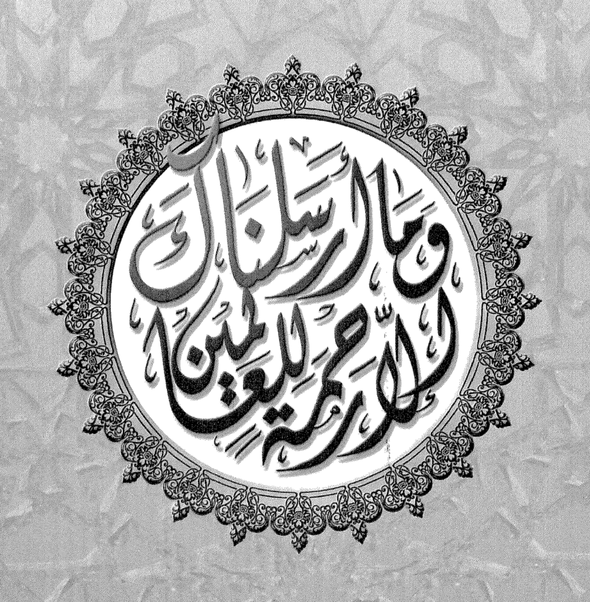

5
التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
السنة الثانية - العدد الخامس - الربيع (مارس) 1373 من وفاة الرسول ﷺ الموافق 2005 مسيحي
جوزيف إلول / الدومينيكان:
ثقافة الحوار.. المتطلبات والسبل
كريمة أم عبدالله / ألمانيا:
أوروبا وهاجس القلق من الإسلام
محمد أحمد شفيع / النيجر:
الإسلام والغزو الثقافي في أفريقيا
محمود أيوب / أمريكا:
الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط
رئيس جمهورية سيراليون:
ترجمة الإيمان إلى عمل إيجابي
المالديف..
إكليل الجزر
تسونامي.. الموت الأزرق


وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين



للتواصل حكاية!!

علي محمد الويفاتي*

منذ سنوات، كنت أسمع رغبة في إصدار مجلة عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، كانت هذه الرغبة ترتفع فترة ثم تخبو، حتى تظن أن العوامل المحبطة قد طغت، وتغلبت، ثم فجأة ينهض الأمل، فيدور الحديث من جديد عن هذه المجلة، حتى تكاد تلمس صفحاتها الوهمية.

كانت شروط إصدار مجلة على نية الاستمرار، والبقاء، تبدو بعيدة، وقد تكون غير محققة، وأقصد بالشروط، تلك التي تتعلق بالعامل البشري، وبالتحديد البشر الذين يمسكون القلم ويكتبون، خاصة وأن مجلة تصدر عن جميعة الدعوة الإسلامية العالمية، لا بدّ أن تكون مادتها تدور حول القضايا الإسلامية.

والمشكلة هنا تكمن في أننا لم نعتد على مثل هذه الكتابة التي تتعامل مع الواقع، وتلمس الهمّ السائد في عالمنا الإسلامي. وأغلب الذي نراه ينطلق من الاتكاء على التاريخ، بل الهروب إلى المادة الجاهزة التي تمّ اختبار مدى خطورتها، واطمأن الكاتب على سلامة مستقبلها، ومثل هذه الكتابات لا تحتاج إلى إصدار مجلة، ولا تحتاج إلى جهود فكرية، ولا جهود مادية..

.. إذن كانت هناك رغبة في إصدار مجلة، ولكن أن تكون هذه المجلة قادرة على الاستمرار، يحتاج الأمر إما للتروي، والتمهّل، أو الاندفاع والمغامرة، والحقيقة أن بداية صدور هذه المجلة قد شهد قليلاً من التروي وكثيراً من الاندفاع، الذي يتميز بحركة تتداخل فيها مشاعر الإحباط، ومشاعر الحماسة، ودون أن تكون هذه المشاعر أو تلك عاملاً للتوقف أو التعثر.

وإذا كانت إرادة إصدار مجلة قد استمدت صلابتها من الحلم الإنساني النبيل، فإن اسم هذه المجلة (التواصل) فيه كم هائل من (الأمل) وفيه الشيء الكثير من (التفاؤل)، فالاسم لا بدّ أن يكون له مدلوله المنعكس من الواقع وإليه، وهذه هي المشكلة، فالتاريخ يزخر بالمحبطات، بل إن الأمر يتخطى هنا مسألة سلامة النيّة، أو طهارة اليد، فهناك دم... فأي (تواصل) هذا، يمكن أن ينعكس على مدلول المجلة؟

هذا من الجانب التاريخي، أما الواقع فيمكنك أن تتحدث، أو تصمت!!

إن صدور مجلة (التواصل) يعني بالنسبة للمسلمين استعادة المعنى الكبير الذي حملته الحضارة الإسلامية للعالم، لقد تعاملت الثقافة الإسلامية مع كل الأجناس، والملل، والعقائد، واللغات، والتقاليد، والأعراف، والألوان.. (أعطت، وأخذت)، (لوّنت، وتلوّنت)، في حركة فريدة دون خوف، ودون حساسية.. فانسابت البشرية مع الإسلام.. الكل (صانع ومصنوع)، (الإسلام للجميع، والجميع للإسلام).. وهذا هو التواصل بمعناه الإنساني الكبير.

إن الإسلام يملك القدرة على التواصل، لأنه ـ في البداية ـ خاتم الرسالات، وهو ما يعني الإيمان الكامل بالأنبياء والرسل دون تفريق أو تفضيل، وهذه القدرة تكسب المسلمين آفاقاً واسعة على رؤية الأشياء بشكل واضح ومتكامل.. وهذه الأرضية تنبت دائماً: التسامح... والانفتاح.. وعدم الخوف من الآخر.. بل إن الآخر مفهوم لا يصنعه المسلمون، ذلك أن (الآخر) هو الذي يصرّ على أن يكون كذلك.. لأنه ببساطة لا يملك كل الحقيقة.. وان ما يملكه هو فقط جزء من التاريخ..

إن الحوار، ثم التعارف سبيلنا من أجل الوصول إلى فهم أوسع.. وتحقيق ما نصبو إليه من وئام على هذه الأرض.

إن قيمة (التواصل) تنطلق من هذا الإحساس بجدوى الكلمة في صنع المستقبل، وتشكيل الحاضر... ومن هنا كان الشوق لأن تكون مجلة (التواصل) ساحة للحوار والتعارف.

كانت الحركة متواصلة..

والعمل مجهد على مستوى صرخة الوليد الأولى.

الجميع ينتظر.. التجارب تتعدد.. الملاحظات تتوالى..

يسود الصمت المجلل بالحيرة، مرات،

ثم يعود العمل من جديد.

والآن ها نحن أمام العدد الخامس!!

أليست مفاجأة أن نصل إلى العدد الخامس، وقد كنا قبل قليل نتحدث عما قبل العدد الأول!!

لا أريد أن أشير إلى أسماء، كان لها الفضل الكبير في تحقيق هذا الحلم، لأنني موقن أنني لو فعلت فإن قلم أمين هيئة التحرير سيسرع إلى شطب ما أكتبه...

السنة الأولى ها قد مضت..

وتلك هي الحكاية.. أو جزء منها على الأقل..

---

* كاتب وصحفي ـ ليبيا

في هـذا العـدد



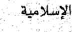
تقارير

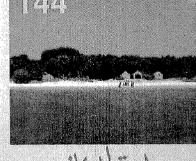
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية

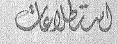


الملف

❖ المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية







❖ المالديف .. إكليل الجزر

التواصل
AT-TAWASUL

تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثانية - العدد الخامس
الربيع (مارس) 1373 من وفاة الرسول ﷺ
الموافق 2005 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني - كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461-5
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس - الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني:
www.at-tawasul.info

محاضرات

حوارات

استطلاعات

الواحة

كتب

منتدى التواصل

ونتواصل

شــروط النـشـر فـي مجـلـة



ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب الذميم بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

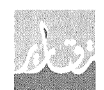
- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيق للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مكانٍ آخرَ.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للنشر على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة.



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
والمنظمات الدولية



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات الدولية

إعداد: **التحرير**

يظل الاهتمام بالتعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية من بين أولويات برامج عمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وهو ما جعلها تحظى بمكانة دولية وإقليمية متميزة، وما جعل المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يقرر رفع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى درجة مستشار باليونيسكو، وذلك تقديرا من المجتمع الدولي لدور الجمعية في خدمة التعاون الدولي والتنمية، وتجدر الإشارة إلى أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تعد المنظمة الدولية الوحيدة التي ترقى إلى هذه الدرجة من بين المنظمات غير الحكومية. ونعرض في ما يلي نماذج من التعاون بين الجمعية والمنظمات الإقليمية والدولية.



التعاون مع المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة.. اليونيسكو:

نشير أولاً إلى أن الجمعية هي من بين المنظمات غير الحكومية التي تتمتع بعضوية اليونسكو، ومن المعلوم أن اختيار أي منظمة لهذا المنصب يأخذ في الاعتبار مساهماتها في نشاطات المنظمة وفعالياتها في ميادين العمل الإنساني والثقافي. والتعاون مع اليونيسكو يمتد لأكثر من ربع قرن. وقد أعطيت في أحدث ترفيع لها درجة مستشار نظراً لسجلها الحافل بالإنجازات في جميع ميادين العمل الإنساني،

وقد ساهم تنفيذ مئات البرامج المشتركة في امتداد عملها وتعزيز مصداقيتها وإشعاعها الدولي وأهّلها للإسهام الفعال في البناء الحضاري من خلال اهتمامها بالقضايا الإنسانية والمشاريع الدولية التي تدفع بالتقدم الحضاري والتطور الاجتماعي وتساهم في الحفاظ على الإرث الثقافي للبشرية وصونه من جميع أنواع التشويه والتدمير، هذا فضلا عن دور الجمعية في إرساء قواعد الحوار الحضاري على أسس تحترم الخصوصيات العقيدية والثقافية، منطلقة في ذلك من عالمية رسالتها المستمدة من القرآن الكريم، وفي تأكيد منها على هذا الدور العالمي الذي التزمت به قامت الجمعية بإبرام عشرات الاتفاقيات

صورة خاصة



إجتماع رؤوساء المراكز الثقافية والجمعيات الإسلامية في أميركا اللاتينية

في مجالات التعاون الثقافي والتربوي والعلمي والإنساني.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) يعود للعام 1985 مسيحي، وهو تاريخ توقيع أول اتفاقية بين الجمعية والمنظمة، والتي عملت الجمعية بموجبها على توفير الإمكانيات المادية للمنظمة من أجل تنفيذ مشروعات تربوية وعلمية وثقافية.

ويعتبر إنجاز المشروع الإقليمي الرئيسي للاستخدام الأمثل لمصادر المياه والمحافظة عليها في المناطق الريفية في دول الساحل الأفريقي أول تعاون بين الجانبين، والهدف من هذا المشروع هو إيجاد أفضل السبل لتطوير وصيانة مصادر المياه لمواجهة الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية للسكان في منطقة الساحل الأفريقي، وهي منطقة شاسعة ومترامية الأطراف، وذلك من خلال إجراء دراسات وأبحاث حول استخدام التقنية الحديثة التي تلائم الوسائل المتوفرة والأوضاع المحلية لتجميع وتوزيع المياه على سكان تلك المنطقة.

كما استهدف المشروع تحقيق أبعاد تتعلق بالعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والمواصلات، وساهم تطوير الدراسات والأبحاث في إطلاع السكان وإرشادهم إلى استعمال مصادر المياه استعمالا مفيدا باستخدام الأساليب التقنية، وقد أجرت منظمة اليونيسكو هذه الدراسات العلمية بتمويل كامل من الجمعية، وثم تسليم نتائجها إلى حكومات الدول المعنية، والتي اعتمدتها كأساس من أسس التنمية. وتأسيسا على تلك النتائج العلمية أقيمت مشروعات



صورة خاصة

اجتماع مشترك بين الجمعية والإيسيسكو حول الصناعات الثقافية لفائدة دول الساحل

رعوية وزراعية ساهمت في استقرار العديد من التجمعات السكانية في دول الساحل الإفريقي، بالإضافة إلى ارتباط الجمعية مع اليونيسكو ببرامج عمل، وفي إطار هذا التعاون المشترك تمّ إنجاز مشروع محو الأمية في أفريقيا الذي استفادت منه أربع دول في غرب القارة.

وشرعت الجمعية واليونسكو منذ سنوات في إنجاز عمل موسوعي يتكون من ستة أجزاء يتناول الثقافة الإسلامية في كل مظاهرها، حيث تتناول الموسوعة الإسلام دينا وفلسفة وحضارة، تحت عنوان (مختلف مظاهر الثقافة الإسلامية). وذلك يهدف إلى إبراز إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، وتوثيق إنجازات العلماء المسلمين في شتى ميادين العلم والمعرفة.

ومما يجدر ذكره أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ساهمت أيضا في تمويل موسوعة إعادة كتابة تاريخ الإنسانية الذي يضطلع المجتمع الدولي بإنجازه من خلال منظمة اليونسكو، ومولت بالكامل الجزء الرابع من هذه الموسوعة وهو الجزء الذي يتناول تاريخ الإسلام.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الجمعية وقعت مع المنظمة الدولية اتفاقية تعاون ثالثة تضمنت بنودها العملَ والتعاونَ في العديد من البرامج والمجالات التربوية والثقافية والعلمية، وقد عكست بالخصوص اهتمام الجمعية بتوفير مياه الشرب بحفر مئات الآبار في عدد من بلدان الساحل الإفريقي، كما نصت الاتفاقية أيضا على التعاون في الميادين الإنشائية والفنية والأكاديمية في أفريقيا، وصيانة وترميم

المعالم الثقافية في آسيا الوسطى والبوسنة والهرسك وألبانيا وعدد من دول الساحل الإفريقي.

وفضلا عن ذلك ترتبط الجمعية مع اليونيسكو في العديد من برامج العمل المشتركة، ومن بينها مشروع تاريخ آسيا الوسطى، وإقامة كرسي حوار الأديان في أسبانيا، ومشروع إعداد شريطين وثائقيين عن الأندلس ومنطقة الساحل الأفريقي باعتبارهما يمثلان أنموذجين للإشعاع الفكري والحضاري، بعيداً عن العنف والمواجهة، ومشروع المعرض الجوال حول إسهامات الحضارة الإسلامية في التقدم العلمي للبشرية.

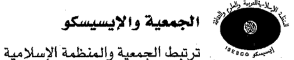
كما أبرمت الجمعية اتفاقية مع المنظمة بشأن مشروع تطوير العلوم على المستوى الجامعي في عدد من الأقطار الأفريقية في منطقة الساحل والصحراء، وتنص هذه الاتفاقية على تطوير تعليم العلوم على المستوى الجامعي في كل من بوركينا فاسو وتشاد والنيجر ومالي، وقد شمل هذا المشروع العمل على تطوير التجارب في العلوم الدقيقة وتطبيق هذه التجارب على 120 مدرسة نموذجية في تلك البلدان.

وقد أهّل هذا التعاون الجمعيةَ للمساهمة في التخطيط لعدد من البرامج الهامة على الصعيد الدولي، وتقديرا من المنظمة لهذه الجهود الإنسانية والتربوية والثقافية والعلمية في العالم، وفي القارة الإفريقية على وجه الخصوص ؛ تم اختيار أمين الجمعية نائبا لرئيس لجنة أولويات أفريقيا، وهي لجنة دولية استشارية شكلها المدير العام للمنظمة لتقدم له المشورة حول البرامج التي تقوم منظمة اليونسكو بتنفيذها في القارة الإفريقية.

يُشار إلى أن للجمعية تمثيلا لدى منظمة اليونيسكو يقوم بالإشراف على عدد من اللجان العلمية الدولية التي تنجز أعمالها الموسوعية التي أشرنا إلى جوانب منها، ويتابع تنفيذ برامج التعاون المشترك بين الجمعية واليونيسكو.

وتشارك الجمعية في أعمال المؤتمرات العامة لليونيسكو من خلال عدة لجان، وتقيم المعارض التي تشتمل على العديد من الكتب والمطبوعات والأدبيات والصور والملصقات التي تبرز نشاطاتها في شتى الميادين، ويتم خلال هذه المعارض عرض الأشرطة الوثائقية عن الخدمات الإنسانية التي تضطلع الجمعية بها في جميع أنحاء العالم.

وقد افتتحت العديد من هذه المعارض من قبل المديرين العامين للمنظمة، وبحضور ممثلي الدول والمنظمات الأعضاء والوفود المشاركة.



الجمعية والإيسيسكو

ترتبط الجمعية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) بعلاقات تعاون وثيق، منذ العام 1948م حيث يعمل الجانبان انطلاقاً من أهدافهما المشتركة في سبيل تنفيذ سلسلة من البرامج التربوية والعلمية والثقافية في أنحاء عديدة من العالم من خلال اتفاقيات أبرمت بين الجانبين.

وتتمحور الاتفاقيات حول تنفيذ برامج عمل تتضمن مشروعات وبرامج محددة، تهدف في مجملها إلى تأكيد الهوية الإسلامية وتعزيز الأصالة، وتتصدى لحملات التغريب ومحاولات تشويه الشخصية الإسلامية.

ولعل من أبرز البرامج التي تنفذها المنظمة بتمويل من الجمعية (البرنامج الثقافي التربوي الواسع

في دول الساحل الأفريقي) ففي إطار هذا البرنامج تم إنجاز وتنفيذ المئات من الأنشطة الثقافية والتربوية، فضلا عن برنامج (التعليم للجميع) الذي تمثل في إنجاز خمسين مركزا للقراءة، استفادت منه خمسة بلدان أفريقية، وتمّ دعم مئات المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية والإنسانية من خلال توفير الكتب وتعيين عدد كبير من المعلمين والمدربين المهنيين المتخصصين.

وبوجه خاص تُعد الدورات التدريبية لمعلمي وموجهي اللغة العربية والتربية الإسلامية في أفريقيا ؛ من بين أبرز الأنشطة التي يواصل الجانبان تنظيمها وإقامتها بنجاح كبير، وذلك لرفع كفاءة المعلمين، والعمل على تحديث أساليب تعليم اللغة العربية، باعتبارها أداة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية، ودعامة لا غنى عنها لفهم الإسلام دينا وحضارة، وقد استفاد من هذه الدورات المئات من المعلمين والموجهين في كل من السنغال وموريتانيا وجيبوتي والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وجزر القمر والمالديف وبنغلاديش وماليزيا و مالطا وهولندا وبلجيكا وبريطانيا.

كما تم في نفس الإطار وفي العديد من الدول إقامة ورش عمل ودورات تأهيلية في مجالات:

- ❖ مكافحة الأمية.
- ❖ تشجيع استخدام الحروف العربية في كتابة اللغات الأفريقية.
- ❖ تحديث أساليب تعليم اللغة العربية.
- ❖ طرق إعداد واستخدام البرامج التربوية الحديثة.
- ❖ تقنيات تقييم المناهج واختبار المواد العلمية.
- ❖ دروس نظرية وتطبيقات عملية في نظريات تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، واستخدام الوسائل السمعية والبصرية في العملية التعليمية، فضلا عن العديد من الموضوعات التربوية والثقافية الأخرى.

وهناك تعاون بين الجمعية والإيسيسكو في مجالات أخرى متعددة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ❖ نشر وترجمة الكتاب الإسلامي.
- ❖ تأليف الكتب المرجعية عن البلدان الأعضاء في المنظمة.
- ❖ تقديم الدراسات المتعلقة بمختلف قضايا العالم الإسلامي.
- ❖ التعاون في مجال الحفاظ على المخطوطات العربية الإسلامية والاهتمام بها ومعالجتها.
- ❖ التعاون في مجال التعليم العالي والبحث العلمي، حيث تقوم الجمعية بالتغطية الكاملة ـ من خلال المنظمة ـ لنفقات ثلاثة أساتذة يعملون بجامعة ساي الإسلامية بالنيجر، وقد اضطلع هؤلاء الأساتذة ـ فضلا عن برنامجهم العلمي الأكاديمي في الجامعة ـ بإلقاء محاضرات على طلبة الدراسات العليا، والإشراف على عدد من الرسائل العلمية.

كما تتعاون الجمعية مع الإيسيسكو في إطار برنامج آخر هو تغطية نفقات أستاذ متفرغ بنفس الجامعة.

وعلى مدى السنوات الأربع الماضية نفذت الجمعية والإيسيسكو برنامجاً يهدف إلى تمكين عدد من العلماء في مختلف العلوم التطبيقية من المشاركة في عدد في المؤتمرات العلمية العالمية، وقد بلغ عدد



الجمعية واليونيسكو والمؤتمر الإسلامي الأوروبي في مؤتمر الأقليات الإسلامية في أوروبا

المستفيدين من هذا البرنامج خلال هذه الفترة اثني عشر عالما وأستاذا.

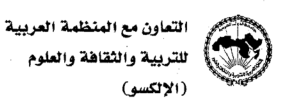
كما قامت الجمعية بالتعاون مع الإيسيسكو في إطار البرنامج المشترك بينهما بإصدار عدد من الدراسات حول بعض الموضوعات العلمية والثقافية، بعضها كان توثيقا لندوات علمية في مجالات متعددة منها مجال الهندسة الوراثية، وبعضها الآخر في صورة أبحاث متخصصة حول بعض القضايا الثقافية والفكرية، وقد بلغت الإصدارات خلال السنوات الأربع الماضية خمسة إصدارات، ترجم بعضها إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن برنامج التعاون بين الجمعية والإيسيسكو الذي يمتد على مدى عقدين من الزمان اشتمل على تنظيم أكثر من اثنتي عشرة ندوة علمية وفكرية متخصصة في العديد من مناطق العالم الإسلامي، ساهم في بعضها إضافة إلى الجمعية ومنظمة الإيسيسكو جامعات ومراكز بحثية متخصصة.

ويمكن أن نذكر من بين هذه البرامج المشتركة على سبيل المثال لا الحصر: تنظيم المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي تؤكد الاهتمام بترسيخ وتجدير الهوية الإسلامية للأقليات المسلمة، بهدف زيادة فاعلية الدور الذي تضطلع به داخل المجتمعات التي تشاطرها ظروف الحياة، مثل المساهمة في بناء المجتمعات التي تعيش فيها. وقد نظمت الجمعية والإيسيسكو في هذا السياق العديد من البرامج منها: عقد اجتماع لمسؤولي المراكز والجمعيات الإسلامية في أمريكا اللاتينية، واجتماع آخر لمسؤولي المراكز

الثقافية والجمعيات الإسلامية بالقارة الأوروبية. كما ساهمت الجمعية في العديد من المؤتمرات الدولية حول الأقليات المسلمة في كل من أوروبا الشرقية وأفريقيا. ويهدف التعاون بين الجمعية والمنظمة، والذي يعد مثالا للعمل الإسلامي الثقافي والعلمي التربوي المشترك، إلى خدمة قضايا التنمية الشاملة في العالم الإسلامي، وهو يتصف بالتطور المستمر والتوسع المطرد.

يذكر أن اللجنة المشتركة بين الجانبين تعقد اجتماعاتها مرة كل سنة للاتفاق على الأنشطة الجديدة التي تنفذ بالتعاون بين الطرفين.



التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإلكسو)

ترتبط الجمعية والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (الإلكسو) باتفاقيات وبرامج تعاون في العديد من مجالات العمل المشترك، وهو ما جعل الجمعية في طليعة الهيئات المساهمة في دعم عمل المنظمة وإنجاح برامجها. ويأتي هذا الدعم والتعاون انطلاقا من إيمان الجمعية والمنظمة بأن تنمية اللغة والثقافة العربية الإسلامية وإحياءها ونشرها في العالم ؛ يعتبر من الأهداف السامية التي يعمل الجانبان من أجلها، وعلى وجه الخصوص دعم جهود التعليم العربي الإسلامي في الدول العربية والأفريقية ودول الساحل الإفريقي، وإجراء المسوحات الثقافية والبحوث والدراسات بشأن أوضاع الثقافة العربية الإسلامية، واستشراف مستقبلها، ووضع ونشر المناهج باللغات المحلية الكبرى، وتزويد الجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية والدينية ومراكز البحث العلمي في أنحاء العالم بإصداراتهما، ودعم جهود الاستفادة من التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، والمساهمة في دعم المؤسسات التي تُعنى بتعليم اللغة العربية، وإيفاد الأساتذة والخبراء، وتنظيم الدورات المتخصصة في مجالات اللغة العربية والثقافة العربية والإسلامية والتقنيات الحديثة، وتنظيم المؤتمرات والندوات والملتقيات لإبراز الدور الحضاري العربي الإسلامي في إثراء الحضارة الإنسانية، وفتح قنوات الاتصال مع الحضارات والثقافات الإنسانية الأخرى للتوصل إلى رؤى مشتركة في القضايا ذات الاهتمام المشترك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاجتماعات الدورية بين الجمعية والمنظمة، ترمي إلى بحث سبل تطوير التعاون، ووضع آليات تنفيذ الأنشطة والبرامج المشتركة، كما تعمل اللجنة المشتركة بين الجانبين - التي تجتمع دورياً - على وضع البرامج التنفيذية والموازنات اللازمة لها وتقييم الأنشطة التي تمّ تنفيذها ومتابعة نتائجها.

ولعل من بين أبرز مساهمات الجمعية دعمُها لمشروع استراتيجية نشر الثقافة العلمية والتقنية في الوطن العربي، وقد مولت الجمعية في هذا الجانب تكاليفَ اجتماع خبراء نشر الثقافة العلمية والتقنية في الوطن العربي الذي عقد بالقاهرة في الفترة من 5-7/4/2003 مسيحي.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى مساهمة الجمعية في مشروع تأليف مرجع حول أخلاقيات العلوم التقنية، الذي يهدف إلى توضيح موقف الثقافة العربية والإسلامية من أخلاقيات البحث العلمي.

وفضلاً عن هذا قامت الجمعية بدعم جهود منظمة الإلكسو الرامية إلى إبراز دور العلماء العرب والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، حيث ساهمت الجمعية في تمويل مشروع الموسوعة العلمية التي تزمع المنظمة إصدارها حول (اعلام العلماء العرب والمسلمين) وينتظر أن تصدر في حوالي عشرين مجلدا.

ويتواصل التعاون بين الجمعية والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة في عدد من ميادين الفكر والثقافة، محققا العديد من الإنجازات الثقافية والتربوية المهمة من خلال البرامج المشتركة لإقامة الدورات التدريبية في العديد من المجالات التربوية والثقافية والبيئية، وفي هذا السياق تم تنظيم دورات تربوية تدريبية في كل من: بوركينا فاسو، تشاد، والنيجر. استفاد منها حوالى 300 مدرس ومفتش تربوي، كما أقيمت حلقة دراسية في القاهرة في مجال المياه والبيئة بالتعاون مع معهد بحوث الهيدروليكا، حيث أتيحت الفرصة أمام متدربين من جيبوتي والصومال وإريتريا.. للالتحاق بهذه الحلقة الدراسية. ويأتي هذا النشاط ضمن الجهود التي تقوم بها الجمعية من أجل خدمة قضايا تنمية المجتمعات العربية والأفريقية.

وفي إطار برامج التعاون بين الجمعية والإلكسو نظم الجانبان بالتنسيق مع معهد العالم العربي في باريس يومي 15 ـ 16 / 7 / 2002 مسيحي (المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات) تحت شعار (مرتكزات التعرف على الآخر من أجل التعايش معا من منطلق التسامح بين الحضارات والأديان) وقد شارك في هذا المؤتمر جمع غفير من رجال الفكر والثقافة والسياسة من العالم العربي وأوروبا، إلى جانب شخصيات تمثل منظمات دولية وإقليمية منها المجلس الأوروبي ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومعهد العالم العربي في باريس، كما حضر أعمال المؤتمر وشارك في فعالياته ممثلون عن وزارتي الخارجية والثقافة في الجمهورية الفرنسية. وقد ركّز المؤتمر على ثلاثة محاور أساسية هي (إشكالية الآخر، ثقافة المسلم، المعرفة والاعتراف بالآخر) وتمّ التداول في هذه الموضوعات من خلال البحوث وأوراق العمل التي قدمها أساتذة وباحثون متخصصون في قضايا الحوار بين الحضارات والثقافات، وقد اهتمت بالظروف التي يقتضيها التفاهم المتبادل والسلم والتعاون بين الشعوب العربية والأوروبية.

وصدر عن المؤتمر بيان باريس للحوار الثقافي العربي الأوروبي الذي عبر المشاركون فيه عن انشغالهم العميق بتنامي ظواهر عدم التسامح وتزايد الانغلاق على الذات وإقصاء الآخر.

وجاء تنظيم هذا المؤتمر الدولي إسهاماً من الجمعية والمنظمة في دفع الحوار بين الثقافات والحضارات من التنظير إلى التنفيذ، وذلك انطلاقا من استراتيجية تقوم على أساس أن الثقافة العربية الإسلامية كانت دوما وستبقى ثقافة الحوار مع الثقافات الأخرى، وهي ثقافة تزخر بقيم التسامح وبمبادئ التضامن والتعاون، وهو الأمر الذي يجعلها قادرة ـ في ظل التحديات المستجدة وبفضل رصيدها التاريخي ـ على أن تلعب دورا إيجابيا في تعميق الحوار بين الأمم والشعوب، وترسيخ معاني التفاهم والسلام الدوليين.



صورة خاصة

الجمعية والايسيسكو والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الندوة الدولية حول ترجمات معاني القرآن الكريم

وبتمويل مشترك نظم الجانبان سلسلة من الندوات التي تناولت العديد من الموضوعات الأخرى، من بينها: ندوة حول الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي (نظمت في مالي) وندوة حول تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية في دول الساحل الأفريقي (نظمت في نيجيريا).

بالإضافة إلى مساهمات الجمعية المتعددة لهذه المنظمة في العديد من المجالات.

التعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي

تُعد جمعية الدعوة الإسلامية العالمية عضوا مراقباً بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وترتبطان معا بعدد من الاتفاقيات وبرامج العمل المشترك، ويشتمل برنامج التعاون الذي انطلق منذ العام 1981 مسيحي على تنظيم سلسلة من الندوات العلمية المتخصصة، فضلاً عن مساهمة الجمعية في العديد من المناشط العلمية والثقافية والفكرية في عدد من بلاد العالم، منها: أستراليا وتركيا وسويسرا والنيجر وماليزيا وروسيا والبرازيل وجنوب أفريقيا واليابان.

وقد جسّد هذا التعاون الثقة الكبيرة التي أولتها المنظمة للجمعية وبرامج العمل التي تقوم بها، وهو ما أهلها للاضطلاع بدور محوري في العديد من اللجان المنبثقة عن مؤتمرات القمة الإسلامية، ومن بينها (لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في حقل الدعوة الإسلامية) التي تعمل الجمعية على إنجاح جهودها وتطويرها ووضع الاستراتيجية التي أقرتها في دورتها الحادية عشرة موضع التنفيذ، وذلك من خلال خطط عمل وبرامج، كما تتعاون مع جميع المنظمات الأعضاء في هذه اللجنة في كل ما من شأنه إنجاح العمل الإسلامي والاهتمام بالمسلمين، حيث ترأست الجمعية لجنة الخبراء التي شكلها الأمين العام للمنظمة والمكلفة ببحث واستقصاء أوجه

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، والتي ضمت في عضويتها ذوي الخبرة والاختصاص من العالم الإسلامي لبحث أوجه تلك التحديات، وقد استضافت الجمعية اجتماع اللجنة في دورتها الأولى التي انعقدت بالقاهرة، والثانية في باماكو بجمهورية مالي، والثالثة بمدينة طرابلس بالجماهيرية العظمى، ويأتي ذلك تعبيرا من الجمعية عن عميق حرصها على الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية، كما ساهمت الجمعية في عقد المؤتمر الأول للأقليات المسلمة في الدول غير الأعضاء في القارة الأفريقية، وساهمت أيضاً في مؤتمر الأقليات المسلمة في شرق أوروبا وروسيا الذي انعقد في صوفيا عام 2001 مسيحي، انطلاقا من رسالة الجمعية في الاهتمام بالأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم، والتعاون مع كل الجهود التي تبذل من أجل تهيئة الأرضية المناسبة لتقديم مساهمات فاعلة لتنمية المجتمعات والأقليات المسلمة ومساعدتها على صون هويتها الدينية والثقافية.

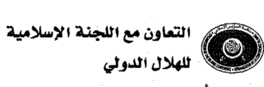
التعاون مع مجمع الفقه الإسلامي

وفي إطار التعاون مع مجمع الفقه الإسلامي نشير بإيجاز إلى ما تمّ في الفترة القليلة الماضية، حيث تم دعم مشروع (معلمة الفقه الإسلامي) التي تمثل عملا موسوعيا فقهيا، كما تم عقد ندوة حول (الفكر الإسلامي المعاصر) بإشراف وتنظيم مشترك من الجانبين.

التعاون مع منظمة الصحة العالمية

لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية علاقات تعاون وثيقة مع منظمة الصحة العالمية، حيث ترتبطان معا ببرامج تنسيقية واستشارية، خاصة فيما يتعلق باختيار الأدوية والأمصال والمعدات الطبية التي تحتاج إليها المرافق الصحية والإغاثية التابعة للجمعية في العديد من مناطق العالم، والتي تقدم خدماتها الطبية إلى مئات الآلاف من المحتاجين، كما توفر المنظمة للجمعية عند الطلب المستلزمات الطبية للقوافل الإغاثية الإنسانية الطبية التي تسيرها الجمعية سنويا إلى دول آسيا وأفريقيا.

وقد قامت الجمعية بدعم برامج هذه المنظمة العالمية الهادفة إلى مكافحة عدد من الأمراض وخاصة في مكافحة نقص فيتامين {أ} الذي يؤدي إلى إصابة الأطفال بالعمى في بعض مناطق العالم، وقدمت الجمعية منحا دراسية لعدد من الأطباء المتخصصين في طب المناطق الحارة مساهمة منها في تخفيف معاناة الإنسان.



التعاون مع اللجنة الإسلامية للهلال الدولي

كما أبرمت الجمعية مع اللجنة الإسلامية للهلال الدولي المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي اتفاقا في مجال رعاية الأمومة والطفولة في عدد من الدول الأفريقية، وقد ساهمت الجمعية بموجب هذا الاتفاق بتمويل المراحل الإرشادية من برامج رعاية الأمومة في جمهورية مالي وجمهورية جيبوتي، بالإضافة إلى المساهمة في دعم هذه اللجنة الدولية لتمكينها من تنفيذ مشروعاتها الإنسانية المتعلقة باللاجئين ورعاية الفئات الضعيفة في كل من غامبيا، وغينيا كونا كري، وبوركينا فاسو، والنيجر، وجيبوتي.


صورة خاصة

ندوة عمل حول الدور الإنساني لرعاية شؤون اللاجئين بين الجمعية ومفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين

التعاون مع مفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين

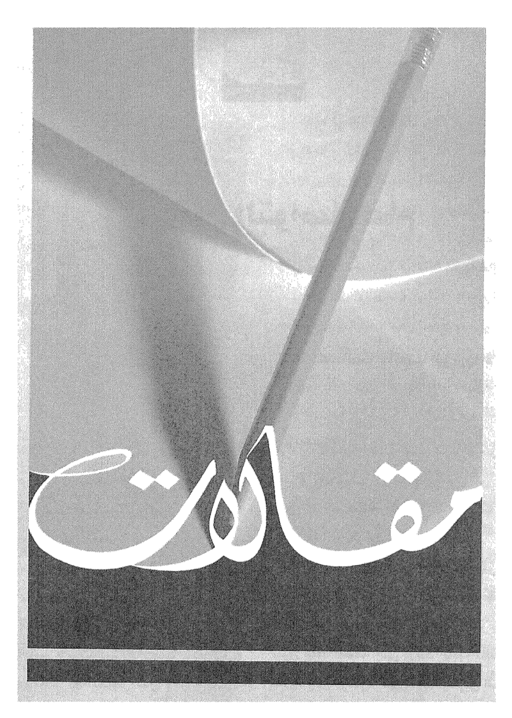
انطلاقا من رسالتها وأهدافها الإنسانية وقعت الجمعية ومفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين اتفاق شراكة ينص على التنسيق في المجالات الإنسانية، وخاصة على المستوى الميداني وتبادل الخبرات والمعلومات، وقد قام نائب مدير مكتب جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط بزيارة إلى الجمعية، حيث تم بحث أوجه التعاون بين الجانبين، كما تم تنظيم حلقة دراسية مشتركة بطرابلس تحت عنوان (الدور الإنساني لرعاية شؤون اللاجئين في العالم) تناولت عددا من الموضوعات من بينها الدور الإنساني لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مجال مساعدة المحتاجين والمتضررين من الكوارث الطبيعية، والحروب والصراعات والأزمات، ودورها في رعاية دُور الأيتام، وخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة، وتأهيل المرأة، وإنشاء المرافق الصحية والمدارس. كما ألقى خبراء المفوضية عدة محاضرات حول: الاتفاقيات الدولية بشأن اللاجئين وحقوقهم، وتوفير الحلول لمشكلاتهم، ودور المنظمات غير الحكومية في التنسيق مع المفوضية بالخصوص.

نشير في هذا السياق أيضا إلى أن الجمعية شاركت في الحلقة الدراسية التي أقيمت بتونس بمشاركة ثلاثين جمعية ومنظمة عاملة في المجالات الإنسانية والإغاثية، تم خلالها تقديم تجربة الجمعية في مجالات الاهتمام بالأقليات في العالم والمساعدات الإنسانية للاجئين ودعم المؤسسات الاجتماعية والصحية ومؤسسات التنمية البشرية.

التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر

عبَّرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على لسان نائب رئيسها عن تقديرها لجهود الجمعية الإنسانية، وذلك خلال الزيارة التي قام بها السيد (جاك فوستر) لمقر الجمعية، والتي أجرى خلالها مباحثات تهدف إلى تعزيز التعاون بين الجانبين من أجل دعم الجهود المبذولة لخدمة الإنسانية.

وقد رحبت الجمعية بعزم اللجنة الدولية على تقديم خبرتها في مجال المساعدات الإنسانية وفق الآليات التي تقدمها اللجنة لضمان وصول المساعدات والخدمات إلى مستحقيها في الوقت المناسب، كما أبدت الجمعية رغبتها في أن تقوم اللجنة بتدريب عدد من المرشحين على الطرق والأساليب المتبعة في التعامل إبَّان حدوث الكوارث الطبيعية في بعض أنحاء العالم.



- مضى من التواصل عام
- من أجل ثقافة حوار.. المتطلبات والسبل
- أوروبا بين الانفتاح وهاجس القلق من الإسلام
- لغز التراث وشروط الاستمرار
- الخطر الأقسى على المسجد الأقصى
- مقاومة الإسلام للاستعمار الثقافي الغربي بمنطقة غرب إفريقيا



مضى من التواصل عام

د. عبد الفتاح أحمد أبو زايدة *



هل الزمن العمري مقياس لنجاح عمل ما؟ أم أن ما يحدثه العمل من تأثير، وما يسفر عنه من نتائج يعد المقياس الذي يوزن به العمل؟ وتتفرع أسئلة كثيرة من مقياس الزمن ونوعية العمل، وحيث لا نريد أن نجتهد كثيراً فإننا لن نأخذ بمقياس ونترك آخر، بل سنجعل لكل قيمته ومعياره.

هذا هو العام الثاني على صدور «التواصل»، وهذا هو العدد الخامس، لو ناسبنا بين عمر هذه المجلة وعمر الإنسان نجد أنها تخوض الآن تجربة المشي، وتستعد للفطام، ولكن الذي نود قوله في بداية رؤيتنا للتواصل أن ما تعارف عليه نقّاد الصحافة من مقاييس يقوّمون بها صحيفة ما قد اعتراها كثير من التغير والتطور، اللذين تمخّضا عن التقدم الهائل في تقنية الصحافة اليوم، وفي منافسة أجهزة الإعلام ووسائله وبخاصة الفضائيات التي تغري الإنسان بالعزوف عن القراءة، فكثير مما يريد يقدّم إليه مرئياً مسموعاً، ومن هنا يكون الطريق أمام الصحافة الآن شاقاً ووعراً، لا يجرؤ على السير فيه إلا من أعدّ نفسه إعداداً جيداً حتى يستطيع الوصول الى القارئ الذي تقول له الصحيفة إنك لن تستطيع بما ترى وتسمع الاستغناء عن قراءتي.

وإذا كان القول بأهمية الصحافة ليس جديداً وهي حقيقة مفروغ منها، إلا ان مدى تأثيرها في القارئ يظل مجال حوار وجدل، ذلك لأن هذا الأمر يرتبط بشكل وثيق بتلك الصلة التي تربط المجلة بالقارئ، ونقفز سريعاً إلى الإشارة التي تذهب بنا إلى السؤال من هو القارئ المستعد لاستقبال المجلة؟ وما مستويات القراءة المتوقعة بالاضافة الى الموجودة أو الواقعة؟

والحديث عن القارئ ومستويات القراءة يؤدي بنا الى الحديث عن المجلة نفسها: ما تكتبه، وما ترى أنه صالح للكتابة ليكون من ثم مقبولاً عند القراءة، ونقصد بالقبول هنا أن يكون للقارئ موقف ورأي ولا نقصد أن يقرأ ويقبل أي يرضى بكل ما يقرأ، فالصحافة ليست قوانين تسنّ أو قواعد تحفظ، أو مثلاً

* كاتب وأستاذ جامعي فلسطيني/ ليبيا

عليا لا يخرج القارئ عن دائرتها، ولكنها دوائر متعددة تجتمع فيها الآراء والأفكار والرؤى والمواقف، حول ما حدث ويحدث وما يمكن أن يحدث، ولعل القارئ يدرك الآن ان حديثنا لا يتناول الصحافة الاخبارية التي تتخذ لها سمتاً معيناً، وإنما نقصد الصحافة الثقافية الفكرية.

و«التواصل» مجلة ثقافية فكرية، لا يعسر على القارئ أن يتبين محاورها وأهدافها من عددها الأول، ونـنـظـر الى هـذه المفـردات: (الإسـلام ـ الحضارة ـ العقل ـ الحوار) ويتفرع من كل منها مفردات جريئة كثيرة.

الإسلام: دين وهو خاتم الأديان ولا دين بعده، جاء ليغير العالم، وكما نعتقد نحن المسلمين الى الأفضل، وعلينا أن نوصل هذا المفهوم الجذري الى الآخر، وعلينا ألا نفصل بين الإسلام والمسلم، أي أن يكون المسلم هو النموذج في تقديم الاسلام، وحتى نستطيع إزالة العبارة المأساة «إسلام بلا مسلمين» ونمحوها من ذاكرة الذين يتخذونها مطية لانتقاد الاسلام نفسه.

الحضارة: وتعني باختصار انتقال الانسان من مرحلة زمنية الى أخرى تتجدد فيها حياته مما يجعله اكثر سعادة وطمأنينة ورقياً، وعندما نقول إن الاسلام دين حضاري، فمعنى ذلك انه يوفر للانسان هذه النقلات المتطورة التي تجعله يحسّ بإنسانيته ويعيش في عالم آمن، وكلما ازداد فهم المسلم للإسلام اتسعت دائرة الحضارة التي يعيش فيها وينعم بوجوده داخلها، والسؤال هنا: كيف نستطيع نحن المسلمين أن نجعل الآخر يقتنع بحقيقة الحضارة الاسلامية؟ وأن في إمكانه عندما تصله مفاهيم الحضارة الاسلامية الصحيحة ان يكون اكثر قرباً من الاسلام، ولكن هل يمكن لهذا

العدد الأول

العدد الثاني

العدد الثالث

العدد الرابع

الهدف ان يتحقق من غير أن يكون المسلم نفسه إنساناً حضارياً؟

إن هذا الهدف يعد من بين المهمات الصعبة التي يبدو لي أن مجلة التواصل قد جعلته على رأس أولوياتها.

العقل: وهذه الكلمة تشكل الدائرة الإنسانية الكبيرة التي تضم الآلة التي تعمل على التفكير والتمييز والفهم والإدراك، وكل إنسان يتمتع بعقل يفتح له نافذة على العالم يراه من خلاله ويشكل من ثم موقفاً فيقبل أو يرفض، والتمسك بالرأي من طبيعة الإنسان، فكيف يمكن الوصول الى هذا العقل وجعله مستعداً ليفكر موضوعياً في ما يصل إليه؟ ونحن نقول ان الاسلام دين العقل، وذلك استناداً الى ما ورد في القرآن الكريم من حث مستمر على التفكر والتأمل والتدبر، وعلى مجيء مادة «عقل» متكررة فيه، والمجلة التي تنطلق من دائرة التفكير لتصل الى الموقف الصحيح تكون قد وضعت في أهدافها مبدأ الفكر الانساني الذي يستوعبه الفكر الاسلامي، ومن هذا الهدف بلورت التواصل موقفها من التفكير بحيث تصل الى المستوى اللائق بها وهي ترحب بأقلام المفكرين والمثقفين الآتية من مساحات مكانية متعددة.

الحوار: لو ظلت عقلية كل أمة منغلقة على نفسها لتآكلت وتلاشت ولم تنتج آراء وأفكاراً تعينها على فهم الكون، والأمة التي تبغي لنفسها الاستفادة من الحضارات الأخرى، والثقافات المتنوعة تجد نفسها مدعوة لأن تنفتح بعقليتها على ما تجمع لدى الآخرين من نتاج فكري وحضاري، وتتيح لنفسها فرصة التأثر كما تحب أن تكون مؤثرة، وهذا ما يسمى التلاقح الفكري بين الحضارات والثقافات وباب الحوار من الأبواب التي فتحها الاسلام للمسلمين، ينقلون ما لديهم الى غيرهم، وينظرون في ما عند غيرهم ما يصح منه وما لا يصح، ومسؤولية المجلة الفكرية الثقافية ان تفتح مزيداً من الأبواب للحوار الذي يتنافى مع الصدام أو الصراع، والحضارة الاسلامية ليست دموية حتى تبني حوارها على صراع غيرها، ولكنها عقلية موضوعية تدعو كل من أراد أن يفهمها الى حوارها بالحجة والمنطق وليس بالهيمنة والقوة الطاغية.

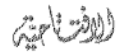
الأمة التي تبغي لنفسها الاستفادة من الحضارات الأخرى، والثقافات المتنوعة تجد نفسها مدعوة لأن تنفتح بعقليتها على ما تجمع لدى الآخرين من نتاج فكري وحضاري، وتتيح لنفسها فرصة التأثر كما تحب أن تكون مؤثرة.

فَتَحَتِ التواصل صفحاتها على هذه المحاور الرئيسة التي تشغل الفكر الانساني المعاصر، فالإسلام يتعرض الى هجوم عنيف في اجهزة الإعلام المختلفة المعادية، وهي ترى في الاسلام خطراً يهدد الذين يفكرون في السيطرة على العالم وتحريكه حسب ما يريدون[1]. وفي هذا الموقف جرثومة مرضية تدفع المناوئين إلى إشعال الصراع، والمسارعة إلى إقفال أبواب الحوار، ونحن نقول هذه حضارتنا وتلك حضارتكم، فتعالوا نوازن بينهما ونشفع الحجج بالدلائل والبراهين، ونرى ما الذي ينفع العالم ويقيم المصالح المتوازنة بين شعوبه على أسس الحق والعدل، وليس على أسس الفوقية والغطرسة.

كما يمرّ العالم اليوم بأخطر مراحل التقدم العلمي النافعة والضارة مما يجعل الانسان مضطرباً حائراً يبحث عن سفينة النجاة من دمار يتوقعه ولا يرحم

(1) أو عولته بحسب ما وضعوا من مفاهيمهم الخاصة لهذا المصطلح، على أساس تفريغ الآخر من محتواه، وشحنه بما يدعم مصالحهم.





أحداً، ويتساءل لماذا يسخر العلم لإبادة الإنسان وقمعه، ولا يسخر لراحته وسعادته؟ وتتحمل الصحافة الموضوعية جانباً مهماً من الإجابة عن تساؤلات الانسان التي تربكه.

ويبدو لي وأنا أتابع التواصل قراءة ونقداً أنها قد بنت شخصيتها الصحافية على أساس الترحيب بأكبر عدد من اقلام الكتّاب على المستوى: العربي والاسلامي والعالمي، مما يعمل على تحريك الوعي تحريكاً عملياً، والانطلاق من قراءة النفس أولاً وفهمها فهماً جيداً يهيئ لها ان تجيد قراءة الغير وتقدم للآخر ما يناسبه. وتجعله يشعر بأن الحوار هو الطريق الصحيح للقاء، وأن الحضارة لا يختصرها المظهر ولكنها تفسر بكيفية فهم الإنسان للحياة، وحرصه على أن يطور نفسه وحياته معاً، وأن يتمتع بإنسانيته التي وهبها الله له، ولا يتجاوز الى سلب إنسانية غيره.

والمحاور التي رسمت لتكون مشاريع كتابة في هذه المجلة متعددة متنوعة تصل الى مستويات القرّاء بحسب الثقافة أو المعرفة، وليس من اليسير على مجلة تخطو نحو عامها الثاني أن تحقق هذا الطموح الا ان يكون وراءها عمل مستمر، وبحث جاد عن اقلام مستنيرة تسهم في إثراء حركة الوعي، وتريد لهذا العالم الخير والسعادة وللإنسان السكينة والطمأنينة.

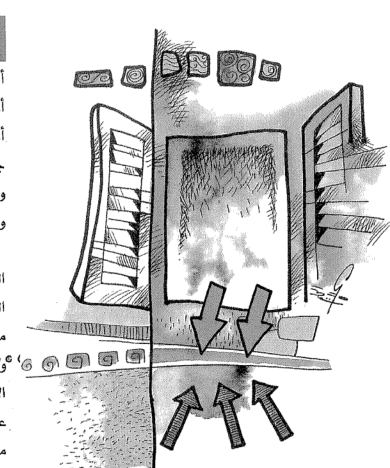
وإذا وجد الانسان فائدة في ما يقرأ، فإنه سيندفع الى المشاركة الايجابية في اثراء ما يكتب، بالمشاركة في الكتابة والنقد والحوار البنّاء، فكما احب ان اكتب ابحث عمن يقرأ، ويجب ان أتقبّل النقد، وأحاور من ينقد، وهكذا ندخل الى فضاء الوعي ونحن مسلحون بثقافة ناضجة ومعرفة متنوعة الأبعاد تتسم بالعمق والشمول، ويكون لنا نصيب في إضافة شيء الى الحضارة الانسانية يشهد لنا بأننا نريد أن نعمل، ولدينا تصميم على أن يتواصل العمل، وأن تستمر حركة الوعي في «التواصل» كتابة وحواراً ونقداً.





من أجل ثقافة حوار
المتطلبات والسبل

جوزيف إلّول *



أضحى الحوار بين الأديان اليوم تحدّياً ذا أهمية متزايدة للأشخاص المعنيين من أبناء الأديان المختلفة. ويتطلب اللقاء باتّباع معتقدات أخرى إقراراً بواقع التنوّع البشري الغني والمحير أحياناً. فينظر كل منّا إلى الآخر من خلال فوارق جغرافية وثقافية وحواجز عرقيّة واجتماعية واقتصادية نقوم بتشييدها متوهّمين بأنها تصون وحدانيتنا المزعومة من الإضعاف أو التهديد.

ولقد زادت ظاهرة العولمة من وعينا للتنوّعات الدينية والثقافية، وأدّت إلى انبعاث جديد للهويات الثقافية المحلية في أرجاء المعمورة. كما شهدنا تنامياً مثيراً للقلق في المشاعر القومية المحلية كرد فعل في وجه النزعات المعولِمة، مع تداعي قبضة الدول / الأمم الأكثر قدماً. ولقد نتجت هذه التحركات عن شعور عميق بانعدام الأمن يتنامى بصورة تلقائية ويؤدي إلى مزيد من الشعور بانعدام الأمن.

ويصبح الحوار، في أوضاع من هذا النوع متميزة بالتقلّبات المستمرة، جزءاً لا يتجزّأ من حياتنا اليومية.

* راهب دومينيكاني

فضلاً عن ذلك، أصبح السكّان المحلّيون، بصورة متزايدة، متعدّدي العروق والأديان والثقافات، بسبب الهجرة خصوصاً. فتجلب تلك الظاهرة أحياناً تشنجات وأحكاماً مسبقة تسيء إلى النمو المتناغم في مجتمع ينبغي أن يكون توّاقاً إلى الخير المشترك.

بناء على ذلك، شعر مسؤولون دينيون عدّة بحاجة متزايدة إلى حوار على الصعيد الديني. في عصر علمنة، يبدو فيه أن الأديان قد هُمِّشت اجتماعياً، لا يكتفي فيه الحوار بين الأديان بتقديم أمل مستقبل أفضل من طريق التعايش، بل يعرض أيضاً مثل شهادة مميزة.

الحوار المنشود

قد يعتبر الكثيرون أن الحوار (وبالخصوص الحوار بين الأديان) ظاهرة حديثة العهد وأنه محصول الثقافة العلمانية التي ابتكرت الحق في حرية التعبير وحرّرت البشرية من استبداد الأديان وتشبثها. بيد ان نظرة أكثر تبصراً تؤدي إلى استخلاصات مختلفة كل الاختلاف.

وليس الحوار بين الأديان مجرّد منتدى مجاملات أو ساحة لتبادل الاتهامات. فهو أساساً لقاءُ مؤمنين ينتمون الى أديان وحضارات وثقافات مختلفة، يجمعهم مثال مشترك أعلى ألا وهو تقدم البشرية ورفاهيتها، فلا يكون التنوّع مرادفاً للقسمة بل للإثراء المتبادل. وقد لا يؤدي الحوار حتماً إلى الاتفاق، أكان تاماً أم جزئياً، لكن يمكنه - وعليه - أن يؤدي إلى التفاهم المتبادل. لا يجعل الحوارُ الشخص الآخر مشابهاً لنا بل يولّد بالأحرى انفتاحاً ذاتياً نحوه. إذ يقوم كل شريك محاور بالتعبير عن قناعاته لشريكه - الذي يملك قناعات ذاتية مختلفة - ويبدي اهتماماً مخلصاً بها. ويبذل الشركاء جهوداً صادقة للإنصات والتعلّم، ولمحاولة فهم الأفكار والانفتاح على ذهن الآخر وقلبه برحابة وصدق متبادلين.

الحوار قديم قدم الخليقة وفقاً لمفهوم الوحي في المسيحية، وقد نشأ حين نطق الله بالكلمة الأولى فخلق الكون، واستمر عبر آدم وابراهيم وموسى والأنبياء وأخيراً عبر يسوع المسيح؟(*).

وللحوار، بالنسبة إلى المسيحية، مصدر فائق، فهو يندرج حتى في تصميم الله. والدين، بحكم طبيعته، هو علاقة بين الله والإنسان، فتجسّد الصلاة هذه العلاقة من طريق الحوار. ويروي تعامل الله مع البشرية هذا الحوار القديم العهد والمتغيّر الذي ينطلق من الله ليقدم للإنسان تحادثاً في غاية الروعة. وقد اتخذ الله المبادرة، فحدّث البشر عبر التاريخ، وأوحى إليهم حقائق عدّة حول سر كيانه وحول مصير البشرية الخفيّ. فيقوم الدين، بالتالي، على حوار مستمر بين الإلهي والبشريّ، بين الأبديّ والزمنيّ. والحوار، نتيجة لذلك، مثال أصيل لنمط الاتصال الروحي الذي وهبه الله للإنسانية، وهو يتوقع منا الآن أن نتشارك فيه ونخلّفه للأجيال القادمة.

ليس الحوار بين الأديان مجرّد منتدى مجاملات أو ساحة لتبادل الاتهامات. فهو أساساً لقاءُ مؤمنين ينتمون الى أديان وحضارات وثقافات مختلفة.

الحوار بين الأديان : المتطلبات

ولا يسعنا النظر إلى الحوار بشكل مجرّد لكونه نشاطاً ديناميّاً. بل يجب اعتباره دوماً في ضوء الأوضاع المتغيرة على صعيد كل من التطورات التاريخية وسياق

(*) يلاحظ ان الكاتب هنا أغفل ذكر رسول الله الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام، والمسلمون لا يغفلون المسيح عليه السلام بل يؤمنون به رسولاً ونبياً لأن الإسلام هو الدين الخاتم الذي يستوعب كل الأنبياء والرسل... أما رسالة المسيح عيسى ابن مريم فهي لبنة في البناء الكبير الذي ختمه محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه...

الأحداث المتزامنة. ولا يمكننا إقامة حوار واقعيّ دون معاينة مستمرة لحركة التاريخ وإعادة النظر بالوضع الملموس للجماعات البشرية حيث نتواجد. ولقد أشار المجمع الفاتيكاني الثاني (علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية Nostra Aetate) إلى الأسباب الكامنة وراء الحاجة إلى حوار من هذا النوع:

«إن جميع الشعوب يؤلفون أسرة واحدة: فهم جميعهم من أصل واحد إذ أسكن الله الجنس البشري كلّه على وجه الأرض، ولهم جميعاً غاية قصوى واحدة، وهي الله الذي يبسط على الجميع كنف عنايته، وآيات لطفه، ومقاصده الخلاصية، إلى أن يجتمع مختاروه في المدينة المقدّسة التي يضيئها مجد الله، وفي نوره تسلك الشعوب جميعاً.

لا جَرَمَ أننا، منذ أقدم الأزمنة حتى يومنا هذا نجد عند مختلف الشعوب حساسية بهذه القوة الخفية، الحاضرة في مجرى الأشياء وأحداث الحياة البشرية... وأن الحساسية والمعرفة تؤثران في حياتهم تأثيراً بالغاً. وتحاول الديانات التي نشأت مع تطور الثقافات أن تجيب عن هذه الأسئلة بتحديدات أدق، وتعبير أقرب إلى الصحة».

يصبح الحوار بين الأديان، سبيلاً لفهم طموحات البشرية ونقاط ضعفها. وفي الوقت نفسه، يقوم هذا الحوار بتحويل الطموحات ونقاط الضعف نحو اتجاهات بناءة وأكثر شمولية عوضاً عن الخصومة والإحباط الحاضرين إلى حد بعيد في الحياة.

فيصبح الحوار بين الأديان، بالتالي، سبيلاً لفهم طموحات البشرية ونقاط ضعفها. وفي الوقت نفسه، يقوم هذا الحوار بتحويل الطموحات ونقاط الضعف نحو اتجاهات بناءة وأكثر شمولية عوضاً عن الخصومة والإحباط الحاضرين إلى حد بعيد في الحياة، حتى في أوضاع الازدهار المادي والاستهلاك. وعلى الحوار أن يقود خطانا أيضاً لندرك أن التقدّم العلميّ البحت في غياب حلول متزامنة لمعضلات اجتماعية وعاطفية وفكرية قد تولّد المزيد من عدم التوافق وسوء الفهم والبلبلة الاجتماعية، وفي النهاية إلى المزيد من الحروب والثورات.

ويتطلب الحوار بين الأديان، لكي يكون مثمراً، نوعاً من الاستعداد من طرف المشتركين فيه: الاحترام، الاصغاء، الصدق، والانفتاح فضلاً عن التقبّل ورغبة العمل معاً في جو أمل وصبر.

أ ـ **الاحترام:** ويجب ألا نخطئ فهم ذلك وكأنه مجرد «ضرورة تحمّل شخص معين»، إنما يعني قبول اختلاف الآخر وهو، أساساً، هبة من الله. لا يتميّز الحوار بالغرور، ولا بالمرارة أو العدوانية. فسلطته كائنة في الحقيقة التي يقدّمها، في المحبة التي يعبّر عنها وفي المثال الذي يعرضه. وليس الحوار أمراً يُفرض. إنه مسالم يتجنّب الوسائل العنيفة، وهو حليم جوّاد. كما يقود الحوار إلى تبصّر تربويّ يقدّر أرفع تقدير ظروف المنصت النفسية والأخلاقية. ويحاول التبصّر لإدراك حساسيات المستمع، ويتطلب منا أن نكيّف أنفسنا وطريقة عرضنا بشكل معقول كي لا نثير استياءه ويتعذّر عليه فهمُنا.

ب ـ **الإصغاء:** ويجب ألاّ نخطئ فهم ذلك وكأنه استماع وحسب. فقد يُرغم المرء على الاستماع الى ما يقال، بيد أن الإصغاء يتضمن تقبّل المرء افكار الآخر وثقافته، ويعني ضمناً التأمل الشديد العناية بما يقال. فيقود إلى التفاهم الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى إسقاط الأحكام والأفكار المسبقة. وقد يعني أحياناً حتميّة التفحّص الشخصيّ والنقد الذاتيّ. فيتطلب الحوار ويشترط بالتالي الإدراكية، فهو يتدفق من الفكر ويشكل دعوة لممارسة أسمى القدرات

المتوافرة لدى الإنسان. ويسعنا أن نعتبر الحوار، في ضوء ما سبق، من أفضل مظاهر الثقافة والنشاط البشري.

جـ ـ الصـدق: لا يحتّم الاحترام على المتحاورين التخلي عن قناعاتهم الدينية الذاتية لدى خوضهم الحوار، بل العكس هو صحيح. فيتطلب صدقُ الحوار بين الأديان أن يشترك كل طرف بإيمانه التام. ويعكس هذا الطرح، أولاً وقبل كل شيء، الصدق تجاه الله. ولا يمكن للحوار بين الأديان أن يكون مثمراً إن لم يدرك المشاركون حضرة الله في حياتهم وعملهم. وهم مسؤولون تجاه الله عما يقولون وعن طريقة تصرّفهم. ليس الحوار بين الأديان ضرباً من ضروب إيجاد الحلول الوسط، إنما هو عرضٌ صادق للمعتقدات الذاتية وواجبُ إعلانها، وعلى كل مشترك أن يشهد لإيمانه. إن موقفاً من هذا النوع قد يعرّض لخطر التصادم، لكن تقديمه بصورة حكيمة يعزز الثقة، إذ يسمح لكافة المشتركين إدراك مواقف الجميع إزاء بعض المسائل العقائدية والأخلاقية. فالحقيقة توطّد الثقة والصداقة، وتربط القلوب في تلاحم متبادل من أجل الخير يستبعد الميل نحو الترقية الذاتية.

د ـ الانفتاح والقبولية ومشيئة العمل معاً: يُفترض من الحوار، تحديداً، أن يركّز على البعد العمليّ ويهدف إلى عمل مشترك. وتقوم الخلفية الدينية الخاصة بتحفيز المشتركين بالحوار بين الأديان، فيستمد كل فرد القوة من ديانته، ويسهم بصورة فريدة في تنفيذ المشاريع المشتركة.

هـ .. الرجاء: هذه الفضيلة ليست وهميّة. إنما تستند إلى إيمان حيّ وتسيّرها المحبة. وسط الطرق العديدة المكنة التي قد يلجأ إليها الإنسان لتدمير ذاته، هناك أيضاً إمكانية الرجاء التي تنطلق من وضع البشرية الحالي وهو ليس سوى الأبديّة المتجسّدة في الزمان.

و ـ سعة الصدر: في عالم تهيمن فيه الفعالية والوقتُ يعني المال، تشكّل سعةُ الصدر أثناء الحوار معلّماً قيّماً. يستند الحوار أولاً وقبل أي شيء إلى مشيئة الله وحكمته، وإليه نتوجه في اللحظات الحاسمة والأصعب. ولا يسعنا قياس الحوار بمعاييرنا البشرية، فالله يعمل وفقاً لتدبيره، من خلال عيوبنا البشرية، وبالرغم منها في معظم الأحيان. ولا يسع أيوب، بعد أن وضع الله نصب عينيه حدود إمكاناته، إلا أن يقول: «قد علمتُ أنك قادر على كل شيء فلا يستحيل عليك مُراد» (سفر أيوب 2: 42). سيبقى الضعف البشري حاضراً دوماً، وبلسمة الجراح تتطلب الوقت، واجتثاث الأحكام المسبقة ليس سهلاً.

الحوار بين الأديان: السبل لبلوغ الهدف

الحوار بين الأديان، من حيث الاتصال، شهادة مشتركة لله، وهو مرتبط بتعويلنا عليه وبمحبتنا له. ويتوق كل شريك في الحوار إلى اطلاع شريكه على الطابع المميز والشخصي لتجربته الدينية. الافكار مهمة، وقدرة الإبداع أيضاً. بيد أنها ليست حاسمة.

ويمكن اعتبار الحوار على مستويات ثلاثة هي: (1) المستوى اللاهوتي الفكريّ، والمقصود منه توضيح المفاهيم وتفهم تعاليم الأديان المختلفة؛ (2) الخبرة الروحيّة، حيث نحاول مشاركة بعضنا بعضاً تجربتنا الروحية والتاريخية الذاتية؛ (3) والمستوى الاجتماعيّ السياسيّ، حيث يجري سعي مشترك نحو مجتمع عادل مستقر. ولا استثناء متبادلاً بين المستويات الثلاثة، بل إنها مترابطة.

1ـ الحوار اللاهوتي الفكري يتيح للمؤمنين

الارتقاء بالحوار حتى أعلى المستويات، فيزداد إدراكهم لحدود استقلالية بشرية ذاتية تعتبر الكائن البشري المقياس المطلق لحياته وعمله. ومن جهة اخرى، يعبّر هذا الحوار عن كيفية اتحاد الحياة البشرية بتدخل الله في التاريخ. وتكمن هنا بالذات فرصة مناقشة مسائل متعلّقة بالإيمان والحياة والأخلاقيات والتقاليد، فضلاً عن الاطلاع على نمط طريقة الآخرين في التقارب مع الله. وليست هذه الظاهرة جديدة في تاريخ الحوار بين الاديان.

وبما أنني أتحدث في إطار لقاء مسيحي إسلامي، أود أن أشير الى حدثين مهمين: الحوار بين ثيماوس الاول، كاثوليكوس بغداد، والخليفة العباسي حوالى سنة 781. وكان المهدي معروفاً بروح المصالحة. أجري الحوار في نطاق سلسلة من اللقاءات أتاحها للبطريرك وتناولت عدداً من المواضيع ما زالت حيّة حتى اليوم إذ تدور حول الحقائق الأساسية في المسيحية. والمشوّق في اللقاءات تلك أنّ الزعيمين استخدما في معالجتهما للمواضيع مجموعة مفردات يفهمها كل منهما. يشكل ذلك مثالاً رائعاً للدمج المتناغم بين الدين والثقافة، وعرض البطريرك تعاليم المسيحية بصورة يسع المستمع المسلم أن يستوعبها.

كما حصل لقاء شهير ثان بين إلياس النسيبي والوزير ابن علي المعربي. في 15 يوليو 1026، مر حسين بن علي المعربي، أحد وزراء الأمير نار الدولة، بمدينة نيسيبيس. فالتقى الأسقف إيليّا بار سينيّا وروى عليه حادثة حصلت معه، حول شفائه بصورة عجائبية على يد راهب، مما أثار لديه اهتماماً بالمسيحية. دار الحديث في أثناء سبع جلسات نوقشت فيها مواضيع شتّى: الثالوث الأقدس، التجسّد، الإيمان وتفسيره عبر التفكير الجدلي، والمعجزات. وتناولت مقارنة بين المسيحية والإسلام وثقافة كل منهما: القواعد، اللغة وحتى علم الفلك. وظلت الأجواء، طوال اللقاء، بغاية الهدوء والمودة، فكان المسلمون يستوضحون، كما أن المسيحيين لم يتهجموا أبداً على الإسلام.

لكن يجب ألاّ يُعتبر الحوار اللاهوتي الفكري كمناقشة بين خبراء وحسب، بل يجب أن يضم أيضاً مؤمنين عاديين، خصوصاً في عداد الشباب وهم مستقبل المجتمع. والشبيبة، بحكم طبيعتها، اكثر ميولاً إلى طرح الأسئلة والطلب من المسؤولين الدينيين عيش إيمانهم بشكل متماسك. فلا يقتصر الفحص الدقيق على إيماني ليس إلاّ، بل يتناول كيفية قيامي بعيش إيماني.

يمكن اعتبار الحوار على مستويات ثلاثة هي:
(1) المستوى اللاهوتي الفكريّ، والمقصود منه توضيح المفاهيم وتفهم تعاليم الأديان المختلفة؛
(2) الخبرة الروحيّة، حيث نحاول مشاركة بعضنا بعضاً تجربتنا الروحية والتاريخية الذاتية؛
(3) المستوى الاجتماعيّ السياسيّ، حيث يجري سعي مشترك نحو مجتمع عادل مستقر. ولا استثناء متبادلاً بين المستويات الثلاثة، بل إنها مترابطة.

2- حوار الخبرة الروحية: وتقودنا كيفية عيش الإيمان إلى الشق الثاني من الحوار. للحوار مغزى إن كان منفتحاً على الله، ويعني ذلك ضمناً وقبل أي شيء الحوار عبر الصلاة. في القرن الخامس للميلاد، ابتكر تلاميذ من تلامذة القديس اغوسطينوس، بروسبيروس الاكويتاني (370 - 463/ 465) عبارة أضحت مرجعاً: Lex orandi, lex credendi، طريقة الصلاة توضّح ما يؤمن به المرء، فنعبّر بالصلاة عن إيماننا. لقد شهد العالم منذ شهرين روعة الاتصال عبر الصلاة بمناسبة يوم صلاة الأديان في أسّيزي من أجل السلام. وكما قال البابا في 20 كانون الثاني/

يناير 2002، تُتيح مبادرات حوار روحيّ من هذا النوع لكل مؤمن.

«الإدراك أنه مدعو ليكون فاعل سلام. ولا يسع الرجال والنساء من مختلف المعتقدات الدينية التعاون وحسب، بل يتحتم عليهم الالتزام الفاعل دفاعاً عن الاعتراف بالحقوق البشرية ولتوطيدها، وهو شرط لا غنى عنه لبلوغ سلام أصيل وعادل. في وجه العنف الذي يعيث خراباً في نواح عدة من الأرض، يشعرون بحاجة التأكيد على أن الأديان عنصر تعاضد، فيقومون بشجب كل من يستغلّ اسم الله، لمآرب أو بأساليب تسيء إلى اسمه عزّ وجلّ، ويعزلوه».

قدّم لقاءُ أسيزي للعالم - الذي يواجه خطر اعتبار الدين مصدر حروب وعدم تسامح - مؤشرَ تعايش ووحدة وتنوّع ملموساً، وطرح جانباً المجابهة والازدراء المتبادل. وفيما تجنّب القادة الدينيون المشتركون الخلط والالتباس بين المذاهب المختلفة، حثّوا المؤمنين كافة ليكونوا مبدعي حوار بناء، مدركين كامل الإدراك واجب كل مؤمن بالشهادة والحياة وفقاً لإيمانه. ولقد بدّد هذا الشكل من الحوار بين الأديان التصوّر المسبق الذي نشرته العلمنة وإيديولوجيات القرن المنصرم، والذاهب الى أن الأديان بقايا بالية من الماضي. يشكل حوار الخبرة الروحيّة تحديًّا للشرق وللغرب، كي ينظروا مجدداً إلى وحدة الأديان وتعدديتها في ضوء الله الذي يوحي بذاته كسرّ. فيدرك البشر آنذاك أنهم كائنات مُحبّة ومحبوبة، ويصير ذلك الوعي أساس صداقة نزيهة مترفّعة، ومن ثم يتحرّر الحوار وينفتح على اللامتناهي. بيد أن الصلاة يجب أن تتحوّل إلى أفعال، ويجب أن تحثنا الصلاة معاً على التوق الى العدالة معاً وتضميد جراح الشقاق والخصومة. ويظهر هنا مدى صحة كلام البابا في رسالته بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي من أجل السلام: لا سلام دون عدالة، ولا عدالة دون غفران.

3 - الحوار الاجتماعي السياسي (حوار الحياة):

يقودنا الاعتبار الأخير هذا إلى النقطة الثالثة. ولكي يكون للحوار بين الأديان معنى، يجب أن يبلغ المؤمنين العاديين المفتقرين إلى تأهيل لاهوتي ويعيشون إيمانهم ببساطة. لذا، على الحوار ان يتناول مسائل تمس احتياجات الأشخاص العاديين ويقدم لهم أملاً بأن طرحاً من هذا النوع سوف يحسّن أوضاعهم. ويجب إشراكهم في عملية الحوار كمشتركين في الخط الأول، ويعني ذلك ضمناً الاهتمام بالشأن الاجتماعي. من خلال سعي مشترك من هذا النوع، يعيش أشخاص من أديان مختلفة ويعملون معاً ويُثري بعضهم بعضاً عبر الممارسة اليومية الصادقة للفضائل المدّخرة في قيمهم الدينية. وبفعلهم ذلك، يسهمون في النقوش الديني والإيديولوجي والاقتصادي والثقافي لتشييد مجتمع اكثر إنسانية يتوق الى الوحدة ويتجنّب الانقسامات.

على المؤمنين الوقوف في وجه علمنة تنشد إلى تحويل الدين إلى مسألة خاصة ليس إلاّ، وعليهم تشجيع تعددية أصيلة تلعب فيها الأديان دور شريك معترَف به في عملية تشييد المجتمع وتوجيه مسيرته. وعليهم العمل لصالح السلام في عالم يعاني من الانقسامات والعداوات. وبوسع الأديان فعلاً ان تكون محفّزاً للتعاضد البشري.

بمناسبة تلاوة صلاة التبشير الملائكي يوم الاحد 27 كانون الثاني / يناير 2002 عقّب البابا يوحنا بولس الثاني على يوم الصلاة العالمي من أجل السلام الذي كان قد احتفل به قبل ثلاثة ايام فقال:

«ما زلت أشعر، بانفعال عميق، بتجربة يوم الصلاة من أجل السلام: «لا عنف بعد الآن! لا حرب بعد الآن! لا إرهاب بعد الآن! باسم الله، ليحمل كل دين على الأرض العدالة والسلام والمغفرة والحياة والمحبة». نداء مؤثّر وجّهته، مع قادة الأديان المتنوعة، إلى أبناء عصرنا، لدحض تجربة حل معضلات البشرية الخطيرة باللجوء الى السلاح والعنف. فوضعنا بالتالي حجر اساس على درب تشييد حضارة سلام ومحبة.

مرّة أخرى اليوم، أود شكر المسؤولين الدينيين الذين تجاوبوا مع دعوتي. ولقد أكدنا معاً في أسّيزي أنّ مهمة الدين إنما هي التربية على التعايش السلمي بين الشعوب والثقافات، ضمن الاحترام المتبادل. وفي الوقت نفسه، أعبّر عن خالص شكري لحشود المؤمنين والأفراد العديدين جداً في مختلف أنحاء العالم الذين انضموا إلينا بالروح، وكذلك كل الذين شاركونا «روح» هذا اليوم الرائع والمستعدون للذود عن القيم الإنسانية الأصيلة وترقيتها، رغم بعدهم عن الدين».

على المؤمنين الوقوف في وجه علمنة تنشد إلى تحويل الدين إلى مسألة خاصة ليس إلاّ، وعليهم تشجيع تعددية أصيلة تلعب فيها الأديان دور شريك معترَف به في عملية تشييد المجتمع وتوجيه مسيرته. وعليهم العمل لمصلحة السلام في عالم يعاني من الانقسامات والعداوات. وفي وسع الأديان فعلاً ان تكون محفّزاً للتعاضد البشري.

الغاية من الحوار الديني: طلب الله معاً

في كلمة مأثورة ألقاها يوحنا بولس الثاني أمام 40000 من الشباب المسلم في التاسع عشر من آب/أغسطس 1985 في استاد الدار البيضاء، قال:

«أود أن أحدّثكم، بالخصوص، عن الله بالذات، وبه نؤمن جميعاً، أنتم المسلمون ونحن الكاثوليك. أرغب أن أحدّثكم عن القيم الإنسانية التي ترسي قواعدها في جوهر الله، القيم المتعلّقة بتنميتنا الشخصية وازدهار عائلاتنا ومجتمعاتنا والمجتمع الدولي على السواء. أليس سر الله أرقى واقع يرتبط به المغزى الذي يعطيه الإنسان لحياته؟ أوليست هذه أُولى المسائل التي تطرح نفسها في حياة الشباب، لدى تأمّلهم بسر الوجود وبالقيم التي يتوجب عليهم اختيارها لتشييد شخصيتهم المتنامية؟

حوار بين الأديان جدير بهذه التسمية غير ممكن في غياب رغبة فطرية بطلب الله. وليس الهدف معرفة من هو الله، فهو سر لا يُسبر غوره. بيد أن التوق إلى اختبار البعد الديني يتوسط الأديان كافة، ومن المشوق المقارنة بين تجربة كل من رابعة العدوية الصوفية وتيريزا أفيلا، أو بين شعر ابن الفريد ويوحنا الصليب. يقوم كل دين بتفسير هذه التجربة وتحديدها بصورة مختلفة، لكن الحديث الديني يظل فارغاً في غياب هذا اللقاء ـ التجربة. ومع ذلك، علينا كمؤمنين تمييز فعل الله في العالم والشهادة له في نضالنا اليومي مع واقع الحياة الصعب. فهذا نضال محتّم علينا ان نواجهه معاً كمؤمنين».

يؤدي اكتشاف الله المستمر والمتجدد هذا إلى نوع من الرهبة والعبادة وصفه عالِم اللاهوت من الرهبان الدومينيكان توما الأكوينيّ بشكر رائع ومقتضب في أنشودة باللاتينية عنوانها Adore Te Devote، وقام الشاعر البريطاني اليسوعي جيرارد مانلي هوبكينز بترجمتها إلى الإنكليزية:

أيها الإله المتخفّي، إني أعبدك

تحجبك الظلال العارية، شكل وحسب،

أنظر، يا رب، هذا القلب يتوق إلى خدمتك

وهو حائر ضائع معجب في حضرتك.

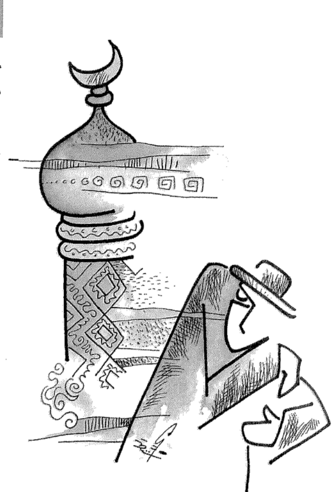


أوروبا بين الانفتاح وهاجس القلق من الإسلام

كريمة أم عبد الله*

أوروبا القارة العجوز ذات المجتمعات المنسجمة والمتجانسة ثقافياً وتاريخياً، تتحول يوماً بعد يوم إلى مجتمعات جديدة، مركبة من إثنيات وثقافات وديانات متعددة، وبالرغم من أن الإسلام ليس بالوافد الجديد على القارة، إلا أن موضوع تنامي الوجود الإسلامي فيها، يعد حدثاً فريداً من نوعه بالنظر إلى الزمن القياسي الذي انتشر فيه المد الإسلامي وسط وغرب أوروبا، فمنذ أقل من أربعين سنة، لم يكن للإسلام أي ظهور فاعل أو مؤثر على الساحة الثقافية الأوروبية، اليوم وقد بات وجود المسلمين يمثل ثقلاً بشرياً وحضارياً، يستأثر باهتمام المخططين والاستراتيجيين، يراقب المحللون عن كثب ظاهرة تضاعف تعداد المسلمين، وما يرافقها من قضايا تتعلق بالاندماج والمواطنة.

وفي هذا الإطار، لا يصح التعميم بدعوى نفور وحساسية المجتمعات الأوروبية تجاه كل ما له علاقة بالإسلام ومعتنقيه، ذلك أنه في الانسياق وراء دعوى التعميم بتزايد ظاهرة الخوف من الإسلام (الاسلاموفوبيا)، نغفل عن ثلاثة جوانب رئيسة في الموضوع:



* كاتبة وباحثة / ألمانيا

1- التمييز بين تعامل السلطات الرسمية ومواقف بعض الأحزاب السياسية، وكذلك وسائل الإعلام المنحازة، وبين تفاعل المجتمع المدني وانفتاحه على الإسلام. فعلى سبيل المثال ما نشرته مؤخراً هيئة إسلام أرشيف المعتمدة رسمياً في ألمانيا من ارتفاع لعدد معتنقي الإسلام من ذوي الأصل الألماني إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه العدد قبل عام واحد، وحتى لو قلنا أن دخول الأوروبيين في الإسلام، ما زال يمثل معطىً بسيطاً في تزايد عدد المسلمين في أوروبا، إلا أنه في الوقت ذاته يحمل دلالات وأبعاداً مهمة تدل على انفتاح المجتمع الأوروبي على الدين الإسلامي، وهذا من شأنه أن يكون محركاً فاعلاً في حضور المسلمين بما يضمنه من توطين للإسلام في هذه البلاد.

ارتفع عدد معتنقي الإسلام من ذوي الأصل الألماني إلى ثلاثة أضعاف.

هيئة (إسلام أرشيف) الألمانية

2- استقلالية القضاء الأوروبي:

ويظهر ذلك بجلاء في إلغاء القضاء لكثير من الإجراءات الرسمية التي تدخل ضمن الاستراتيجية الأمنية للسلطات، كحظر عدد من الروابط والجمعيات الإسلامية، وترحيل لبعض خطباء الجمعة الموصوفين بالمغالاة والتشدد، وكذا غلبة صدور أحكام التبرئة في حق كل من لم تثبت إدانته.

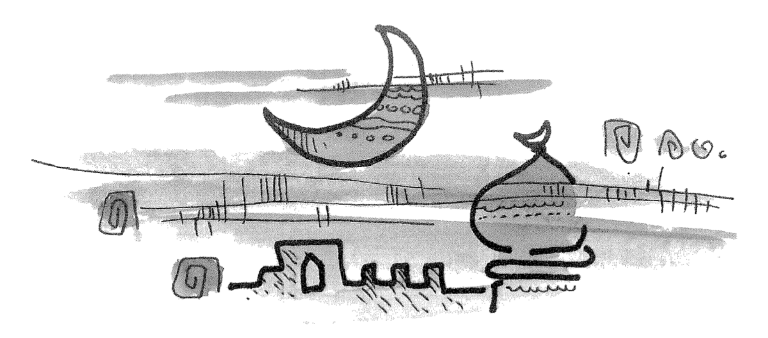
3- تداعيات أحداث العراق: والتي أدت إلى تدهور المصداقية الأميركية بشكل ملحوظ في المجتمع الأوروبي، وإلى تعاطف الرأي العام الأوروبي إلى حد ما مع قضايا العالم العربي، وهو ما أكده الاستطلاع الأوروبي عام 2003 م بشأن الخطر الأميركي والإسرائيلي على السلام والأمن العالميين، كما تؤكده أيضاً بعض المبادرات الثقافية الرسمية والإعلامية، كمبادرة معرض فرانكفورت الدولي للكتاب عام 2004م، والتي كان القصد فيها من وراء وجود الكتاب العربي في موقع ضيف الشرف، منح فرصة للمشاركين العرب من أجل تغيير الصورة النمطية التي اعتاد الغرب النظر من خلالها إلى العالم العربي، ومد جسور التواصل والحوار معه.

كما لا يمكننا إغفال الأثر الإيجابي لمواقف بعض الروابط والمراكز الإسلامية - الأوروبية من أحداث حجز الرهائن في العراق، والتي تابعها الإعلام الأوروبي باهتمام بالغ، كما في قضية المطالبة بالإفراج عن الصحافيين الفرنسيين المحتجزين في العراق.

أوروبا: المشهد المتناقض

لا شك أن أوروبا اليوم تظهر في مشهد متناقض بين انفتاح كبير على الإسلام وتحامل إعلامي عليه، غير أنه عند النظر في عوامل تكوين هذه الصورة، قد نجد تفسيراً مقنعاً لما يجده المشاهد من ألوان متمايزة.

فإذا نظرنا إلى الزاوية الإيجابية، وهي إقبال الأوروبيين على اعتناق الإسلام، أو قبولهم بالتعايش السلمي والاختلاف الثقافي بينهم وبين المسلمين، نجد أن خصائص الإسلام، كانت محور جذب للفئة الأولى التي فهمت أن هذا الدين الحي والكامل والواقعي، في إمكانه أن يمنح أوروبا حلولاً حقيقية

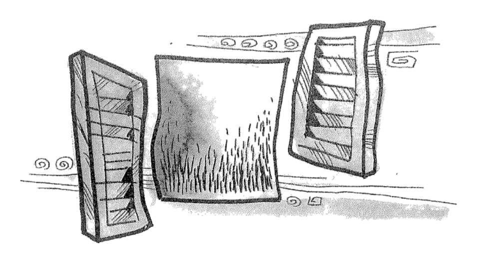


لمشاكلها الكثيرة المادية والأخلاقية، أما أصحاب الموقف الداعي إلى الانفتاح على الآخر وعدم تهميشه، فهم غالباً من فئة الشباب الذين احتكّوا وتعرفوا على عادات المجتمع المسلم من خلال معايشتهم للمسلمين من أبناء الجيل الثاني والثالث، أو من خلال ظاهرة الزواج المختلط، مع التنويه بالأثر الطيب الذي تتركه أنشطة بعض مؤسسات العمل الإسلامي، التي ارتفع مستوى أدائها في كل من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا، وهي في تحسن تدريجي في ألمانيا وهولندا ودول أخرى، وفي المقابل نجد عقدة الغزو الثقافي تسيطر على العديد من الأذهان، فمن المعلوم أن السلطات في أوروبا الغربية حين عزمت على استقدام المسلمين إليها، لم تكن باحثة إلا عن أذرع وسواعد للعمل، غافلة عن كل تأطير ثقافي أو ديني لهذه السواعد، لهذا ترسخ في ذهن الأوروبي مظهر ذلك المسلم المهاجر المغاربي في فرنسا أو التركي في ألمانيا أو الآسيوي في انجلترا، وما يحمله هذا المسلم من عادات وتقاليد مغايرة ومختلفة عن البيئة الأوروبية، ومع ظهور الجيل الثاني والثالث، ازدادت مخاوف البعض من تأثير عنصر الشباب المسلم على الثقافة الأوروبية، فهو يحتك بالمجتمع الأوروبي دون عقدة أو حاجز، ويعبّر عن قيمه ومبادئه في المدرسة والشارع ومكان العمل، ولا يهمه أن ينتقد ثقافة يراها لا تتناسب مع عقيدته.

كما أن مشكلة الهجرة غير القانونية وآثارها السلبية، تعد سبباً خفياً آخر للانزعاج الذي يبديه الأوروبيون نحو المسلمين، والذي لا يتجه أساساً إلى الديانة، بقدر ما يتجه إلى التدفق الكبير من المهاجرين غير الشرعيين نحو وسط وغرب أوروبا.

عقبات وتحديات

مع ظهور الجيل الثاني والثالث من أبناء المسلمين، ظهر الكثير من المشاكل والتحديات، وبدا جلياً للعيان أن السلطات الرسمية الأوروبية، تخاف



اليوم من نشأة ما تسميه (المجتمع الموازي)، ذلك أن التمنع عن الاندماج في وقت تحدث فيه تحولات ديموغرافية داخل أوروبا، من شأنه أن يسلمها إلى حالة من الاضطراب والاهتزاز، وهو ما تحذر منه العديد من الدراسات الحديثة(*) غير المتفائلة، التي تذكر أرقاماً كبيرة لارتفاع نسبة تكاثر المسلمين، وسواء كانت هذه الأرقام صحيحة أو مبالغاً فيها، إلا أن الثابت أن العدد الإجمالي لسكان أوروبا الأصليين في تراجع، بسبب عامل الشيخوخة بحسب إحصاءات الأمم المتحدة، بينما يشكل المسلمون من خلال خريطة النمو الديموغرافي الفئة العمرية الشابّة، مقارنة بغيرها من الفئات.

ولا ريب أن من بين العقبات التي تزيد من صعوبة إشكالية الاندماج والتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات الأوروبية، هي وقوع بعض الحوادث الأمنية، التي تشير بأصابع الاتهام إلى المسلمين، مما يضطر الجالية المسلمة إلى تبني موقف الدفاع عن الإسلام، والإحساس بالقلق من المستقبل، نتيجة التحرشات العنصرية التي باتت تستهدفها ومقدساتها، خصوصاً في ظل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها الأجيال المسلمة الجديدة الناشئة في أوروبا، لأسباب عدة كالفشل الدراسي وصعوبة الحصول على تكوين مهني جيد ومؤهل.

لعل أوروبا تتجاوز هواجسها ومخاوفها الأمنية، وتمضي قدماً نحو التحاور والتعانق مع الإسلام، وهو ما تبشر به أحياناً بعض تصريحات الساسة الأوروبيين، الذين بدأوا يدركون أهمية مراعاة خصوصية التركيبة الثقافية للأجيال المسلمة الجديدة بأوروبا، وضرورة إعادة النظر في كل ما يكتب ويقدم عن الإسلام من طرف بعض الدوائر الإعلامية والاستشراقية الحاقدة، والأمر مرهون أيضاً بما سيبذله المسلمون أنفسهم على صعيد التواصل الفكري والثقافي مع المجتمع الأوروبي، وبما سيبدونه من روح مبادرة وإبداع خاصة في القضايا المشتركة كالبيئة وحقوق الإنسان وقضايا الأسرة وغيرها، وعندها يمكن الحديث عن بداية عهد جديد بين أوروبا والإسلام، الذي سيكون مفتاحاً لأزماتها الكبيرة اليوم، كما كان بالأمس سبباً في نهضتها العلمية الحديثة.

(*) من بين هذه الدراسات دراسة الأميركي تيموثي سافيج بعنوان أوروبا والإسلام: الهلال المتنامي وصدام الثقافات التي نشرتها المجلة الفصلية ذي واشنطن كوارتلي صيف 2004. ودراسة أوريانا فلاتشي في كتابها قوة المنطق.



لغزُ التُّراثِ وشُروطُ الاستمرار

عمر لطفي العالم *

على الصفحات الأولى من كتابها (العقيدة والمعرفة)، مهَّدت الفيلسوفة الألمانية زيجريد هونكه بمقدمة لخّصتْ طبيعة الازمة بين الدين والمعرفة. وقد انتهتْ إلى أن النهضة الأوروبية قامت على تحالفٍ بين العلم والشيطان. وقد خلصتْ إلى هذه النتيجة بعد جولة طويلة من البحث والتقصّي، بيّنتْ فيها سلبيات المسيحية في عصرها الوسيط من جهة، وإيجابيات الاسلام في إذكاء الروح العلمية عند العرب من جهة أخرى. حلَّلت كيف انساقت المسيحية لفلسفة التقسيم الكوني، وكيف انحرفتْ الحركة العلمية عن مسارها الإنساني بفعل بعض المدارس الفلسفية.

واللافتُ أنّ (عبد الرحمن بدوي) الذي قدَّم لكتاب (روح الحضارة الغربية) لم ينتّه إلى النتيجة نفسها حين عكس الآية فحمَّل الدين مسؤولية حجب العامل الإنساني بأخذ نصيبه، ما تسبَّب في توقف إقلاعة العرب العلمية وفي مراوحتها عند نقطة واحدة. هناك وجدتْ ثقافة الاغريق منفذاً إلى الكنيسة في صورة (ما للّه للّه... وما لقيصر لقيصر)، وهنا تعثّرتْ وتلكّأت لأنَّ (الكُلَّ) على الجانب الإسلامي للّه، ولا مكان في الفكر الإسلامي لقيصر هذا. والواقع أن الحديث حول بنية الثقافة الإسلامية لم يتوقف أبداً، كما أنَّ القاسم المشترك بين المتناظرين جميعاً يوشك أن يلتقي عند نقطة واحدة، فالفسيفساءُ الدينية في رأيهم تشير إلى وجود عدد من ثقافات الشرق القديم أسهمتْ في صنع الإسلام لفترة ما قبل وما بعد هجرته من شبه جزيرة العرب، وصولاً إلى الهند وفارس وما وراء النهر عموماً، وإلى التلاقح بين الرسالات السماوية السابقة في صورة العقيدتين المسيحية والموسوية.

بنى النقاد رأيهم على طائفة من المؤشّرات وفَّرها لهم منهج البحث المقارن. ويأتي المؤرّخ هـ. بيكر على رأس أولئك الباحثين، حين حدّد مظاهر الالتقاء بين العقائد السابقة والإسلام بعناصر مشتركة في

* كاتب وباحث/ سوريا

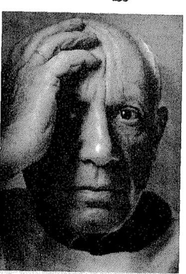
المفاهيم الأخروية والتوحيد والطقوس والعبادات.

لكن غايتي من هذا العرض لا تدور حول هذا الهذيان الفلسفي، إن همّي سينصرف إلى خصيصة أخرى يتميز بها الإسلام دون غيره. ففي ذات يوم استوقفني مشهد سائحة عجوز، وقفت تلوح غاضبة وتصرخ بملء صوتها: «ويحكم ماذا تفعلون؟»، قلتُ: إنهم يصلحون ما أفسده الحريق، سخرتْ وقالت: «أنّى لكم.. إن كُلَّ قطعة فيها تحكي قصة أمّة وحياة شعب».

ليس هذا شاهدي الوحيد، فالأمثلةُ المرويَّةُ والمكتوبة على انبهار ذوي الشأن والمتخصصين بالآثار الإسلامية أكثر من أن تحصى، وبرغم هذا تبقى الوفرة من هذه الشهادات دون المستوى، لأنَّ الذين عبَّروا عن إعجابهم من شرق وغرب لم يسافروا بعيداً بخيالهم، ولا كلَّفوا أنفسهم عناء الغوص في ما وراء الحدث.

إن الجهل بالحضارات وطبيعتها عادة ما يوقع بها حيفاً كبيراً. ومبلغُ علمي أن نصيب الإسلام من هذا الغبن لم يكن طفيفاً، ما حدا برسام إسبانيا الأول بيكاسو للقول: ما بلغتُ في الرسم التشكيلي نقطة إلا واكتشفتُ أن العرب سبقوني إليها منذ زمن بعيد. ولعل أقوى مؤشر سُجِّل في هذا الاتجاه، ما كان من مستشار البلاط النمسوي ومؤلف كتاب (تاريخ العرب الأدبي) يوسف فون هامر، وقد تأثَّر بالفنون المعمارية الاسلامية التي جلبها الفاتحون الترك إلى البلقان، إلاَّ أن أوصى بأن يدفن بعد موته بحسب المراسم والتقاليد الإسلامية، ومن يزُرْ مقبرة مدينة غراتس التي دُفن فيها، يجدْ شاهدة رخامية نُقش عليها اسمه وفاتحة الكتاب، ثم ما لبث قصره الذي تزيّنه القباب والاقواس والزخارف العربية والآيات القرآنية الكريمة أن أصبح تحفة النظار وقبلة الزوار.

على أي حال لسنا الوحيدين في عالم يزخر بكل ألوان الثقافات والحضارات، ولا ينبغي لمشاعر الفخر والاعتزاز أن تصرف الأنظار عن أن المعيار الثابت لا يعني بالضرورة نيل الجائزة أو الفوز بلقب البطولة. إن المسألة أعمق من التصفيق الحار وأبعدُ من شهادة سطحية يُدلي بها سائح عابر. لقد بنى الصينيون سورهم الغابر وما زال قائماً، والبابليون أعجوبة الحدائق المعلقة، كذلك تفجّرت عبقرية الهنود في تاج محل. وحنَّط المصريون جثامين ملوكهم وأخفوها إلى أن جاء يوم غدا فيه هذا الفرعون مصدراً مهماً من مصادر الثروة ومعلماً بارزاً من معالم الطب.

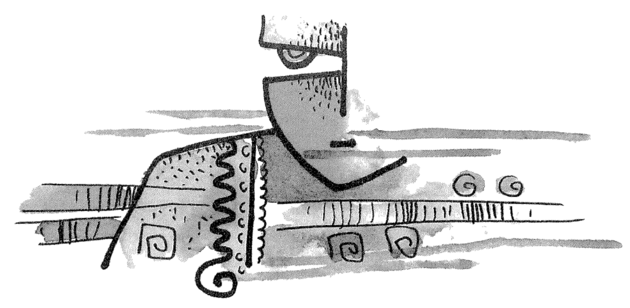


ما بلغتُ في الرسم التشكيلي نقطة إلا واكتشفتُ أن العرب سبقوني إليها منذ زمن بعيد.

الرسام الإسباني بيكاسو

بات تعريف التراث أمراً مُهمّاً بعدما اختلطت المفاهيم وتداخلت، وظن كل فريق أنه يقبض بيمينه على مفاتيح التعريف الصحيح. ولا أزعم أنني أملك تعريفاً تقبل به كل الأطراف وينطبق على سائر الحالات.

لِمَ، تسألني، «لأن التراث بكل بساطة شيءٌ نسبيٌّ». هو للبعض طرافةٌ عفا عليها الزمن وتناهبها عامل القدم، جزءٌ عزيز من الماضي ذهب ولن يعود. أما التعريف الثاني فالحكمة تقضي أن نستخلصه من خلال المثال لا الأقوال: في عهد الإدارة العثمانية استطاع الأوروبيان هاينريش فون مالزمان وسنوك هورخرونيه الافلات من عين الرقيب والتسلُّلَ متنكِّرَيْن في رحلة



حج إلى الديار المقدّسة. استقبل الأول ـ كما ذكر في كتابه ـ الكعبة المشرّفة، أخذته الصيحة وهو يتأمّل قبلة المسلمين في بادئ الأمر، ثم خاب رجاؤه حين أرسل عيّنة من ماء زمزم إلى معمل التحليل في طريق العودة، ووجد أنها لا تزيد على مركبات كبريتية قلوية وأملاح بحسب وصفه.

هكذا خمّن ولكنّ، لو أن هذا البناء البركاني القاتم لم يختزن بين جنباته سوى الماضي فقط، لو أن ملايين القاصدين لم يقطعوا رحلة البحار والقفار في أكبر تظاهرة عالمية تشهدها بقعة ما، إذاً لجاز أن يكون السواد والبياض والطعم والرائحة مقياساً صالحاً لقيمة الأشياء. إنّ آباءنا الأولين لم يبنوا المساجد التي ترتفع فوقها هامات المآذن لمجرد أن تكون شاهداً جمالياً على روعة الفن الهندسي الإسلامي في قادم من الزمان. إنّ همّهم الأول انصرف لإسماع القاصي والداني تكبيرات المؤذن للصلاة، فإذا حدث وتداعى الناس بعدها من جهات المعمورة الأربع، ووقفوا خاشعين في المحاريب المنمنمة، مأخوذين مسحورين بالصحون التي تترقرق في جنباتها نوافير المياه، فلأن الجديد في دور العبادة هذه، أنها ليست ترجمةً تطبيقية لمفاهيم لاهوتية مكتوبة، على النحو الذي صوغته أخيلة النحاتين والرسامين التشكيليين لملابسات حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

في هذا السياق لم يقتصر دور المؤرِّخ الفرنسي كلود كاهان، لدى تعريفه بالتراث، على عمليات العرض والوصف والفهرسة، لقد تعداها للخوض في إيديولوجية المخترعات، فشروق الشمس وغروبها، وتحديد الجهات الأربع، واختراع البوصلة والاسطرلاب، والطب والصيدلة، والفلك والتنجيم والجغرافيا، بل وفنّ الخطوط والزخارف، كلُّ ذلك كان بحافز ديني، تمثل بالرغبة في تحديد القبلة، ومواقيت الصوم والصلاة، وحسابات السنة والأشهر، ووضع حدٍّ فاصلٍ للتفريق بين العلم التجريبي الصادق وشعوذة المنجّمين والسحرة. وأجزمُ ان العلوم الاسلامية لو استمرّت على وتيرتها ولم يتبدّل منهجها الروحي القويم، لغدت المكتشفات والعلوم الحديثة التي تأبطها الشر رحمة للعالمين وعائد خير على الناس أجمعين. هل في وسع أحد أن يتصور أن هذا الكمَّ الهائل من الفنون والصنائع تمَّ في كنف أنساقٍ اجتماعية ضيّقة الصدر وفي مناخ تشريعي يُلجم المواهب؟!

إن الجالس على ميزان الحلال والحرام خلال القرنين الثاني والثالث كان ينظر إلى الكتاب بعين، وبالعين الأخرى إلى ثقافات العالم المتوثّبة من حوله.

لأجل ذلك رشحت (زيجريد هونكه) صفة التسامح ووضعتها على رأس الصفات التي تميّزت بها ثقافة المسلمين عن غيرها من الثقافات. يقال إن إبراهيم الموصللي أطرب الجُلاس - أضحكهم وأبكاهم في آن - ثم أنامهم وانسلَّ من المجلس وخرج، فأيٌّ نظام ديني متزمت هذا الذي يسِمون به الإسلام؟ ما أوسع الهُوة بين السلطة التيوقراطية ودولة الخلافة، لم يميّزوا الخيط الأبيض من الأسود. فقد تحدّث تاريخ الموسيقى في الغرب عن عازف كمانٍ إيطالي خرج عن طوع الكنيسة. أبى باجانيني - وهذا اسمه - أن يعمل لحسابها وأن يقدم ألحاناً جنائزية، نزل به غضب الآباء وحلّتْ عليه لعنة الرب. وحين مات بعد حياة مفعمة بالأسى، حرَّموا دفنه في مقابر (المؤمنين)، وطاف عشاقه ومحبّوه بتابوته في أرجاء (الجزمة) الإيطالية، فلما يئسوا من الحصول على موافقة رسمية بالدفن، قبروه بعد سنتين من الترحال والتجوال في مكان مجهول ولم يزل..! ترى هل سمع أحدنا بحاكم واحد تدخّل في مسألة تخص الذوق والمشاعر والإلهام والإبداع؟ إن معظم الاعمال الخالدة تمَّتْ إما بإيعاز أو بإشراف من الخلفاء أنفسهم. ولكي لا يُساء فهمي فليس هذا تبريراً للمجون ولا تجاهلاً لتشديد النكير على الجاهلين. وإذا حرَّم الإسلام التقليد بالتصوير لأمر يخصُّ الشرك والوحدانية، فقد أدى ذلك إلى ارتقاء المسلم (بفنّه المشروع)، حين انصرف عن شبهة المشاركة الى تمجيد الخالق بفنون أكثر جمالاً وأرق حاشية. ما تحريمُ التصوير والتجسيد إلاّ تأديبٌ للنفس البشرية من نشوة الكبرياء وسكرة التعالي: حين فرغ ميشيل أنجلو من نحت تمثاله (موسى) نظر إلى التمثال والإزميل ما يزال في يده وصرخ: (أنطق.. تكلّم). فكّر قليلاً ثم قذف التمثال بإزميله فجدع أنفه، لقد فعل ما فعل لأنه ندم، أدرك بعد هُنيهة أنه جاوز قدره كبشر!!

كان ينبغي على كل راغب في فهم طبيعة التراث أن يمسك الخيط من أوّله. إن أعظم هدية قدَّمها الخلفاء الراشدون لأمّة الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ أنّ أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بحرق ما تجمّع لديه من كُتُبَةِ القرآن الأولى.

وإذا شهد المستشرق نولدكه شهادة حق في أن (مصحف عثمان) وحَّد الأمّة خلف إمام واحد (راجع ترجمتنا لكتابه تاريخ القرآن)، فقد كان حرق الرقاع عملياً حرقاً من أعلى موقع لما يمكن أن يشكل في المستقبل جسور تقديس بين الجامعين والمُتلقين. ما هذه لعُمري سوى شامةٍ زيّنتْ محيا الإسلام العظيم الذي قطع الطريق منذ البدء على جميع صور عبادة الفرد ولو ارتقت بنسبتها لأغلى الرجال.

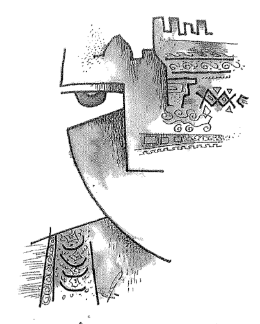
لو لم يُقدم الخليفة الصالح على المصحف الواحد لتجمع لدينا من المصاحف اليوم ما يساوي عدد القراءات الشاذ منها والقانوني معاً، بما يشبه أناجيل متّى ومرقس ويوحنا وغيرها. أقول هذا الكلام لأن تحرير كلام الله من الذات البشرية أعطى القوة والديمومة لكل قرار استمد أصوله من القرآن الكريم. وعلى هذا فلم تتحوّل حفصةُ ولا ابن مسعود ولا أُبي، ولا الكسائي ولا الفرّاء إلى صنم بشري، إلى لوثر أو توماس الاكويني. ولأجل هذا أيضاً فالتراث - تحت أي اسم انضوى وفي أي مجال تحرّك - كان مهيئاً لوصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل. ومنذ أن تحطمت الأصنام وطارد الشركَ الإيمانُ طبع التوحيد كل شيء: اللغة، الآداب، حتى الهندام والفنون والعلوم.

ترى هل سمع أحدنا بحاكم واحد تدخّل في مسألة تخص الذوق والمشاعر والإلهام والإبداع؟ إن معظم الاعمال الخالدة تمَّتْ إما بإيعاز أو بإشراف من الخلفاء أنفسهم.

لم يعُد (لقيصر) الوثني موضعٌ في المجتمع الإسلامي، لأن كلَّ شيء بات يدين بالولاء للواحد الأحد. ولم تشهد سلسلة التطوّر الاجتماعي على جانبي الطريق خلخلة مسَّ في أسوأ طفراتها «النوع» أو خرجت بالخلية الفكرية على قانون التكاثر: استمرَّ التوالد طبيعياً، مثمراً مُزهراً ما احتكم الناس للكتاب وتأدبوا بأدب محمد ﷺ، تعقلنت العلوم من بعد ما كانت مرتعاً للسحر والشعوذة، وأصبح للأدب نكهة ومذاق وكان جهالةً وضلالة. واللغة بدورها تحوّلت بالقرآن عن مقعدها الفئوي ووظيفتها العصبية الضيّقة إلى لغة لعموم الكون، توحّدت من حولها كلمة العرب وتعارفت الأمم. لأوّل مرّة منذ عادٍ وثمود لم تعُد العربية سلاحاً ماضياً للزجر والتنافس القبلي وهتك الأعراض، بل وسيلة بنّاءةً للمعارف والآداب والعلوم والارتقاء بالذوق نحو الأفضل.

في حقبة من حقب التاريخ داس الرومان بمياسم جيوشهم رقاب الاوروبيين ودانت لهم ثقافاتها، فكان من نتيجة ذلك أن ذابت اللهجات المحلية تحت كلكل اللغة الغالبة، ولكنّ ما ان انزاح سلطان روما حتى انحسر معها سلطانها الثقافي، وتوارت اللاتينية ومعها اليونانية لتصبحا لغتين للخاصة والمناسبات والمصطلحات في أحسن الاحوال. لكنّ العربية وحدها، برغم كل الغبار الذي أثير من حولها، لم تلاق هذا المصير ولم تتحوّل كما تحوّلت اللغات السامية أو بنات عمومتها إلى لغات أقليات منسية، لأحافير في متاحف اللغات. بِمَ وكيف تمَّ ذلك؟ إنه السؤال الأخطر الذي قد لا يحتاج إلا لإجابة بسيطة:

فمنذ اللحظة التي رفع فيها العرب لواء الفتح ونشر الدعوة، أعادوا الاعتبار للعربية، من لغة بداوة لا تصلح لغير حداء العيس كما زعموا، إلى لغة حضارة لا يختلف بشأنها اثنان. إنها الحالة الوحيدة التي لم



تفرض بها لغة نفسها بحد السيف أو قانون المنتصر. لقد أحبَّ الهندي والماليزي، الفارسي والبخاري والبربري، أحبّوا العرب والعروبة لأجل لغة العرب، وأحبّوا لسانهم زلفى لقرآنهم. ولم يقلق الأوائل كالأواخر على لغتهم قلق البعض على لغاتهم خشية الاندثار، فيجنّدون لها المدارس والإرساليات وربما خاضوا لأجلها حروباً ثقافية. أما لغتنا فقد مشت مشْي النار في الهشيم.

ها هُم، من الشمال إلى الجنوب، ومن أقصى الشرق لأقصى الغرب يقبلون بشهية منفتحة على لغة الأعشى وطرفة ولبيد، في عصر الاستنساخ والذرّة والهاتف النقّال. فشكراً... وتحية.. ألف تحية للقرآن الكريم!

لقد وجد هذا التراث ليبقى، والحديث عنه ليس حديثاً عن تركةٍ مات عنها أصحابها فتيتّمت. إن التراث العربي الإسلامي شيء في النفس والعقل والوجدان قبل ان يكون في الزخارف والقراطيس والبنيان.

وإحياء التراث لا يكون بنشره على الملأ بصفته جزءاً من الماضي المشرّف فقط، بل في ان ننفتح وان نعرِّف الناس بأننا أصحابُ كائن حيّ لا يموت، فما أمسك شاعر منا بقلم، ولا مشت ريشةٌ رسام على ورق إلا وكانت يدُ الله فوق يده، وفي بصره وبصيرته وفي قلبه ولسانه.



الخطر الأقسى على المسجد الأقصى

محمد السماك *



في الحادي والعشرين من شهر هانيبال (أغسطس) من عام 1969 مسيحي امتدت يد الإجرام الصهيونية إلى مسجد الأقصى وأشعلت فيه النار. أتى الحريق على 1500 متر مربع من أصل 4400 متر مربع هي مساحة المسجد الإجمالية، فدمّر الحريق بالكامل منبر صلاح الدين الأيوبي ومسجد عمر ومحراب زكريا، ومقام الأربعين، وثلاثة أروقة من الأعمدة والأقواس، كما دمّر السقف وأجزاء من القبة الخشبية الداخلية، و48 شباكاً مصنوعاً من الجص والزجاج الملوّن، واحترقت مفروشاته من السجاد القديم، وأتت النيران كذلك على مجسم لسورة الإسراء مصنوع من الفسيفساء.

كان الهدف من وراء تلك العملية تدمير المسجد الأقصى. لم تكن تلك المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة. ولعل آخر محاولة هي التي اعترف بها وزير الأمن في الحكومة الإسرائيلية تساحي هنغبي في 24 من شهر ناصر (يوليو) الماضي 2004 مسيحي.

جرت عدة محاولات صهيونية حتى الآن للتخلص من المسجد الأقصى.

كانت المحاولة الأولى مباشرة بعد احتلال القدس.

ففي شهر هانيبال (اغسطس) 1967 مسيحي، أي بعد شهرين من احتلال القدس؛ اقتحم الحرم الإبراهيمي خمسون مسلحاً يهودياً يتقدمهم حاخام الجيش الإسرائيلي شلومو غورن (الذي أصبح فيما بعد حاخام إسرائيل الأكبر). وكان هذا الاقتحام المسلح أول تدنيس للحرم القدسي، كما كان أول خرق يهودي لقانون (هالاشا) اليهودي الذي يحرّم على اليهود دخول (جبل الهيكل) قبل مجيء المسيح. حاول المقتحمون يومها تدمير المسجد الأقصى ولكنهم فشلوا، ثم مُنعوا.. وقد مُنِعوا لأنهم فشلوا وانكشفوا.

وجرت المحاولة الثانية بعد ذلك بعامين. في شهر هانيبال (أغسطس) 1969 مسيحي، والتي أشرت إلى بعض نتائجها المدمرة.

---

* كاتب وباحث - رئيس لجنة الحوار الإسلامي - المسيحي / لبنان



قبة الصخرة

وفي شهر هانيبال (أغسطس) من 1979 قامت جماعة غوش إيمونيم بالمحاولة الثالثة. جرى التخطيط لهذه المحاولة (أثناء حكومة مناحيم بيغن) في مستعمرة كريات أربع التي تقع في قلب مدينة الخليل. وكان جهاز المخابرات (الشين بيت) على علم بها. وقد وضعت الجماعة مخططين لتدمير المسجد الأقصى. يقضي الأول بتزنير المسجد بالمتفجرات ونسفه. ولكن الخوف على ما يسميه اليهود (حائط المبكى) أدى إلى صرف النظر عن هذا المخطط. أما المخطط الثاني فهو قيام طائرة حربية يخطفها طيار عسكري بإلقاء القنابل المحرقة والمدمرة من الجوّ على المسجد. ولكن الخوف من أن تصيب أشلاء المسجد المتطايرة المستوطنين اليهود في القدس القديمة أدى إلى صرف النظر عن هذا المخطط أيضاً.

لم تفشل هذه المحاولات، ولم تُكشف، ولكن اعتُرِفَ بها بعد أن تخلى عنها أصحابها. فالمخططان اللذان وضعتهما غوض إيمونيم لم يُعلَن عنهما إلا في عام 1984 مسيحي، أي بعد مرور خمس سنوات على محاولة تنفيذهما. إن الذين خططوا لكل هذه المحاولات لم يكونوا يهوداً فقط. الذي أحرق المسجد الأقصى في عام 1969 لم يكن يهودياً. كان صهيونياً مهاجراً من أستراليا من أعضاء الحركة الصهيونية المسيحانية التي تعتبر قيام إسرائيل واحتلال القدس وبناء هيكل يهودي على أنقاض المسجد الأقصى شروطاً لأزمة التحقيق للعودة الثانية للمسيح.

كذلك لم يكن اختيار شهر هانيبال (أغسطس) من ذلك العام صدفة.

ففي التاسع من شهر هانيبال (أغسطس) من عام 586 قبل الميلاد سقطت مملكة يهوذا على يد نبوخذ نصر ملك بابل، فأحرق جيشه مدينة القدس وهدم الهيكل اليهودي وسبى اليهود إلى بابل، إلى أن أعادهم إليها بعد 70 عاماً قورش ملك الفرس.

وفي التاسع من شهر هانيبال (أغسطس) أيضاً من عام 70 بعد الميلاد، انتقم الرومان من اليهود ودمّروا الهيكل الثاني الذي أعيد بناؤه بعد العودة من بابل، وقد دام الحكم الروماني على فلسطين 700 عام إلى أن حرّرها العرب المسلمون في عام 637 مسيحي.

لـذلك تشـكـل ذكـرى الـتـاسـع مـن هـانـيـبـال (أغسطس) من كل عام مناسبة دينية، حيث يتجمّع اليهود أمام حائط البراق الذي يعتقدون أنه الجزء الوحيد المتبقي من الهيكل بعد تدميره الثاني، ولذلك يسمّونه بحائط المبكى. وهناك يجدّدون العهد بإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، وفي موقعه.

في 20 هانيبال (أغسطس) من عام 1929 حاول اليهود لأول مرّة السيطرة على الجدار بالقوة. فتصدّى لهم أهل القدس. كانت فلسطين يومذاك تحت الاحتلال البريطاني، وكانت بريطانيا تتواطأ مع اليهود وتحميهم. إلا أن المظاهرات الشعبية التي عمّت المدن الفلسطينية حملت سلطات الاحتلال على التراجع، فوافقت على تشكيل لجنة دولية للتحقيق وللتوصية بما يجب أن يلتزم به الطرفان المسلمون واليهود. وقد أقرت اللجنة الدولية التوصيات الثلاثة التالية:

1 ـ تعود للمسلمين وحدهم ملكية الحائط الغربي، أي حائط البراق كما يسميه المسلمون أو حائط المبكى كما يسميه اليهود. ولهم وحدهم ـ أي للمسلمين ـ الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسي الشريف.

2 ـ تعود للمسلمين أيضاً ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بـ(حارة المغاربة) المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البرّ والخير. (أزيلت حارة المغاربة عن آخرها فور احتلال القدس في شهر الصيف (يونيو) عام 1967).

3 ـ لا يجوز اعتبار أدوات العبادة التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط، أمراً من شأنه ترتيب أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له.

في شهر هانيبال (أغسطس) من عام 1897 عُقِدَ



الحريق الذي شب في مسجد الصخرة

في مدينة بابل بسويسرا المؤتمر الصهيوني الأول بدعوة من ثيودور هرتزل. كان مؤتمراً لليهود الصهاينة، وكان نواة وقاعدة انطلاق الحركة الصهيونية. وفي عام 1985، أي بعد 88 عاماً، عُقِدَ في نفس المدينة السويسرية بال، وفي الفندق نفسه، وفي القاعة ذاتها من الفندق، وفي الشهر ذاته أيضاً هانيبال (أغسطس) مؤتمر صهيوني من نوع آخر ضمّ عدداً من الكنائس الإنجيلية المتصهينة التي تعتبر قيام (صهيون) أمراً تمهيدياً لا بدّ منه للعودة الثالثة للمسيح.

وجّه الدعوة إلى هذا (المؤتمر الصهيوني المسيحاني) الدكتور دوغلاس يونغ مدير المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة، وترأسه الدكتور فان دير هوفين رئيس الكنيسة الإنجيلية الهولندية، وحضر المؤتمر التأسيسي 589 شخصية دينية من الولايات المتحدة وأوروبا، ومن كنائس مماثلة في دول أفريقية وآسيوية أخرى بلغ عددها 27 دولة.

ومنذ ذلك الوقت، يُعقَد في شهر هانيبال (أغسطس) من كل عام مؤتمران، الأول للحركة الصهيونية ـ اليهودية استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظمه هرتزل، والثاني للحركة الصهيونية ـ المسيحية الذي أعدّه دوغلاس يونغ.

انبثقت عن مؤتمر 1985 منظمة جديدة تحمل اسم

(السفارة المسيحية الدولية من أجل القدس). مهمتها توظيف النفوذ المعنوي والمادي من أجل تمكين المؤسسة الجديدة من تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بمتطلبات العودة الثانية للمسيح، وأهمها تثبيت أقدام الدولة الصهيونية، وتجميع بقية اليهود فيها بعد ضمّ كل الأرض التي وعدهم الله بها (٩)، وبناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى.

وقد عملت السفارة المسيحية الدولية على تحقيق معظم الأهداف التي أعلنتها في عام 1985، ومن أبرزها نقل يهود الاتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل، وإنهاء المقاطعة ضد المصالح الإسرائيلية، والضغط على دول أوروبا الشرقية والوسطى لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل. وقد لعبت هذه المنظمة الدور الأبرز في استصدار القرار الأول عن مجلس الكونغرس الأمريكي (الشيوخ والنواب) في شهر الطير (إبريل) 1990 مسيحي، الذي نصّ على دعوة الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ثم باستصدار القرار الثاني في عام 1995 بنقل مقرّ السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

وللسفارة المسيحية الدولية فروع في عدد كبير من دول العالم تقوم بالمهمة نفسها. ويشكل المؤتمر السنوي الذي تعقده في شهر هانيبال (أغسطس) من كل عام مناسبة لتقييم المنجزات التي حققتها، ولوضع برنامج عمل للعام الجديد. وتتولى هذه المنظمة بشكل أساسي تنظيم عمل 250 هيئة وجمعية أمريكية (غير يهودية) تعمل في الولايات المتحدة على قاعدة تفسيرات صهيونية لما يعتقد أنه نبوءات توراتية تتعلق بعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة صهيون التي يظهر فيها المسيح ثانية مخلصاً الإنسانية من الشرور التي تغرق فيها.

إلى جانب مؤسسة (السفارة المسيحية من أجل القدس) هناك مؤسسات إنجيلية من اليمين المسيحي الأمريكي تتنافس على دعم إسرائيل وعلى تمويل مشروعاتها الاستيطانية، منها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة الصداقة الدولية بين المسيحيين واليهود ومقرّها في شيكاغو، وهي تجمع التبرّعات من المسيحيين اليمنيين في الولايات المتحدة لتشجيع الاستطيان اليهودي. ومنها مؤسسة أبناء الهيكل، ومهمتها العمل على بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

تؤمن هذه المؤسسات الواسعة الانتشار بأن إرادة الله متمثلة بقيام إسرائيل. وأن الله يساعد من يساعد إسرائيل ويعادي من يعاديها. وأن قيام إسرائيل يؤكد توافر الشروط التي طال انتظارها من أجل العودة الثانية للمسيح، وبالتالي فإن الدفاع عن إسرائيل هو عمل ديني يتعلق بثوابت إيمانية وليس مجرد موقف سياسي يتأثر بالمتغيرات من الأحداث.

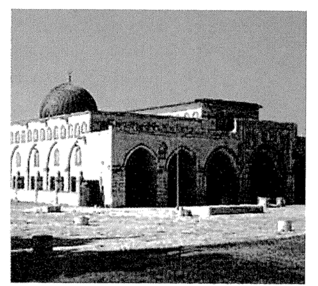
في الولايات المتحدة الأمريكية والتي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة 1400 محطة إذاعية دينية يعمل بها 80 ألف قسيس.

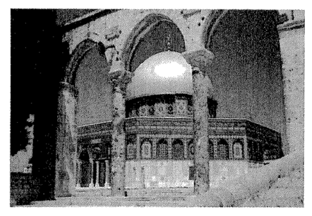
إن في الولايات المتحدة الدولة العلمانية (والتي ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة) 1400 محطة دينية يعمل فيها 80 ألف قسيس إنجيلي أكثريتهم الساحقة من أتباع هذه المدرسة التي تعتبر إسرائيل تجلياً إلهياً وتجسيداً لنعمه من أجل خلاص بني البشر!!

لذلك ما أن تواجه إسرائيل أزمة أو مأزقاً، حتى يتحرك هذا الجيش الإعلامي - الديني عبر شبكة الكنائس الإنجيلية اليمينية المتطرفة ومحطات الإذاعة والتلفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والأسبوعية التي تتولى إصدارها.

ينطلق التحرك من مقولة ثابتة من مقولات هذه الحركات الدينية، وهي أن القوانين الدولية الوضعية لا تطبق على إسرائيل لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية. وتالياً فإن ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار. وما يقرّره الله لا تلغيه ولا تعدله قرارات الأمم المتحدة، ولا يعطله أو يؤخره القانون الدولي.

تكّونت هذه الأدبيات الدينية التي تجعل من اليهود الشعب المؤتمن على الخطة الإلهية التي يتحدد بمقتضاها مصير البشرية جمعاء، والتي تجعل من إقامة دولتهم المدخل الوحيد الذي لا بدّ منه إلى هذه الخطة بما تعنيه من تمديد للعودة الثانية للمسيح، وهي العودة التي تحسم مصير صراع الإيمان والكفر والتي تنتهي بانتصار المسيح وسيادته على العالم مدّة ألف عام ومن ثم تقوم الساعة.


المسجد الأقصى من الخارج


قبة الصخرة

من خلال هذه الأدبيات أصبح بالإمكان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تعبّر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية. أي أن الإنسان يعرف ما يريده الله من خلال قراءته للنبوءات التوراتية. ثم يعمل على تحقيق ما يريده الله في ضوء ما توحي له هذه القراءة.

في ضوء هذه الأدبيات الدينية، وفي ضوء هيمنة المؤسسات التي تعتنق هذه الخلفية وتروّج لها، على القرار السياسي الأمريكي، يمكن فهم خلفية الموقف الرسمي الأمريكي المعارض لمبدأ عودة الفلسطينيين إلى ديارهم عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي 194، والذي يشجع في الوقت نفسه اليهود على الاستيطان في غزة والضفة الغربية والتأييد المطلق لكل ما تقوم به إسرائيل من أعمال بصرف النظر عن الشرعية الدولية. فالمهم هنا شرع الله لا الشرعة الدولية.

ومن الواضح أن سياسة الرئيس جورج بوش ومواقفه من الانتفاضة الفلسطينية وتغطيته للجرائم التي يرتكبها شارون تتمّ على قاعدة هذا الإيمان.

وكان الكونغرس الأمريكي جدّد تبنّيه قرار نقل السفارة

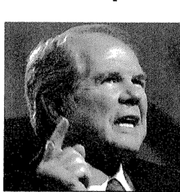
الأمريكية إلى القدس في شهر الفاتح (سبتمبر) 2002 ووقّع عليه الرئيس بوش نفسه استجابة لطلب اليمين الإنجيلي المتطرف. وهو ما لم يفعله أي رئيس أمريكي قبله.

صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الأرثوذكسية، وكذلك العديد من الكنائس الإنجيلية الأمريكية الأخرى تعارض عمليات التهويد العقائدي والتوظيف السياسي للمسيحية وتعتبرها تشويهاً لها وتضليلاً للمسيحيين المؤمنين، إلا أن الصحيح في الوقت نفسه أن الدور السياسي الذي تقوم به منظمة السفارة المسيحية الدولية باختطاف المسيحية واستغلال اسمها وشعاراتها، يكاد يصبح الدور الأهم في التأثير على صناعة القرار الأمريكي من قضايا الشرق الأوسط عامة ومن الصراع العربي - الإسرائيلي تحديداً.

في المؤتمر السنوي الذي عقدته هذه الحركة في واشنطن في شهر الحرث (نوفمبر) 2002، قال أحد قساوستها بات روبرتسون «إن الفلسطينيين ليسوا سوى مجموعة من العرب قدمت إلى إسرائيل منذ عدة عقود فقط، وإن ادعاءهم بالأرض هو ادعاء حديث بينما ادعاء اليهود يعود إلى ثلاثة آلاف عام. وإن جبل الهيكل هو لإسرائيل وليس للفلسطينيين». واستشهد بالفصل 33 من التوراة (الأرقام) حيث يدعو الربّ موسى إلى وراثة أرض كنعان محذراً من أن يُبقي فيها على أحد من الكنعانيين «لأنهم سيتحولون إلى أشواك في الخواصر وإلى عيدان في العيون لينغصوا عليكم حياة الهناء في أرضكم».

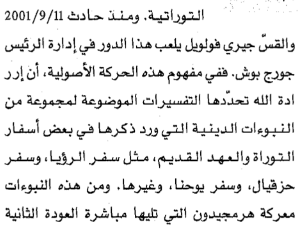
إن هذه الحركة الدينية، باعتقاداتها وبتعاليمها التوراتية - المخالفة للمبادئ المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية - تهيمن على المطبخ السياسي الأمريكي فيما يتعلق بالشرق الأوسط، وهي التي تتولى بلورة وصياغة القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية وبقضية القدس تحديداً.

ومن أتباع هذه الحركة شخصيات أمريكية سياسية ودبلوماسية وإعلامية وعسكرية تتبّوأ مراكز قيادية بارزة كان منها مثلاً قبل الرئيس الحالي جورج دبليو بوش، الرئيس الأسبق رونالد ريغان.



لقد كان القس روبرتسون في دبابة الجنرال دايان عندما احتلّ القدس في عام 1967، وكان القسّ جيري فولويل في دبابة الجنرال شارون عندما احتلّ بيروت في عام 1982.

ففي عهده، أصبح تقليدياً دعوة شخصية دينية أو أكثر من هذه الحركة إلى البيت الأبيض في كل مرة يجد الرئيس الأمريكي نفسه مذعوراً لاتخاذ قرار جوهري يتعلق بالشرق الأوسط. أهمية هذه المشاركة الدينية هي العمل على توجيه القرار السياسي الأمريكي بحيث يتوافق مع إرادة الله كما تحدّدها النبوءات التوراتية. ومنذ حادث 2001/9/11



والقسّ جيري فولويل يلعب هذا الدور في إدارة الرئيس جورج بوش. ففي مفهوم هذه الحركة الأصولية، أن إرر ادة الله تحدّدها التفسيرات الموضوعة لمجموعة من النبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض أسفار التوراة والعهد القديم، مثل سفر الرؤيا، وسفر حزقيال، وسفر يوحنا، وغيرها. ومن هذه النبوءات معركة هرمجيدون التي تليها مباشرة العودة الثانية للمسيح.

لقد كان القس روبرتسون في دبابة الجنرال دايان عندما احتلّ القدس في عام 1967، وكان القسّ جيري فولويل في دبابة الجنرال شارون عندما احتلّ بيروت في عام 1982.

السؤال الآن: ما العمل؟

في عام 1979 أي بعد عشر سنوات من حريق المسجد الأقصى، شكلت منظمة المؤتمر الإسلامي لجنة خاصة لوضع استراتيجية مشتركة لتحرير القدس. وبعد 25 عاماً على تشكيلها فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو ماذا حققت هذه اللجنة حتى الآن؟. إن الجواب الذي لا يحتاج إلى عناء بحث وتفكير هو لا شيء. ولكن بالمقارنة، تأسست في واشنطن (مؤسسة معبد القدس) برئاسة رايزنهوف رئيس منظمة السفارة المسيحية الدولية ـ التي سبقت الإشارة إليها ـ مهمتها جمع التبرّعات والمساهمات المالية لتدمير الأقصى وبناء الهيكل. وأنشأت هذه المؤسسة في مدينة القدس القديمة معهداً خاصاً باسم (ياشيف اتيريت كوهانيم) أي معهد تاج الحاخاميين لإعداد الكهنة الذين سيخدمون في الهيكل الثالث بعد بنائه بما في ذلك مناسك التضحية بالحيوان.

كما موّلت عملية تجري منذ سنوات لاختيار حجارة البناء وصقلها وتجميعها في موقع خاص إلى أن تحين ساعة الصفر. وساعة الصفر، هي تدمير المسجد الأقصى.

وفي كتابه The Last Late Planet Earth يقول القس هول ليندسي مؤلف الكتاب، وهو من كبار منظري الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة: «لم يبقَ سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية، وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم، ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى في جبل موريا حيث شيّد الهيكلان السابقان».

ورغم أن كل أعمال التنقيب عن بقايا الهيكلين المدمّرين تحت الحرم القدسي الشريف لم تعثر على دليل واحد أو حتى على حجر واحد.. فإن ثمّة إصراراً على أن المسجد الأقصى يقوم في موقعهما، وأنه لا بدّ من تدميره لبناء الهيكل الثالث على أنقاضه!!

وضع المهندس اليهودي (إيفي يوناه) تصميم الهيكل الثالث. وأقرّت التصميم الحاخامية في إسرائيل والدياسبورا كما أقرّته المنظمات اليهودية المختلفة. يبقى تهديم المسجد الأقصى. فالقرار بالتهديم اتُّخِذَ منذ سنوات، أما التنفيذ فإنه يتمّ تدريجياً وعلى مراحل بمعولين:

معول التطرف الديني الصهيوني، ومعول الخنوع العربي والإسلامي. ولا شك في أن المعول الثاني أشدّ خطراً على المسجد وأكثر فعالية في مخطط تدميره.

من هنا فإن إنقاذ المسجد الأقصى، وبالتالي إنقاذ القدس، وفلسطين، يتطلب وعياً عربياً إسلامياً حقيقياً، وتعاوناً إسلامياً ـ مسيحياً عالمياً حقيقياً أيضاً حتى تتحرر القدس من دنس الاحتلال، وحتى تستعيد دورها عاصمة للسلام والإخاء بين المؤمنين جميعاً. ولكن هل إن هذا التعاون ممكن؟

في 24 من شهر أي النار (يناير) 1904، وجّه البابا بيوس العاشر رسالة إلى ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية رداً على رسالة كان هرتزل قد وجهها إلى البابا طالباً فيها دعم الفاتيكان لمشروع تهجير اليهود إلى فلسطين. قال البابا في رسالته الجوابية:

«نحن لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع الحركة الصهيونية. إننا لا نقدر على منع اليهود من التوجّه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نقرّه، وبصفتي قيّماً على الكنيسة لا أستطيع أن أجيبك بشكل آخر. لم يعترف اليهود بسيدنا (المسيح)، ولذلك لا نستطيع أن نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي، فإذا جئتم إلى فلسطين، وإذا أقمتم هناك، فإننا سنكون مستعدين كنائس ورهباناً أن نعمّدكم (أي نحوّلكم إلى المسيحية) جميعاً».

وجاء في وثيقة فاتيكانية صادرة في الأول من شهر الماء (مايو) 1897، ونشرتها "Civilta Cattolica" (عشية المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد

في بازل في سويسرا): «مرّ 1827 عام على تحقيق نبوءة المسيح بأن القدس سوف تدمر.. ولذلك فإن إعادة بناء القدس لتصبح مركزاً لدولة إسرائيل بعد تكوينها يتناقض كل التناقض مع نبوءات المسيح الذي أخبرنا مسبقاً بأن العامة (أي غير اليهود) سوف تسيطر على القدس حتى نهاية زمن العامة (جنتيل)، أي حتى نهاية الزمن».

أملى هذا الموقف المبدئي للفاتيكان ثوابت إيمانية لعلّ من أبرزها:

1 ـ حكم الإدانة الذي أصدره البابا غريغوري الثالث عشر في عام 1581 ضد اليهود.

2 ـ الإيمان المسيحي بعدم جعل القدس عاصمة لدولة يهودية حتى قيام الساعة وفقاً لما ورد في إنجيل لوقا 21/24.

3 ـ عدم الاعتراف بالشعب اليهودي طالما أن هذا الشعب لا يعترف بالمسيح. (رسالة البابا بيوس العاشر).

4 ـ لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة في فلسطين. (رسالة البابا بندكيت الخامس عشر إلى ناحوم سوكولوف مبعوث الحركة الصهيونية).

غير أن المتغيرات السياسية التي عصفت بالشرق الأوسط منذ اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل في عام 1948، ثم احتلال إسرائيل للقدس في عام 1967، وبعد ذلك عقد معاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية في عام 1979، ثم عقد مؤتمر مدريد في عام 1991 وإطلاق مسيرة التسوية السياسية التي تجاوزت محطة أوسلو الفلسطينية في عام 1993 (ثم محطة نهر واي قرب واشنطن في عام 1998) ومحطة وادي عربة الأردنية في عام 1994، هذه المتغيرات دفعت بالفاتيكان إلى التحرك للمحافظة على مصالحه كراع للكاثوليك في المنطقة وكقيّم على المراكز الدينية المسيحية في القدس.

هزّت هذه المتغيرات الثوابت الفاتيكانية، إلا أنها لم ترس ثوابت دينية من نوع معاكس أو حتى من نوع آخر. فالمجال ما يزال مفتوحاً أمام العالم العربي خاصة وأمام العالم الإسلامي عامة للتحرّك باتجاه الفاتيكان ولتلقف يد التفاهم والتعاون التي يمدّها الباب يوحنا بولس الثاني رغم خيبة الأمل العربية والإسلامية من العلاقات الجديدة التي أقامها مع إسرائيل ومع يهود العالم أسوة بالعديد من الدول العربية والإسلامية. إن الرفض والتنديد والإدانة أمر سهل، وهو يفرّج عن النفس، إلا أنه لا يصون حقاً ولا يردع ظلماً ولا يبني علاقة. والمطلوب العمل بجد وبمسؤولية لصون الحق العربي في فلسطين وفي القدس دينياً (إسلامياً ومسيحياً) ووطنياً. والمطلوب العمل بجدّ وبمسؤولية أيضاً لردع التوحّش الإسرائيلي في مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات وتهويد المدينة المقدسة. والمطلوب العمل بجدّ وبمسؤولية لإنقاذ المسجد الأقصى من الخطر الأقسى الذي يتعرّض له. لقد بدأ العد العكسيّ لتدمير المسجد بكل ما يرمز إليه منذ سنوات، وتحديداً منذ احتلال القدس في عام 1967، فابن غوريون هو القائل: «لا إسرائيل بدون القدس، ولا قدس بدون الهيكل، ولا هيكل مع وجود المسجد الأقصى». وإذا كان تحقيق هذا الهدف قد تأخر حتى الآن فلأسباب سياسية وتقنية يهودية ـ صهيونية. وليس لأن العرب والمسلمين يمنعون تنفيذها.

الرفض والتنديد والإدانة أمر سهل، وهو يفرّج عن النفس، إلا أنه لا يصون حقاً ولا يردع ظلماً ولا يبني علاقة.

في الأساس ليس تحديد القدس قضية إسلامية فقط. ولا هو قضية مسيحية فقط. لا بدّ من تضافر الجهود الإسلامية والمسيحية على المستويين القومي ثم الدولي. ولا بدّ من وضع استراتيجية إسلامية ـ مسيحية واحدة تنقذ المقدسات الدينية مما تتعرّض له من انتهاكات وأخطار، وتعيد للقدس هويتها العربية. فما كان للخطر أن يحدق بالمسجد الأقصى لو لم يكن هناك تخلٍّ مسيحي بلغ حدّه الأقصى، ولو لم يكن هناك تهاون عربي وإسلامي تجاوز حدّه الأقصى.



مقاومة الإسلام للاستعمار الثقافي الغربي بمنطقة غرب أفريقيا

محمد أحمد شفيع *

تاريخ دخول الإسلام إلى منطقة غرب أفريقيا



تعتبر القارة الافريقية أول منطقة أسَّسَ الرسول صلى الله عليه وسلّم معها علاقات دبلوماسية ودية وقوية قبل الهجرة النبوية، وذلك من خلال هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى بلاد الحبشة (أثيوبيا الحالية) التي هاجرت إليها مجموعات كبيرة من المسلمين بصفة لاجئين، بعدما أصبحت حياتهم مهدّدة من قِبَل كفّار قريش. وقد وجدوا استقبالاً إيجابياً وحماية دبلوماسية كاملة من قِبَل ملك الحبشة النجاشي، هذا الملك الافريقي الذي اعتنق الإسلام بدوره.

وبعد فتح المسلمين لبلاد الشام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث هذا الخليفة فرقة من الجيوش الإسلامية بقيادة الصحابي المعروف عمرو بن العاص، وذلك لنشر الإسلام في بلاد مصر؛ ولم يكن هذا النشر بإكراه الناس بالقوة على الدخول إلى الإسلام، لأن المسلمين لما دخلوا إلى مصر وفتحوها تركوا لأهلها كامل الحرية في اعتناق الإسلام أو البقاء على ديانتهم المسيحية؛ وهذا هو السِّرّ في أن الكثيرين من المصريين بقوا على هذه الديانة المسيحية حتى يومنا هذا، وهم المُسمّون الأقباط.

ومن مصر انطلقَ جزءٌ من الجيوش الإسلامية للدعوة إلى الإسلام ونشره في بلاد النوبة بجنوب مصر، كما انطلق جزء آخر في نفس المهمة إلى مناطق ليبيا الحالية وتونس.

وهكذا بدأ الإسلام ينتشر في القارة الافريقية منذ الأيام الأولى لظهور هذا الدين الحنيف.

وفي عهد الدولة الأموية بدأ الإسلام ينتشر في أفريقيا الغربية موضوع مقالتنا، وذلك من طريق الفاتح الإسلامي الشهير عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه الذي نشر الإسلام في جنوب ليبيا، ثم توجه إلى الجنوب وتوغّل في الصحراء الكبرى حتى وصل

* رئيس الجمعية النيجيرية للأخوة الإسلامية في نيامي/النيجر

إلى مناطق شمال شرقي جمهورية النيجر الحالية وبخاصة منطقة «كَوَارٌ» التي تقع في شرق محافظة «أغاديسٌ» بشمال جمهورية النيجر الحالية.

كما أن الفاتح عقبة بن نافع الفهري نفسه، بعد أن أدخل الإسلام إلى مناطق جنوب المغرب الأقصى، تَوَغَّلَ إلى الجنوب حتى دخل إلى بعض مناطق غرب أفريقيا التي تقع اليوم في جمهوريات موريتانيا ومالي والسنغال، كما نجد الحديث عن كل هذه الأحداث في الجزء الأوّل من تاريخ المؤرِّخ المغربي الشهير ابن عذاري المراكشي.

ثم بدأ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا يَتَوسَّعُ شيئاً فشيئاً وبخاصة في عهد المرابطين، ثم في عهود الممالك الإسلامية الافريقية الشهيرة بالمنطقة مثل مملكة مالي ومملكة السنغوي ومملكة كَانُمْ - بُرْنُو وسلطنات الطوارق وغيرها.

وبذلك أصبحت منطقة غرب افريقيا إحدى القلاعِ الإسلامية القوية بهذه القارة الافريقية.

الاستعمار الأوروبي في غرب افريقيا :

منذ القرن السادس عشر الميلادي بدأت منطقة غرب افريقيا تتعرّض لحملات الاستعمار الغربي وبخاصة البرتغالي والإسباني والإنجليزي والفرنسي. ومنذ القرن السابع عشر الميلادي، كَوَّنَتْ فرنسا لنفسها مركزاً كبيراً هو مدينة سانلوي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين احْتَلّت فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وألمانيا مختلف المناطق في غرب افريقيا وجَعَلَتْ منها مستعمراتٍ لها، وبذلك بدأ عهد الاحتلال الاستعماري الأوروبي الكُلّي لكل مناطق غرب افريقيا.

وقد قام المسلمون في غرب افريقيا بعدة حركات مقاومة ضد هذا الاستعمار الأوروبي مثل حركة الجهاد التي قام بها الإمام ساموري في غينيا ضد الاستعمار الفرنسي، وحركة الجهاد التي قام بها الشيخ عمر الفوتي ضد فرنسا في مناطق السنغال ومالي، وحركة الجهاد التي قام بها الطوارق في النيجر ضد الفرنسيين والتي تعاونوا بل اندمَجوا فيها مع المجاهدين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي.

استقرار الاستعمار الأوروبي في غرب افريقيا :

لقد تمكّن المستعمرون الغربيون من السيطرة على غرب إفريقيا، وعلى الأخص الفرنسيين والإنجليز والإسبان والبرتغاليين والألمان. وقد بذلوا كل الجهود باستعمال كل الوسائل لنشر الثقافة الغربية في المنطقة، والعمل على تنصير أبنائها، ومحاربة الثقافة العربية الإسلامية ومحو الشخصية الحضارية الإسلامية للمنطقة.

بفضل جهود مسلمي المنطقة، وعلى الأخص بفضل القوة الذاتية للإسلام، فإن الجهود الهادفة إلى تنصير المسلمين بمنطقة غرب افريقيا قد سجلت فشلاً ذريعاً.

ومن الجدير بالذكر أنه بفضل جهود مسلمي المنطقة، وعلى الأخص بفضل القوة الذاتية للإسلام، فإن الجهود الهادفة إلى تنصير المسلمين بمنطقة غرب افريقيا قد سجلت فشلاً ذريعاً، بل إن الإسلام سَجَّلَ ولا يزال يُسَجِّلُ تقدماً عظيماً في المناطق الوثنية من غرب افريقيا، وهو شيء أدهش الأوساط الاستعمارية والإرساليات التنصيرية الغربية.

تحرير القارة الافريقية وبداية الاستعمار الثقافي المكثف بالمنطقة

منذ الستينات، بدأت بلدان غرب افريقيا تحصل على استقلالها السياسي الشكلي، وبذلك تَكَوَّنَتَ دولٌ افريقية مستقلة استقلالاً سياسياً شكلياً في حقيقته.

ولكن القوى الاستعمارية بعد رحيلها الشكلي الرسمي عن المنطقة واصلت بل كَثَّفَتَ بكل شدةٍ نوعاً آخر من الاستعمار يعتبر في الواقع أشد خطورة من الاحتلال الفعلي، وهو الاستعمار الثقافي الفكري الحضاري.

وبالفعل، فقد ركّزت نشاطها في هذا المجال على ميادين أساسية عديدة وخطيرة من بينها:

1) العمل على نشر لغاتها نشراً واسعاً، لتكون هذه اللغات الأجنبية الأوروبية الأداة الوحيدة لدى سكان غرب افريقيا للاندماج في الحياة العصرية والاتصال بالعالم الخارجي.

القوى الاستعمارية بعد رحيلها الشكلي الرسمي عن المنطقة واصلت بل كَثَّفَتْ بكل شدةٍ نوعاً آخر من الاستعمار يعتبر في الواقع أشد خطورة من الاحتلال الفعلي، وهو الاستعمار الثقافي الفكري الحضاري.

ويتضمن هذا المخطط الرهيب محاربة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الثقافة الإسلامية محاربة شديدة، هذا إلى جانب محاربة اللغات المحلية للسكان أيضاً.

2) تكثيف عمل المنظمات والإرساليات التنصيرية، والتي تعمل بكل نشاط وسخاء على تقديم خدمات مهمة وعديدة للسكان المحتاجين بهدف محاولة التأثير عليهم للتمكن من تنصيرهم في النهاية.

3) العمل على غرس افكار خطيرة في عقول السكان؛ وتتمثل هذه الافكار في محاولة اقناعهم بأن لا سبيل الى التقدم في الحياة العصرية الا من طريق الثقافة والحضارة الغربية، وأن الإسلام هو ضد التقدم والتحضر، فهو وسيلة لتحقيق التأخّر في الحياة كلّها!!

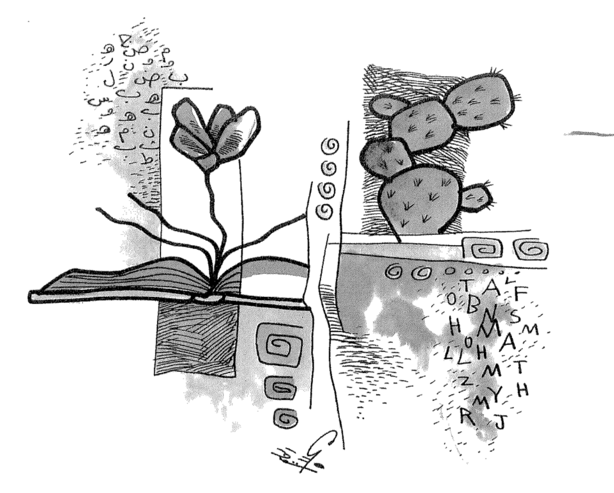
4) نشر الأفكار العلمانية اللادينية لدى السكان المسلمين لمحاولة إقناعهم بأن الدين ليس إلا مسألة بين العبد وربّه فقط ولايتجاوز دوره ذلك، إذ ليس له دخل تماماً في الحياة العملية بنواحيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لأن هذه الميادين - في نظر هؤلاء الغربيين - يجب أن تَسْتَأثِرَ بتسييرها الثقافة والتقاليد الغربية ولا علاقة للدين تماماً بتسييرها!!

ومن المؤسف جداً أن الغربيين الذين فشلوا فشلاً ذريعاً في تنصير المسلمين في منطقة غرب افريقيا - كما قدّمناه - قد نجحوا إلى حدٍّ كبير في هذه النقطة الأخيرة، وهي إقناع الطبقات المثقفة بلغاتهم بفكرة العلمانية اللادينية.

الإسلام يحقق انتصارات كبيرة في منطقة غرب افريقيا:

إنه على الرغم من كل المشاكل التي تثيرها حملة الاستعمار الثقافي الغربي الجديد، فإن الإسلام يحقق انتصارات عظيمة في هذه المنطقة، فقد أصبح هذا الدين يزداد انتشاراً بسرعة وقوة في المناطق غير الإسلامية في غرب افريقيا.

كما أن السكان أصبحوا يهتمون اهتماماً متزايداً بالثقافة العربية الإسلامية، فهم يهتمون بتكوين أبنائهم تكويناً ثقافياً فكرياً إسلامياً من طريق



المدارس والمعاهد العربية الإسلامية التي تنتشر في منطقة غرب افريقيا ـ منذ الاستقلالات الافريقية ـ بطريقة سريعة ومدهشة.

وبالطريقة نفسها، يُبْدِي سكان غرب افريقيا اهتماماً كبيراً ومتزايداً بقضايا العالم الإسلامي مثل القضية الفلسطينية وقضية المسجد الأقصى بالقدس الشريف وقضايا المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي.

ونظراً إلى كل ذلك، فإن الدوائر السياسية والثقافية والتنصيرية في العالم الغربي (أميركا وأوروبا) لا تخفي اندهاشها وانزعاجها وقلقها الشديد من هذه الانتصارات الدينية الثقافية الحضارية التي يحققها الإسلام الحنيف في منطقة غرب افريقيا، والتي أصبحت في الواقع مَيْدَاناً يسيطر عليه الإسلام وثقافته إلى حدٍّ كبير.

القوى الثقافية التنصيرية الغربية تواصل جهودها:

إن كل تلك الانتصارات العظيمة للإسلام لم تجعل تلك القوى الثقافية التنصيرية الغربية تتنازل عن طموحاتها وتتخلى عن مخططاتها المنظمة ضد الإسلام والمسلمين، بل بالعكس، فإنها تواصل عملها المرسوم بكل تصميم وعزيمة، وتبذل في سبيل تحقيق ذلك وسائل ثقافية وتعليمية واجتماعية واقتصادية وسياسية وإنسانية هائلة؛ ومن أمثلتها بناء المدارس والمستوصفات، وتقديم الخدمات الاجتماعية

والإنسانية للمحتاجين، وتنفيذ مشاريع اقتصادية مهمة لمصلحتهم بغرض استمالتهم إلى تحقيق أهدافها الموجّهة ضد الإسلام ومحاربة ثقافته وحضارته وشخصيته وتاريخه في المنطقة.

ولذلك يجب علينا نحن المسلمين من أبناء هذه المنطقة ألا نتّوانى ولا نتغافلّ عن هذه الأخطار المحدقة بنا وبديننا وشخصيتنا الثقافية الحضارية الإسلامية، بل يجب أن نواصل الجهود لمقاومة هذه المخططات الاستعمارية الثقافية التنصيرية التي هي جزء من برنامج العولمة الغربية الخطيرة الطموحة المتواصلة، والهادفة إلى القضاء على الشخصيات الثقافية الحضارية الدينية وبخاصة منها الشخصية الثقافية الدينية الحضارية والتي تزعج هؤلاء المستعمرين اكثر من غيرها نظراً إلى قوتها الذاتية الهائلة.

ومع ضخامة جهود أعداء الإسلام ووفرة وسائلهم العملية، فإننا متفائلون بأن الإسلام - بثقافته وحضارته وتاريخه المجيد - سينتصر في النهاية بهذه المنطقة المهمة من القارة الافريقية.

ولكن هذا التفاؤل يوجب علينا العمل من أجل تحقيقه وانتصاره.

مبدأ الدفاع عن الشخصية الثقافية وقضية الحوار بين الأديان والثقافات:

إن اهتمامنا الشديد في هذه المقالة الموجزة بمبدأ الدفاع عن شخصيتنا الدينية الثقافية الحضارية الإسلامية لا يتنافى بتاتاً مع إيماننا القوي بضرورة الحِوار والتفاهم والتعارف بين الشعوب والأديان والحضارات والثقافات الإنسانية.

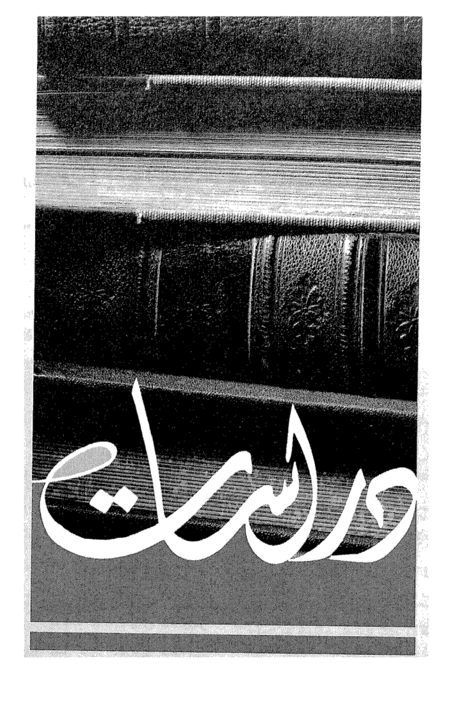
وبالفعل، فإننا نؤمن بضرورة الحوار والتعارف والتفاهم والتعاون بين الأديان السماوية والثقافات والحضارات البشرية، لأن ذلك من المبادئ البارزة التي دعا إليها الاسلام دعوة قوية ومتكررة في آيات القران الكريم؛ كما أن السيرة العملية لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام قد طَبَّقت وجَسَّدَتْ تلك المبادئ الأساسية الإنسانية التي دعا إليها القرآن الكريم، كما يعرف ذلك كل من له إِلْمَامٌ بمصادر السنّة النبوية وكتب سيرة الرسول عليه السلام وعلى رأسها سيرة ابن هشام.

إننا متفائلون بأن الإسلام - بثقافته وحضارته وتاريخه المجيد - سينتصر في النهاية بهذه المنطقة المهمة من القارة الافريقية. ولكن هذا التفاؤل يوجب علينا العمل من أجل تحقيقه وانتصاره.

ولكن إيماننا بقضية هذا الحوار الإنساني لا يعني بتاتاً أن نقبل القضاء على شخصيتنا الدينية الثقافية، تحت ستار الحوار، لمصلحة مبدأ العولمة الغربية التي تستهدف القضاء على شخصيات الشعوب في كل المجالات لمصلحة الشخصية الثقافية الحضارية الغربية وحدها، وهو شيء نرفضه رفضاً باتاً، فنحن نؤمن إيماناً عميقاً بمبدأ الحوار والتفاهم والتعارف والتعاون بين أبناء البشر في مختلف الميادين، ولكن على أساس احترام الجميع لشخصيتنا الثقافية الحضارية التاريخية الإسلامية، كما قال الله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: الآية 6]

صدق الله العظيم.



❖ المضامين العنصرية للخطاب الدعائي الصهيوني حول العرب



المضامين العنصرية للخطاب الدعائي الصهيوني حول العرب

إبراهيم عبد الكريم*

ينطوي الخطاب الدعائي الصهيوني المتعلق بالعرب على كم هائل من المنطلقات العنصرية والأضاليل، على نحو متسق مع طبيعة الصهيونية ومشروعها الاستيطاني الإحلالي في فلسطين ومع دورها الوظيفي في مواجهة العرب والمسلمين.



تعنى هذه الدراسة بتحري منظومة التوجهات العنصرية في هذا الخطاب، وتحديد ملامح صورة العربي وقولبة شخصيته في المنظور الصهيوني، ضمن إطار الذرائع الخاصة بتهويد فلسطين، وارتباط ذلك بسياق التمييز العنصري ضد العرب. كما تورد الدراسة عينة من التصريحات والمواقف العنصرية المنشورة في وسائل الإعلام (الدعاية) «الإسرائيلية».

جذور التوجهات العنصرية الصهيونية:

في إطار الإنشاءات الإيديولوجية التي ينطلق منها الخطاب الدعائي الصهيوني، ركزت الفلسفة الصهيونية على أن اليهود يشكلون أمة عالمية واحدة، ذات شخصية خاصة (جماعية - نقية - مستقلة - استثنائية... الخ) تمنحها تفوقاً على سائر الأمم، استناداً إلى مقولة «شعب الله المختار».

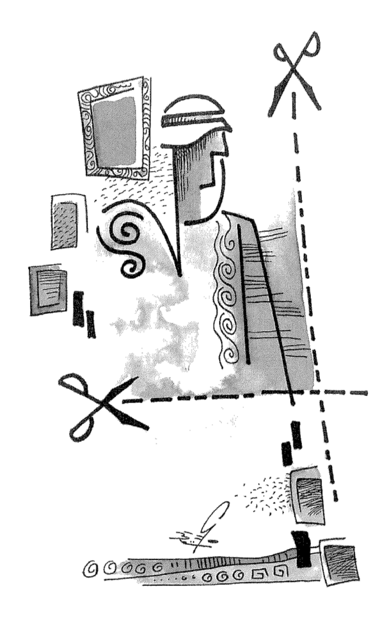
وكان واضحاً أن هناك مساغ لإضفاء القداسة على «الأمة اليهودية» وعلى ما يسمى «الحق التاريخي والعودة إلى صهيون والروابط بين اليهود وأرض إسرائيل». وظل الصهيونيون يرددون على الدوام أن «الرباط بين أمة إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد سائر الأمم إلى بلادها، وأوطانها، فهو لدى الأمم رباط سياسي وعلماني وخارجي، عرضي موقت، بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده (!) هو كناية عن سر خفي من القداسة، فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة حتى في زمن خرابهما، إنه رباط متعال وسماوي وأبدي، ورباط أزلي»[1].

وكانت الإنشاءات الإيديولوجية الصهيونية تقوم على إبراز المعاني الخاصة بما يسمى الرسالة المركبة للمشروع الصهيوني (الروحية - الحضارية -

* باحث، ورئيس تحرير مجلة الأرض، في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية / سوريا

(1) أسعد رزوق، قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية/ جامعة الدول العربية) 1971 م، ص 145.

الثقافية)، فضلاً عن مزاعم إعمار فلسطين وتقدمها وتحسين ظروف السكان والمعيشة فيها. وبينما كانت مقولات المنظرين الصهاينة حول ما يسمى «النقاء العرقي والتفوق على الأغيار والسمو الروحي بالعودة إلى أرض الميعاد»، ترمي إلى منع اليهود من الاندماج في مجتمعاتهم وتسويرهم بجدار العزلة داخلها، فإن فكرة تهويد فلسطين و«تطهيرها من الأغيار» كانت قد استوعبت تماماً في توجهات الصهيونيين، ولم يعد ممكناً فصلها عن النسيج العام للإيديولوجية الصهيونية.



العرب في ذرائع المشروع العنصري الصهيوني لتهويد فلسطين:

دأب الخطاب الدعائي الصهيوني على نفي الطبيعة العدوانية لعملية تحويل فلسطين إلى دولة يهودية، فقدّم لهذه الغاية العديد من «الاعتذاريات» التي انطوت بطبيعة الحال على الأكاذيب والدعاوى والتشويهات المتعدّدة للحقائق. ولعل من أبرز المزاعم الصهيونية في هذا المنحى، سواء في فترة ما قبل تأسيس إسرائيل أو بعد ذلك، ما يلي[2]:

1 ـ الغائبون:

رسم الصهيونيون الأوائل مشهداً مغرضاً لفلسطين، يظهرها «أرضاً خاوية، مهملة، صحراء...» تنتظر المعمّرين اليهود. وكان واضحاً في أذهان زعماء الصهيونية أن ترويج الدعوة إلى تعمير الصحراء، يتطلب تجاهل المواطنين العرب في فلسطين، بحيث يبدو للآخرين أن المسألة لا تنطوي على إلحاق ظلم بأحد، طالما أنه غير موجود. وفي ثنايا ذلك أوجدت الصهيونية مفهوماً خاصاً للصحراء مفاده أن الأرض الصحراوية في فلسطين

---

(2) إبراهيم عبد الكريم، تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية (دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب) 2001 م، ص 18 ـ 24.

هي تلك التي تخلو من اليهود. وقد كان الصهيونيون الأوائل في فلسطين يتمركزون حول ذاتهم، ويتملكهم الجهل (= التجاهل) الزائد بالإنسان العربي، لدرجة أنهم لم يكونوا يرون ما حولهم، وأخذوا ينسون الوجود العربي. وحين تمكنوا من نسيانه فعلياً لم يعد أمامهم إلا أن يطردوا العرب أو يقتلوهم[3].

وبهذا المعنى، كان تجاهل العرب في البلاد وحذفهم ذهنياً بمثابة خطوة تمهيدية في سياق السعي لحذفهم عملياً. ففي خطابات هرتزل مثلاً أمام المؤتمرات الصهيونية الستة التي حضرها، وفي كتابه «دولة اليهود = يودنشتات» لم يرد أي ذكر للعرب، ولم ترد عبارة السكان الأصليين إلا مرة واحدة وبشكل عابر، وذلك في معرض حديثه عن «الخطة» التي ستواجه قلقاً ومعارضةً من قبل هؤلاء السكان. ومن المؤكد أن ذلك لم يأت مصادفة، لماذا؟! لأنه دون تجاهل العربي، تتعرض المقولات الصهيونية للاهتزاز بعنف ثم للسقوط مبكراً.

وهكذا تبنت الصهيونية مقولة عنصرية لأحد زعمائها الأوائل (إسرائيل زنجويل) التي تقوم على أن «فلسطين أرض بلا شعب ينبغي أن تعطى لشعب بلا أرض». والمثير للاهتمام بوجه خاص، أن عملية حذف الوجود العربي في فلسطين، من الذهن أولاً ومن المكان ثانياً، لم تكن تولّد تبكيتاً للضمير لدى الصهيونيين، ولم يكن إدراكهم لهذا الحذف يخلق لديهم أي مشاعر إنسانية رادعة. فقد شاع مثلاً أن ماكس نورداو حين سمع للمرة الأولى كلاماً حول وجود سكان عرب في فلسطين، جرى بحثاً عن هرتزل وصاح «لم أكن أعلم هذا... إننا إذن لمقدمون على ارتكاب ظلم..»[4]. ومع ذلك لم يرتد نورداو عن الفكرة الصهيونية. وعلى ذلك المسار، سارت أجيال الزعامات الصهيونية والمسؤولين عن التنشئة في إسرائيل، فكانت أرض فلسطين الخالية كثيرة التكرار في الكتب المدرسية وكتب الأطفال الإسرائيلية[5].

لقد فسّر بعض المفكرين الصهاينة ظاهرة «العربي الغائب» على أنها محاولة للتهرّب من حقيقة صلبة تتحطم عندها كل الآمال الصهيونية. وكانت اعتذارات الاستعمار الصهيوني المؤسسة على فكرة «اليهودي الخالص»، تتضمن أيضاً فكرة «العربي الغائب» أو الذي يجب أن يغيب، وهنا يصبح حتى التجريد العنصري أمراً غير ذي موضوع، فأرض فلسطين هي الغنيمة المطلوبة. هذه التصورات الصهيونية محكومة إلى حد كبير بالنسق الإيديولوجي الصهيوني، والرؤى التي تضرب بجذورها في التلمود والجيتو، ولكن الانساق الإيديولوجية الإدراكية لا توجد في فراغ، فهي في نهاية الأمر نماذج فكرية للتعامل مع الواقع[6].

كان تجاهل العرب في البلاد وحذفهم ذهنياً بمثابة خطوة تمهيدية في سياق السعي لحذفهم عملياً.

خلال هذا التعامل، توجهت الدفعة الأولى من الصهيونيين إلى فلسطين بالروح نفسها التي كان الأوروبيون يتوجهون بها إلى الأقطار والمناطق التي اعتبروها خالية. وهكذا كان مفهوم أرض فلسطين الخالية من السكان - في نظر الصهاينة - مطابقاً

(3) Pierre Demeron, Contre Israel (Paris: Jam - Jacques Pauvert editeur, libertes nouvelles) 1968. pp. 85/86.

(4) فيربلوفسكي، مقال في كتاب «من الفكر الصهيوني المعاصر» (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني) 1976 م، ص 28.

(5) فوزي الأسمر، الشخصية العربية في قصص الأطفال العبرية التجارية، بحث في كتاب «الأبعاد التربوية للصراع العربي - الإسرائيلي» (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع جامعة الكويت) 1986 م، ص 459 وما بعدها.

(6) عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية، ق 1، سلسلة عالم المعرفة 60 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) كانون الأول 1982 م، ص 302-304.

بالضبط النظرية ديستلك في المناطق الخالية من السكان[7].

وبتعبيرات يرمياهو يوفال (رئيس قسم الفلسفة في الجامعة العبرية بالقدس) إن القول بعدم وجود الفلسطينيين يعني أنه على الرغم من وجودهم، يجب اعتبارهم وكأنهم غير موجودين، والنظر إليهم على أنهم ليسوا من البشر وحرمانهم من حقوقهم كجماعة[8].

2 ـ المتخلفون:

لدى سقوط المقولة الصهيونية حول الفراغ الديمغرافي لفلسطين كذريعة لتهويدها، تنشأ فوراً آلية (ميكانيزم) أخرى تنطوي على الاعتراف بأن الفراغ الديمغرافي لا يعني عدم وجود سكان إطلاقاً، ولكن يعني أن هؤلاء السكان ليسوا بشراً، وإنما هم يشكلون جماعات غير متحضرة أو متوحشة في البلاد المقدسة التي تنتظر أبناءها!!

الفراغ الديمغرافي لا يعني عدم وجود سكان إطلاقاً، ولكن يعني أن هؤلاء السكان ليسوا بشراً، وإنما هم يشكلون جماعات غير متحضرة أو متوحشة في البلاد المقدسة التي تنتظر أبناءها!!

يشار إلى أن نظرية «الفراغ الحضاري» كانت وليدة الفلسفة السائدة في أوروبا إبّان ظهور الحركة الصهيونية، أي النظرة التي كانت تعتبر كل رقعة من الأرض خارج نطاق أوروبا خالية، ليس من أهلها طبعاً، بل من حيث كونها تجسد نوعاً من الفراغ الحضاري، وبذلك تصبح مؤهلة للنشاط التمديني والاستعماري[9].

ويمكن التقرير أن الصهاينة الأوائل تبنّوا نظرية «الفراغ الحضاري» هذه بجميع مضامينها العنصرية، فاعتبروا شعب فلسطين جماعات في مستوى متدن من سلم الحضارة والرقي، لا علاقة له بالبلاد. إذ اعتبر هرتزل في كتابه «دولة اليهود» ـ الذي ترجم إلى العبرية لاحقاً بعنوان «مدينات هيوديم» ـ أن «إيرتس يسرائيل هي مولادتينو ههيسطوريت ـ وطننا التاريخي»، وتحدّث عن إنشاء جدار في آسيا لحماية أوروبا يكون بمثابة «شروت مشمار هحلوتس شل هتربو تكينجد هبربريوت ـ حصن منيع للحضارة أمام الهمجية»[10].

وقال ماكس نورداو إننا سوف نبذل ما في وسعنا لكي نعمل في الشرق ما عمله الإنجليز في الهند، أعني بذلك النشاط الثقافي وليس السيطرة (...) نحن ننوي الذهاب إلى فلسطين بمثابة الحَمَلَة المعتمدين للمدنية والتحضّر، ورسالتنا هي توسيع الحدود الأخلاقية لأوروبا حتى تصل إلى الفرات»[11]. ووصف جابوتنسكي الفلسطينيين بأنهم رعاع يضجون بالصراخ، يأكلون الهررة والجرذان[12]، وكان يضمر احتقاراً بالغاً للعرب واعتبرهم أنهم لم يساهموا في تقدم الحضارة الإنسانية. وكان عرب فلسطين بالنسبة له ولجماعته متخلفين جداً عن الأوروبيين ولا يحق لهم البقاء في الأرض المقدسة، ورأى جابوتنسكي أن الهدف الرئيسي للصهيونية يكمن في الإطار الكلاسيكي

---

(7) إداوارد سعيد، بحث في «الصهيونية حركة عنصرية...»، أبحاث ندوة طرابلس / ليبيا حول الصهيونية والعنصرية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر) 1979م، ص 134.

(8) مقال في صحيفة هآرتس 1972/11/6.

(9) ...، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني (بيروت: الأركان العامة في الجيش اللبناني بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية) 1973/11/6م، ص 183.

(10) تيودور هرتزل، مدينات هيوديم = دولة اليهود (تل أبيب: قسم الشباب في الهستدروت الصهيوني) 1946 م، ص 20 (بالعبرية).

(11) السيد يسين، بحث في «الصهيونية والعنصرية» المجلد الأول، أبحاث مؤتمر بغداد الفكري حول الصهيونية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر) 1977 م، ص 90.

(12) آلن تايلور، بحث في «الصهيونية والعنصرية»، المجلد الأول، المصدر السابق، ص76.

للقرن التاسع عشر، لذا اقترح وجوب مجيء اليهود إلى فلسطين لكي يدفعوا بالحدود المعنوية الأخلاقية لأوروبا حتى الفرات. وذكر وليم زيف (الذي ينتمي إلى الفرع الأميركي من جماعة جابوتنسكي) في مؤلف له بعنوان «اغتصاب فلسطين» أن الفلسطينيين عرق ضعيف منحط يقع في أسفل درجات التطور الإنساني، وعزا أصولهم إلى مجموعات بشرية بدائية متوحشة جاءت من سفوح الجبال والصحارى واحتشدت في موجات متتالية في فلسطين وتركت بذورها هناك، وهم عديمو المواهب وخليط من أعراق مختلفة[13]. وفي الأدب اليهودي وُصف العرب بأنهم بدائيون وسريعو التهيج[14].

بعد تأسيس دولة «إسرائيل»، استمرت مقولة الفراغ الحضاري لفلسطين، وعكست تصريحات الزعماء الإسرائيليين حالة الاتهامات الشائعة للعرب بالتخلف. وعلى سبيل المثال، يروي النائب البريطاني مكسويل هيلسوب كيف انطلق دافيد هكوهين (رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست) في قذف قاس على العرب، واصفاً إياهم بأنهم ليسوا مخلوقات بشرية، إنهم ليسوا أناساً، أنهم عرب[15].

من الواضح هنا أن مقولة «الفراغ الحضاري والرسالة التمدينية» التي تبنّتها الصهيونية لا تختلف عن الدعاوى التي نادى بها العنصريون الأوروبيون، حول الجنس الآري المتفوّق الذي يملأ الفراغ الحيوي، وحول «عبء الرجل الأبيض». وكان مفهوم العمل والعمال في البلاد ومفهوم الجيب الأوروبي المتميز والمنفصل في آسيا يماثل مقولات العنصريين الأوروبيين بشأن ضرورة عزل المجتمعات الأوروبية عن المجتمعات المحلية في المناطق الجديدة المحتلة[16].

3 ـ الغوييم:

في خلفية الموقف الصهيوني من عرب فلسطين القائم على تغييبهم واتهامهم بالتخلف، نسج الصهيونيون ـ وخاصة التيار الديني ـ علاقة ذهنية بين اليهود وغير اليهود (= الغوييم) من الخيوط التناخية والتلمودية، وكان الفلسطينيون هم الطرف الرئيس الممثل للأغيار. فقيل عن هؤلاء الأغيار مثلاً إنهم: أنواع مختلفة من الحيوانات ـ يندم الواحد القدوس على خلقهم ـ مماثلون للحمير ـ لا يختلفون بشيء عن الخنزير البري ـ بلاء مذكورة في التوراة[17].

كانت هذه الأوصاف، ولا تزال، تشكل رديفاً لمقولات الفراغ السكاني أو الحضاري لفلسطين، وتطرح كمسوّغ لتوجهات الاستعلاء والعنصرية المتأصلة في الرؤى الصهيونية التي تصرّ على دونية الأغيار، واصطفاء اليهود وسموّهم.

4 ـ الأعداء الأزليون:

تأثر الصهيونيون، بمقادير متباينة، بالأوصاف والمواقف التي تضمنها «التناخ» (العهد القديم) بشأن العرب والفلسطينيين (الكنعانيين ـ اليبوسيين ـ الفريسيين ... الخ). واستمر هذا التأثير إلى ما بعد

---

(13) ميخائيل بالومبو، كيف طُرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948 م؟ (بيروت: دار الحمراء) 1990 م، ص 28.

(14) ريزا دومب، صورة العربي في الأدب اليهودي، ترجمة عارف عطاري (عمّان: دار الجليل للنشر) 1985 م، ص 39.

(15) خالد القشطيني، الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر) 1979 م، ص 103.

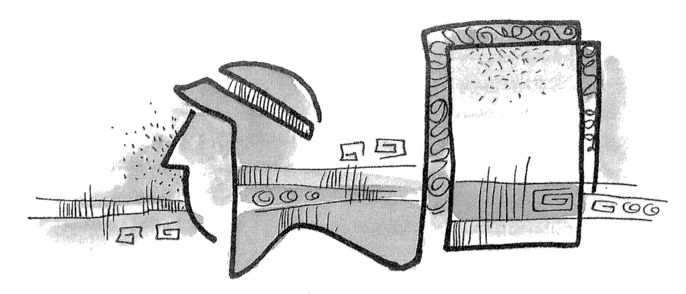
(16) إدوارد سعيد، بحث في «الصهيونية حركة عنصرية»، مصدر سابق، ص 135.

(17) لمزيد من التفاصيل انظر مثلاً:

أ ـ بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية (بيروت: دار الكتاب العربي) 1969 م، ص 139، وما بعدها.

ب ـ أسعد رزوق، التلمود والصهيونية (بيروت: الناشر للطباعة والنشر والتوزيع) 1991م، ص 265.

ج ـ إسرائيل شاحاك، حقيقة بيغن وشركاه (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة ودار العودة) 1979م، ص 142.



إنشاء الدولة، حيث ينظر الإسرائيليون إلى الواقع من زاوية الحقوق المطلقة والمقدسة لليهود الواردة في كتبهم الدينية، ويرون العرب على أنهم العماليق الذين ورد ذكرهم في التناخ. وقد شبّه الصهاينة الاستيطان في فلسطين بغزو يشوع بن نون لأرض كنعان، كما شبّهوا السكان العرب في الأراضي المحتلة في بعض الأحيان بالأمم السبع المذكورة في التوراة التي صدر أمر بإبادتها[18].

في طويّة هذه النظرية، يعتبر الصهيونيون أحداث العصر الحديث صدى لما ورد في الرواية التناخية، واستمراراً لها. ومن ثم فإن يهود الحاضر هم ـ بتلك النظرة ـ استمرار ليهود الماضي، وأن تهويد فلسطين في المشروع الصهيوني يكافئ الحالة التي تحدثت عنها تلك الرواية.

5 ـ الغزاة:

ضمن محاولات نزع الشرعية عن الوجود العربي في فلسطين، درج الصهيونيون على اعتبار العرب في البلاد غزاة ومحتلين لـ «أرض الميعاد». ففي شهادة قدّمها يشعياهو بن فورات، قال: «لقد علمونا احتقار العرب، وأن أرض إسرائيل هي لنا. لم يعلمونا احترام الجار العربي. وكانت الفكرة الكامنة والصريحة تقول بأنهم سيرحلون بينما سنبقى نحن. وبعد عام 1945 أصبح جلياً للجميع بأن الحرب آتية ليس فقط لطرد الإنجليز، وإنما أيضاً لمواجهة العرب. وفي الكيبوتسات كانوا ينظرون إلى القرى العربية المحيطة ويقتسمون أراضيها في أذهانهم»[19].

وبعد قيام إسرائيل، كتب بن غوريون (رئيس حكومتها الأولى) في الكتاب السنوي للحكومة لعام 1957: «لقد أنشئت إسرائيل في بلاد سكنها المحتلون والغزاة العرب على امتداد 1300 سنة»[20].

6 ـ الهامشيون:

انطوى الحشد الصهيوني للصياغات الخاصة بفلسطين وشعبها على صورة قزّمت الوجود العربي في البلاد. وقريباً من مساعي التغييب والتضليل، لم يكن

(18) عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية، ق 2، سلسلة عالم المعرفة 61 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) كانون الثاني 1983 م، ص151/150.

(19) إسرائيل شاحاك، من الأرشيف الصهيوني (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني) 1975 م، ص 55/54.

(20) Israel, Government Year Book, 1957, P.S 13.

الصهيونيون يقيمون وزناً للعرب، بل اعتبروهم «جماعات هامشية لا كيان لها»[21].

وقد كان تصريح بلفور نموذجاً صهيونياً في نصه على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وعدم إيراد المواطنين العرب باسمهم بل نص على أنهم «طوائف غير يهودية» أي كأنهم أقلية هامشية لا هوية لها ولا كيان إلا من خلال تعريفها بغير اليهود.

7 ـ الطامعون:

بعد إنشاء الكيان الصهوني، كثرت حالات التغني بالإنجازات التي تحققت مع عودة اليهود إلى الأرض (...) وشاع وصف إسرائيل بأنها «معجزة في الصحراء» كما دعاها تيرانس بريتي[22].

وكعينّة من حالات الوصف المذكور، صرح ليفي اشكول رئيس حكومة إسرائيل (عام 1969) إلى صحيفة «نيوزويك» بأن البلاد كانت صحراء، دون مستوى التطور، لم يكن يوجد فيها أي شيء. وبعدما جعلنا الصحراء مزدهرة وأوجدنا فيها شعباً، أخذوا يهتمون بأخذها منا[23].

.. كانت هذه التصورات وليدة أيديولوجيا صهيونية مغرقة في عنصريتها وجامحة في عدائها لأهل البلاد، ولا تزال محكومة بمهمة وظيفية، وخاصة في ظروف احتدام الصراع، وتعبّر عن ذاتها بوضوح في التمييز العنصري الموجّه ضد العرب المواطنين الأصليين في البلاد.

السياق العام للتمييز العنصري ضد العرب:

ظلّ الخطاب الدعائي «الإسرائيلي» التقليدي الذي يبرر التمييز العنصري ويحميه مؤطراً بالمقولات الصهيونية التقليدية حول هوية الدولة ومكانة العرب الهامشية. وشاع توصيف إسرائيلي ملخصه انه «بدلاً من تربية العرب على أحلام المساواة، يجب أن نقول لهم بكل إخلاص إن هذه الدولة هي الدولة اليهودية الوحيدة، وأن مطامع الصهيونية كانت أبداً تهويد هذه البلاد بواسطة الهجرة اليهودية وتملّك الأرض وإسكان اليهود عليها وتحويل البلاد إلى بلاد يهودية. وإن على العربي الذي يعيش في دولة إسرائيل أن يعلم بأن هدف الدولة هو ملء هذه البلاد باليهود، وإعداد الأرض لهم وحمايتهم من تغلب العناصر غير اليهودية، وأن الدولة ستبذل كل ما بوسعها لمنع تغيير صفة دولة إسرائيل كدولة مخصصة لتحقيق الحلم الصهيوني وهو إنقاذ البلاد وإنقاذ الشعب»[24].

تراكمت المفاهيم والوقائع التي أنتجت التمييز العنصري الصهيوني ضد العرب في البلاد. فمنذ البداية تم تصنيفهم كشرائح اجتماعية متباينة (مسلمون- مسيحيون- دروز- بهائيون- أحمديون- بدو... إلخ) وأعطيت لهذه الشرائح خصائص متنافرة في محاولة لتفكيك الجسم العربي الواحد. وأسهم تمييز العرب في بطاقة الهوية الشخصية ببلورة العزل الاجتماعي الآلي للأقلية العربية عن الأكثرية اليهودية في البلاد، وقاد هذا العزل إلى أشكال لا حصر لها من التمييز العنصري في الحياة اليومية، على صعيدي الفرد والجماعة.

---

(21) نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية) 1997 م، ص 79.

(22) للتوسع، أنظر:

Terence Prittie / Israel – Miracle in the Desert, (New York, Washington, London) Frederick A. Praeges publishers, 1967.

(23) Georges Vaucher, La voie de la paix, passe par la justice et comment connaitre ce qui est just si l'on camoufle la veritée, (Geneve: Groupe d'etudes sur le Moyen - orient) 1970, p.3.

(24) حبيب قهوجي (إشراف)، الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة (دمشق: مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية) 1980 م، ص 68 (عن تسفي شيلواح، يديعوت أحرونوت 1976/5/30).

قامت نظرة المؤسسة الصهيونية الحاكمة إلى العرب على أنهم «طابور خامس» و«جسم عدائي» و«تهديد استراتيجي محتمل». واعتبروا في الوقت ذاته «جسر سلام»، لكن في الممارسة لم يبق الصهيونيون للعرب من مهام الجسر سوى أن يداسوا وتداس حقوقهم[25].

لم يكن هذا في الماضي وحسب، وإنما لا يزال العداء للعرب يمارس حتى الآن. ففي كرّاس وزعته وزارة التربية حول موضوع الأمان على الطرق جاء فيه أن «العدو رقم 1» لإسرائيل هو حوادث الطرق و«العدو رقم 2» هو العرب[26].

وعلى الصعيد الشعبي، يكفي اليهود رؤية ملامح مختلفة أو لون بشرة مختلف أو نبرة صوت أو لغة ليست لغتهم، كي تبدأ غدد العنصرية لديهم في إفراز سموم التمييز. حتى صارت أماكن الترفيه المخصصة «لليهود فقط» جزءاً من المناظر المألوفة في البلاد، وتردد على الدوام عبارة «الموت للعرب» ويندفع الجميع بكوابح معطلة نحو العنصرية[27].

يؤكد الكاتب العربي الفلسطيني سلمان ناطور أن العنصرية لم تنزل على العرب من السماء، مع المطر الخريفي المحمّل بالغبار والدخان، وهي لا تولد في أحد، ولا ترضع مع الحليب، وأنما تنبت في تربة وتنشأ في مستنقع، وكلما خصبت تربتها فإنها تزداد انتشاراً وتنمو كالوباء، وفي هذا الوباء، تكثر النعوت والصفات التي تلتصق بالعرب والمقتبسة من قواميس البيولوجيا والزيولوجيا والبكتريولوجيا، من سرطان في قلب الأمة، إلى حيوانات تدب على قدمين إلى صراصير مسممة في قنينة، إلى فئران مخدرة، إلى أوكار مخرّبين[28].

من المسلم به أن العنصرية الصهيونية وممارستها ضد العرب تنمو ضمن حاضنة اجتماعية - سياسية تتوافر فيها الظروف المناسبة، ومن ثم فإن العربي يعيش في مجتمع لا يستطيع بطبيعته قبوله عضواً كاملاً فيه، بصرف النظر عن هويته الدينية أو الإثنية التي تفصله عن المجموع. إذ ينطلق الصهيونيون من مبدأ «الهوية اليهودية لإسرائيل»، في تعاملهم مع العرب في البلاد، حاضراً ومستقبلاً.

الصهيونية العنصرية وممارساتها ضد العرب تنمو ضمن حاضنة اجتماعية سياسية تتوفر فيها الظروف المناسبة ومن ثم فإن العربي يعيش في مجتمع لا يستطيع بطبيعته قبوله عضواً كاملاً فيه بصرف النظر عن هويته الدينية أو الإثنية التي تفصله عن المجموع.

وتجسد التشريعات واللوائح التنفيذية الوضعية الاستثنائية التمييزية لهؤلاء العرب، حيث يعانون اضطهاداً مزدوجاً - في المجالين القومي والطبقي، لا فرق في ذلك بين المستويين الرسمي والشعبي.. وعلى الرغم من التكرار الإسرائيلي بأن الهدف الرئيسي للصهيونية إقامة «دولة يهودية ديموقراطية»، إلا أن هناك تناقضاً واضحاً بين صفتي هذه الدولة حين يتم إدخال العرب في الصورة، إذ تنتفي صفة الديموقراطية عنها بفعل عدم شمولها للعرب، وبفعل عدم فصل الدين عن الدولة كقاعدة أساس لبناء المشروع الصهيوني.

لم يكن التمييز العنصري الصهيوني ضد العرب مجرد توجهات وتصورات أيديولوجية وسياسية، وإنما

(25) سميح القاسم، العرب في إسرائيل/ حرب الثلاثين عاماً من أجل البقاء والهوية القومية، مجلة الجديد/ حيفا، ع 10، تشرين الأول 1978 م، ص 10.

(26) مئير بلياوخ، غير متساوين، عساكيم - ملحق معاريف 1997/7/29 م، ص 5.

(27) رياض علي، العنصرية ضد العرب تستيقظ، معاريف 1998/7/30 م، ص 6.

(28) سلمان ناطور، دور الكاتب في مكافحة العنصرية، جريدة الاتحاد/ حيفا (ع 149/42)، 1985/11/8 م، ص 4.

كانت نهجاً يمارس فعلياً بأخطر الأشكال وأشرس الوسائل. ولم تمنع المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة من هذا التمييز موافقتها شكلاً على المعاهدات والشرائع الدولية (معاهد الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ـ معاهدة منع التمييز ـ معاهدة حقوق المرأة ـ معاهدة حقوق الطفل... إلخ). وبقيت النصوص الدولية، وحتى المحلية، مجرد حبر على ورق.

قولبة الدعاية الصهيونية للشخصية العربية:

وضعت إسرائيل والصهيونية صورة العرب ضمن قوالب جاهزة صممت مادتها من مقولات وتصورات ومفاهيم عنصرية. وتتعدد الجوانب التي تعرضت للقولبة المتعلقة بحياة الأمة العربية. وترسم الدعاية الصهيونية صوراً للعرب يبدون فيها مجردين من كل القيم الإنسانية ومن إمكانية نجاحهم في تحقيق مشروعهم القومي. فتركز هذه الدعاية على إظهار العرب بمظهر الشعوب الهمجية المتأخرة المتعطشة للدم والتي تريد القضاء على دولة إسرائيل (الصغيرة المسالمة)[29].

وتبرز الدعاية الصهيونية العرب على أنهم قوم متخلفون يرفضون التقدم الحضاري، وأن نظام الحكم العربي دكتاتوري متعصب لا يريد سوى مهاجمة إسرائيل والتخلص منها، بل ويتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبقاء نظم عسكرية عنصرية رجعية، وأن هناك درجة كبيرة من عدم التنظيم في شؤونهم السياسية والإعلامية. كما أن تلك الدعاية تحاول التشكيك في مبدأ الوحدة العربية في المجالات المختلفة. كما تبرز ما تسمّيه «الوحشية العربية في اضطهاد اليهود والأقليات الأخرى». وتزعم أن هذه الدول تبلغ في تعصبها الحد الذي يجعلها عندما تستقبل المبادئ السياسية العصرية الغربية، تصبغها بصبغة محلية تفقدها معناها ومدلولها العصري[30].

ويورد سميح القاسم (الأديب العربي المقيم في فلسطين المحتلة) بعض التعبيرات التي تستخدمها الدعاية الصهيونية لدى تقديم العربي إلى العالم، ومن الأوصاف التي تلصقها به: رجل أشعث ـ حاد النظرات ـ غدار ـ يخفي في ثيابه خنجراً رهيباً ـ لا تكاد تدير ظهرك حتى ينقض عليك بطعنة نجلاء ـ متخلف ـ قاسٍ ـ همجي ـ هوايته القتل ـ سادي ـ قاتل أطفال ـ جبان ـ رعديد ـ كذاب ـ منافق ـ قذر ـ فظ ـ ساخط ـ لئيم ـ حقود ـ ... إلخ[31].

ثمة تشابه في مظاهر الصور النمطية عن العرب، لدى الناشئة والعامة والمسؤولين في الكيان الصهيوني. ولعلّ في صدارة هذا التشابه ارتباط الصور بحرمان العرب من الشرعية، وفق عدة أشكال ومستويات. ويدفع هذا الحرمان عملية تكوين الصور النمطية السلبية عنهم إلى الذروة، حيث يتم إخراج العرب من دائرة المجموعات البشرية التي ينظر إليها بطريقة إيجابية إو بشكل عادي، بل ويجري عبر هذا الحرمان استثناء العرب من دائرة الجماعة الإنسانية. وحسب دراسة دانئيل بارتال (عالم النفس الاجتماعي في كلية التربية بجامعة حيفا). هناك عدة طرق لإضفاء «اللاشرعية» على العرب منها:

أ ـ «لا شرعية بسيطة»، وفيها يوصف العرب بأنهم كائنات تحت بشرية (بيغن: حيوانات تسير على

(29) محمد فاروق الهيثمي، الاستراتيجية الإسرائيلية، سلسلة دراسات فلسطينية/ 42 (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني) 1968 م، ص 113.
(30) حامد ربيع، المخطط الدعائي في الاستراتيجية الصهيونية، مجلة «السياسة الدولية»/ ع 11، (القاهرة) كانون الثاني/ يناير 1968 م، ص 60.
(31) سميح القاسم، أضواء على الفكر الصهيوني (بيروت: دار القدس) 1978 م، ص 155.



هدم المنازل وتجريف الأراضي هل هو تقدم حضاري؟

قدمين - إيتان: صراصير مسمّمة - شامبير: جنادب) أو شياطين متعطشة للدماء.

ب - معاملة العرب كمجموعة انحراف (مضطربين عقلياً - مشاغبين - لصوص - إرهابيين).

جـ - استخدام مزايا سلبية متطرفة (عدائيين - متعصبين).

د - أوصاف سياسة محددة تحوّلت مع الأيام إلى مفاهيم تشير إلى السوء والخطر العام على البشرية (فاشيين - نازيين).

هـ - مقارنة مجموعات إثنية تاريخية ترمز إلى الشر (متوحشين - مخربين... إلخ)[32].

وخلال يوم دراسي عقد تحت عنوان «العربي في الإعلام الإسرائيلي من يوم الأرض وحتى الانتفاضة» (نظمه معهد إميل توما للدراسات الفلسطينية والإسرائيلية ومركز الجليل للأبحاث بالتعاون مع المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية في رام الله) تبيّن بحسب تأكيد البروفسور خليل ريناوي (المحاضر في قسم الإعلام بالكلية الأكاديمية للإدارة ومدير مركز الجليل للأبحاث الاجتماعية في حيفا) أن الإعلام الصهيوني عمل بشكل منهجي، منذ ما قبل قيام إسرائيل وحتى اليوم، على سحب الشرعية عن العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، وقد تمّ ذلك إما بتوجيه مباشر من السلطة أو بسبب جهل الإعلاميين الإسرائيليين للعرب أو تمشياً مع التيار المركزي والإجماع الصهيوني وإرضاء الأكثرية اليهودية. ومن جانبه أكد الصحافي هانس ليبرخت الذي يعمل في الصحافة الأجنبية منذ أكثر من خمسين عاماً أن الصهيونية عملت قبل قيام الدولة

(32) داني رابينوفيتش، أداة للتهرب السياسي، هآرتس 17/2/1989، ص 7/ب.

على نزع الشرعية عن العرب وحقهم في الوجود على أرضهم وفي وطنهم، وعملت وسائل الإعلام الصهيونية ولا تزال تعمل حتى اليوم على تكريس هذا الوضع وتجذيره في الوعي الإسرائيلي. وان الإعلام الإسرائيلي ـ كما يؤكد الكاتب سلمان ناطور ـ يحاول تهميش شخصية العربي، وقد سقطت في السنوات الثلاث الأخيرة كل الأقنعة عن هذا الإعلام فظهر مدى تماهيه مع المؤسستين العسكرية والسياسية. ونلاحظ البروفيسورة تمار ليبّس (رئيسة قسم الإعلام في الجامعة العبرية في القدس) أن الإعلام الإسرائيلي كان ولا يزال يخضع لهيمنة الخطاب الصهيوني الإسرائيلي في تعامله مع العرب.. وقالت د. عنات فيرست (المحاضرة في كلية نتانيا) إن العرب يظهرون في وسائل الإعلام الإسرائيلية على أنهم «مشاغبون ويمسون بالنظام العام». وقال مشاركون آخرون إن هذا الإعلام يستخدم في وصف أعمال الانتفاضة الفلسطينية مصطلحات غير موضوعية، مثل: أعمال شغب، مخربون، إرهابيون، قتلة، مجرمون، رعاع... إلخ[33].

نماذج من الممارسات والتصريحات العنصرية في الإعلام الإسرائيلي:

يستدل من معلومات أوردها أحد «الإسرائيليين»، خلال حديث أدلى به إلى الإذاعة العبرية (يوم 30/ 2003/10) أنه عثر على كتاب تدريسي يتمّ اعتماده في مدارس حركة شاس (التي تحتل 11 مقعداً في الكنيست) يغذي العنصرية والعداء للعرب. وقال المتحدث إن حركة شاس تربي أولادها، ابتداء من الصف الأول، على التعامل مع العرب ككذابين، حيث تزعم في أحد كتبها أن الله أراد إعطاء التوراة إلى الإسماعيليين (وهي كلمة مرادفة للعرب)، لكنهم رفضوها لأنها تحمل في طياتها وصية تحرّم الكذب! وبحسب المصدر ينضح هذا الكتاب بتعابير عنصرية أخرى، توضح توجهات الزعيم الروحي للحركة الحاخام عوفاديا يوسف، بتصريحاته التحريضية ضد العرب التي وصفهم فيها بنعوت عنصرية منحطة[34].

وكشف التلفزيون «الإسرائيلي» في تقرير إخباري بثه (مساء 2003/11/4) جانباً من الثقافة العنصرية التي تغرسها حركة «شاس» في نفوس طلبة المدارس الدينية والشبيبة اليهودية، وأشار إلى عينات من قصص التحريض العنصري على العرب التي تنشرها حركة شاس في صحيفة الشباب «يوم فتي» (وهي ملحق صحيفة «من يوم ليوم» الصادرة عن حركة شاس). وفي إحدى القصص التي نشرت مؤخراً في هذه النشرة، يتم تصوير العربي على أنه كاذب وإرهابي ومتآمر. وتروي إحدى القصص أن أحد المسنين اليهود كان يبحث عن مقاول لحفر بئر عميقة، فتقمّص «الإرهابي» العربي جابر، هوية مقاول وحصل على العمل، وأثناء قيامه بحفر البئر كان يخطط لترتيب حادث طرق يودي بحياة المسنّ اليهودي. وفي قصة أخرى، يسأل الأولاد والدهم عما إذا كان كل عربي هو إرهابي، فيحكي لهم قصة أحمد «الإرهابي» ويتركهم ليستخلصوا النتيجة. وبحسب ما جاء في التقرير فإن الفتيان اليهود وطلبة المدارس اليهودية ينشأون يومياً على هذه الثقافة العنصرية التي تحظى بتمويل من وزارة المعارف والحكومة الإسرائيلية التي تطبل وتزمّر من على كل منبر زاعمة أن الفلسطينيين يدرسون مناهج تحرّض على اليهود،

---

(33) موقع الجبهة www.aljabha.org ,4/8/2003

(34) موقع عرب 48 ـ 2003/10/30.

في وقت تمول فيه حكومة شارون مثل هذه السموم[35].

وكشفت مجموعة من الشباب في مدينة رهط العربية (شمالي النقب) أن صورة الجرو المطبوعة على ورق التواليت الذي تصنعه شركة حوغلة كمبرلي تشكل اسم الرسول محمد، في إهانة عنصرية وحاقدة لمشاعر المسلمين في البلاد[36].

وفي تصريح تناقلته وسائل الإعلام الإسرائيلية، اقترح الوزير جدعون عزرا (في العفولة) أن يرابط على بوابات المجمعات التجارية حراس عرب قائلاً: «العربي وحده قادر على أن يميز، فهو سيشم ويميز العربي من غير العربي»[37].

وأدلى الحاخام عوفاديا يوسف (الزعيم الروحي لحركة شاس) بالعديد من التصريحات العنصرية ضد العرب، ولم يحرك المستشار القانوني للحكومة ساكناً إزاء هذه التصريحات. وفي ما يلي عينات منها:

يعتبر تصريح بلفور نموذجاً صهيونيا في نصه على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وعدم إيراد المواطنين العرب بأسمهم بل نص على أنهم طوائف غير يهودية لا هوية لها ولا كيان.

- خلال الدرس الأسبوعي الذي ألقاه في كنيس في القدس، وسط تصفيق أنصاره، قال الحاخام عوفاديا يوسف مخاطباً رئيس الحكومة إيهود براك الذي تفاوض مع الفلسطينيين: لماذا تقربهم منّا... أنت تأتي بالثعابين إلى جوارنا.. كيف يمكنك إقامة سلام مع الثعابين. ووصف الفلسطينيين بعبارة «هؤلاء الأشرار العرب». وأضاف: تقول النصوص الدينية ان الله يندم كل يوم على خلقه أبناء إسماعيل هؤلاء[38]. (وفي هذا التصريح تطاول على الله حين يوصف بأنه يندم، وإساءة للجنس البشري كله حين يوصف بالأفاعي، وتجاهل مطلق لمشاعر الآخرين).

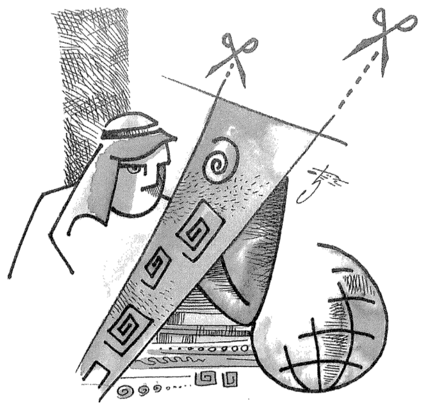
- في موعظة في حي هارنوف بالقدس بمناسبة عيد الفصح قال الحاخام عوفاديا يوسف: اللّه سيرد على العرب كيدهم إلى نحرهم، سيبيد ذريتهم. وطلب الحاخام عوفاديا يوسف من جمهور الحضور الذي استمع إلى موعظته أن يردد بإصرار «يا إلهي صب غضبك على الشعوب العربية». وختم الحاخام موعظته بالتمني من اللّه تعالى أن يرد على العرب كيدهم إلى نحرهم، وأن يبيد ذريتهم ويدمرهم ويخضعهم ويخفيهم من الوجود. ثم أضاف: من المحظور الرأفة عليهم ويجب أن تمطروهم بوابل من الصواريخ، لتدميرهم. إنهم مجرمون، مبغوضون[39].

- في درس قدّمه في مدرسة «يحفيه داعت» الدينية في القدس، قال الحاخام عوفاديا يوسف عن الفلسطينيين إنهم «نجسون منجسون». وتهجم على وزير التعليم يوسي سريد بعد خطته لإدراج بعض قصائد للشاعر الفلسطيني محمود درويش في المنهاج الدراسي[40].

- خلال درس ألقاه في كنيس تفئيرت أورشليم في حي هبوخريم في أورشليم، هاجم الحاخام عوفاديا يوسف الفلسطينيين ووصفهم بقوله: هؤلاء الأشرار الإسماعيليون، ليس في دماغهم سوى الانتقام[41].

---

(35) موقع عرب 48 - 2003/11/4.
(36) صقر أبو صعلوك، صحيفة أخبار النقب - ع 291 - 2003/1/5.
(37) معريف 2003./5/21.
(38) سعيد بدران، تقرير معاريف 2000/8/7، ص 7 + الموضوع الرئيسي في صحيفة القدس 2000/8/7، ص 1.
(39) شلومو تسزنا، تقرير، معاريف 2001/4/9، ص 3.
(40) شلومو تسزنا معاريف 2000/8/9، ص 13.
(41) شلومو تسزنا معاريف 2001/5/23، ص 8.



- في موعظة ألقاها في مؤسسات «اور حاييم» قال الحاخام عوفاديا يوسف: لماذا لا يفعل شارون ما يجب أن يفعله؟ إنه يخاف من أمم العالم. عندما سيأتي المسيح لن يخاف من أي أحد. وسوف يرسل كل العرب هؤلاء إلى جهنم. وشبّه الحاخام يوسف العرب بالنمل الذي يدب على الأرض في المدينة القديمة، وقال: المسيح سيخاف منهم؟ سيخاف من الأمم المتحدة؟ إنه سيدمرهم بروح كلامه[42].

- في موعظته بمناسبة عيد الفصح اليهودي، قال الحاخام عوفاديا يوسف: فليبد الله العرب وليقض على نسلهم وليخفهم عن وجه البسيطة، ومن المحظور الترحم عليهم ويجب قصفهم بالصواريخ «على كيف كيفك» وإبادة هؤلاء المجرمين الملاعين[43].

- في موعظة دينية قال الحاخام عوفاديا يوسف: إن المسيح المنتظر سيقذف كل العرب إلى جهنم ويبيد الأمم المتحدة ضد إسرائيل، وبنفخة واحدة سيطيرهم جميعاً. وأضاف في كلمته - التي نقلتها إذاعة الجيش الإسرائيلي: إن العرب يتكاثرون كالنمل في القدس القديمة، تبّاً لهم فليذهبوا إلى الجحيم[44].

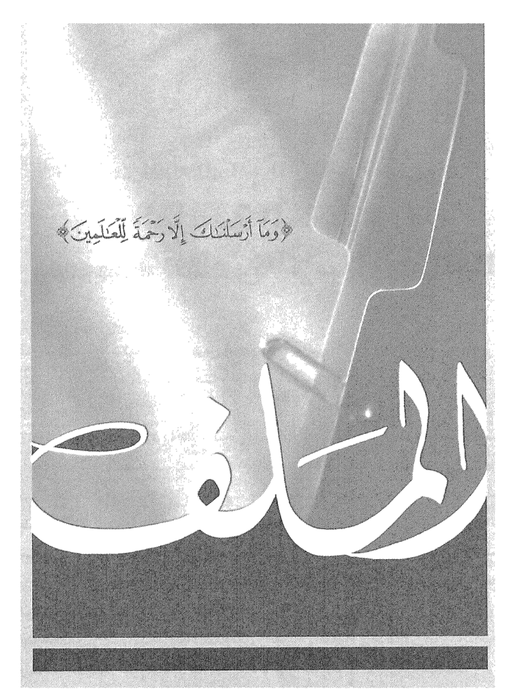
خاتمة:

يمكن التأكيد على أن التصورات التي ينطوي عليها الخطاب الدعائي الصهيوني حول العرب هي تصورات متحيزة وعدائية، وهي تصورات ذهنية لا تنتمي إلى عالم الواقع. وتهتم هذه التصورات بالمبررات والمسوغات لإضفاء الشرعية على المشروع الصهيوني. كما تهتم بنشر المقولات الرامية لتعبئة القائمين بهذا المشروع، وشحنهم بقوة إضافية في الاندفاع نحو الإنجاز، فضلاً عن تحريض القوى المؤيدة للحقوق العربية كما تتخذ مواقف سلبية من العرب وقضاياهم.

(42) أورون مئيري، يديعوت أحرونوت 2001/7/27، ص 2.

(43) صحيفة «القدس» الصادرة في القدس المحتلة 2001/4/11، ص 2 نقلاً عن الوكالات.

(44) الحياة الجديدة الفلسطينية 2001/7/28، (ع 14013)، ص 5.



- ترجمة الإيمان إلى عمل إيجابي
- الرسالة الخاتمة .. احتواء الماضي واستشراف المستقبل
- عموم الرحمة وعالمية الإسلام
- حضور عالمي وإنساني يجسد التراحم
- التصوف.. دعوة وتربية
- انطباعات بعض المشاركين



المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية:

القاعدة الشعبية لعمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

قام الرئيس أحمد تيجان كابا رئيس جمهورية سيراليون، باسم القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، بافتتاح فعاليات المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، الذي عُقد بمدينة طرابلس تحت شعار ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ خلال الفترة من 26 إلى 27 من شهر الحرث (نوفمبر) 1372 من وفاة الرسول ﷺ (2004 مسيحي) بمشاركة أكثر من 250 هيئة ومنظمة ومؤسسة إسلامية من مختلف أنحاء العالم، الأعضاء في المؤتمر العام، وبحضور حشد كبير من المفكرين والعلماء والدارسين والشخصيات السياسية ووفود إسلامية ومسيحية، ومن منظمات دولية وإقليمية وكنائس ومشايخ الطرق الصوفية وعلماء الإفتاء ومسئولي المراكز والجمعيات والاتحادات الإسلامية من مختلف دول العالم.

وقد حضر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر نولي دي كاسترو نائب رئيسة جمهورية الفلبين، المنجي أبوسنينة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، مصطفى تسيبريتش رئيس مجلس العلماء والمفتى العام في البوسنة والهرسك، والأسقف بيرلودجي شيلانا أمين المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان، بالإضافة إلى عدد من الرؤساء السابقين والوزراء والعلماء والمفكرين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وأعضاء المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية.

وهذا المؤتمر يشكل أهمية جوهرية بالنسبة لعمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لأن من خلال ما يقدمه أعضاء المؤتمر الذين يشكلون القاعدة الشعبية العريضة من المنظمات والجمعيات والدعاة وقادة العمل الإسلامي الأعضاء في الجمعية . من اقتراحات تحتاجها ساحاتهم، يتم صياغة برنامج عمل الجمعية على مدى السنوات الأربع القادمة.

وكالعادة فإن برنامج المؤتمر يتضمن عدة بنود تبدأ بمراجعة ما سبق تنفيذه خلال السنوات الأربع التي مضت، وإلقاء الضوء على ما تم تنفيذه ونسبة النجاح فيما تم، ومن أبرز ما يضمه البرنامج الأوراق البحثية التي تلقى على أعضاء المؤتمر، أما الركيزة التي يقوم عليها المؤتمر فهي التقارير التي يقدمها أعضاؤه القادمون من جميع أنحاء العالم يحملون معهم هموم المسلمين شعوبا.. وأقليات.

ونحن في هذا الملف، سنلقي الضوء على جوانب من هذا المؤتمر، مما يتيح للقارئ تكوين فكرة عامة عنه وعن طبيعة عمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.





الرئيس أحمد تيجان كابا رئيس جمهورية سيراليون:

ترجمة الإيمان إلى عمل إيجابي

أود أن أتقدم بالشكر للقائد أخي وصديقي معمر القذافي على تشريفي عظيم الشرف بافتتاح هذا المؤتمر الهام (المؤتمر السابع لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية) في هذه المدينة التاريخية والجميلة مدينة طرابلس، إنني أعلم أن من بين الأهداف الرئيسية لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية تشجيع الحوار وبناء الوحدة والوئام بين ديانات العالم لا سيما ما بين الإسلام والمسيحية، وهذا المبدأ النبيل في نظري لا يمثل فقط قاعدة لاستدامة الأمن والتفاهم في العالم ولكن كذلك أشير إلى أنني أنتمي إلى بلد يمارس فيه التسامح الديني وآتى ذلك التسامح أكله من خلال تحقيق سلام يستمتع به اليوم سكان سيراليون، فسبعون في المائة من سكان سيراليون مسلمون، وقد نمينا مفهوماً يسمح للديانات الأخرى كالمسيحية بممارسة شعائرها، مما ساعدنا في بناء مجتمع مستقر، لأن المسيحيين يمثلون بدورهم نسبة مئوية لا بأس بها من سكان البلد، وحقيقة الأمر إنني أول رئيس مسلم لسيراليون ذلك البلد الذي له تاريخ نظم حكومية حديثة تعود لمائتي سنة، ففي الماضي ومنذ عهد الاستعمار البريطاني حتى سنة 1996 كل رؤساء البلد كانوا من المسيحيين.

وإذا كان هناك من الناس اليوم من يسعى لتشويه اسم وصورة الإسلام فإننا نقول له إن من الواضح والجلي أن جوهر الإسلام يعتمد على السلام، والإسلام يعلم مبادئ تهدف لتمكين الناس من العيش في انسجام، على سبيل المثال يتعايش المسلمون والمسيحيون في سيراليون بسلام، فعيد الفطر يعتبر عيداً لغير المسلمين أيضا. كما يشارك وعلى نفس المنوال المسلمون إخوانهم المسيحيين في الاحتفال بأعياد الميلاد وعيد الفصح، ويكفي أن نقرأ ونشاهد وكذلك ننصت لبعض الأخبار التي تأتينا من بقاع العالم لكي ندرك المنة التي نتمتع بها ألا وهي أن التسامح الديني يمثل قيمة من أهم قيم سيراليون. إن التسامح الديني هو الذي يحدو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لذلك، وأود أن أنتهز هذه الفرصة لكي أهنئ أخي وصديقي قائد ثورة الفاتح العظيم على إنشائه لهذه الجمعية في شهر الماء (مايو) 1972. قد لا أكون شيخاً ولا داعية، ولكن أتيحت لي الفرصة لكي أدرس القرآن الكريم وكذلك الكتاب المقدس في الآن ذاته، وكنت أدرس في مدرسة مسيحية، وفيما يخص دور الدين والإيمان في حياتنا أود أن أشير إلى تطبيق معتقداتنا الروحية حتى نتمكن من مواجهة التحديات العلمانية التي تواجهنا عبر العالم، كما أود أن أؤكد على دور الدين والإيمان في شؤون الدول، لا سيما للنهوض بالسلام، وستتفقون معي أن من الأساس أن نقيم هذا الربط أو هذا الرابط بيّن الأثر والكبير

الذي يكون للشؤون الدولية على حياتنا في العالم الحالي.

قد نختلف في العقيدة أو في الشيع أو في المذاهب والطقوس التي نتبعها في نشاطاتنا الدينية، وقد تختلف من مذهب أو شيعة إلى مذهب أو شيعة أخرى، وكذلك طرق ممارسة تلك الشعائر تختلف، لكننا كمسلمين وكمسيحيين نتشاطر ونعبد نفس الإله، الله هو الرب القوي العليم الرحيم، وإننا نتوجه إلى نفس الإله، ونظراً لأننا ننتمي إلى نفس الخليقة وبالتالي نفس الإيمان، وفي نظري فإن فكرة الإيمان الواحد ينبغي أن نستلهمها لكي ترشدنا لتجاوز كل العراقيل التي تحول دون استتباب السلام وإحقاق حسن الجوار، سواء على المستوى الوطني أو الدولي، هذا الإيمان الواحد هو الذي يجمع فيما بيننا كمواطنين في العالم، وهذا الإيمان الواحد هو الذي يضمنا كأعضاء في نفس أسرة الأمم، وهنا أتذكر قوله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾

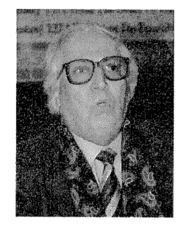
[سورة آل عمران: الآية 103]

وتستمر الآية لكي تذكر بالمنن التي منحها الله لنا، كيف أنه جمع بين قلوبنا في حين أننا كنا أعداء وأصبحنا بنعمته إخوانا، كذلك يخبرنا الحق سبحانه وتعالى أننا كنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا منها، هكذا نرى بأن الرسالة رسالة واضحة، علينا أن نضع إيماننا في خدمة الصالح العام، في خدمة أمننا وفي خدمة السلام الدولي، لا يكفي أن نفتخر بديننا أو مدى الجهد الذي نبذله لتشجيع التسامح الديني إذا لم نترجم ذلك الإيمان إلى عمل إيجابي، وكما جاء في الكتاب المقدس (الإيمان بدون أعمال إيمان ميت) وهو ما يؤكد أن الإيمان ضروري في حد ذاته، لكنه لا نفع فيه إذا لم يبدُ جلياً في أعمالنا، وكذلك يعلمنا الكتاب المقدس بأنه حينما يقول أحد لك لدي إيمان ولديَّ أعمال فردُّ الفعل ينبغي أن يكون «أظهر لي إيمانك بعيداً عن عملك وسأظهر لك إيماني وأعمالي».

والرسالة التي أتوجه بها إليكم هي أن نؤمن بالله سبحانه وتعالى إيماناً بناءاً، إيماناً يبغض الدمار، وكذلك إيمانا يردم الهوة التي تفصل بين الأسر والمجموعات وتفصل بين الأغنياء والفقراء، إيماناً يتسم بالرحمة، إيماناً يمكن الجروح من الالتئام، إيمانا يزيل آثار النزاع، إيمانا ينور، إيمانا يعلم، إيمانا يتجاوز كل فهم إنساني قاصر، لأنه دون إيمان وإذا لم يكن هناك عمل يرافق الإيمان سيكون من الصعب أن نرضي الله سبحانه وتعالى.

إنني سعيد جداً أن أذكر هنا بأننا نحن في مؤتمرنا السابع للدعوة الإسلامية، بعد حوالي ثلاثة عقود من تأسيس هذه الجمعية، ولا بد أن نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإنشاء هذه الجمعية، وأن نحيي وأن نشكر الأخ القائد معمر القذافي الذي كان له الفضل في تأسيس هذه الجمعية، ونحيي آلاف الدعاة وآلاف الأعضاء لمؤسساتكم وجمعياتكم الذين نفخر بهم حقاً لأنهم يعملون بجد ليكونوا على مستوى الدعوة الإسلامية كما أرادها الله، دعوة مفتوحة، دعوة تهتم بالخير العام للناس جميعاً، تهتم بشؤون الأمة الإسلامية، تهتم بشؤون المفكرين والمثقفين والعلماء والطلاب والمدرسين، والذين يعملون من أجل الإغاثة ومن أجل علاج الناس ومن أجل مساعدة اللاجئين، وهؤلاء جميعاً احتسبوا هذا الأمر عند الله، ولم تكن آفاقهم ضيقة، ولم يعتدوا على أحد من الناس، وكانوا عوناً للناس جميعاً.

أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



الرسالة الخاتمة.. احتـواء الماضـي.. واستشـراف المستقبـل..

الأستاذ الباحث إبراهيم بشير الغويل*

إننا نتناول هذا العنوان باعتبار أنه يتطابق مع موضوع الرؤية التاريخية التي نتبنى والتي ترى أن إكمال الدين واختتام النبوة (بوفاة محمد ﷺ) إنما هو الرؤية التاريخية الصحيحة التي تواجه رؤية أخرى للتاريخ والتي للأسف فرضوها علينا..

ولذلك.. فإننا سنعرض هذا الموضوع في تمهيد يوضح الرؤية السائدة للتاريخ.. وخطورتها علينا.. وعلى الإنسانية كافة.. ثم نفرغ لتوضيح الرؤية التاريخية الصحيحة.. وكيف أنها تتسع لاحتواء التاريخ الإنساني كله.. وتستشرف المستقبل للناس كافة ... ثم نختم بما تقدمه هذه الرؤية من تصحيحات في رؤية التاريخ..

(I)

رؤية سائدة للتاريخ ؟!

إن رؤية الغرب للتاريخ، والتي للأسف فرضوها علينا أيضاً ؟!.. هي المسؤولة عن تزييف النظر الصحيح للتاريخ الإنساني.. ومساهمات الاقوام والثقافات القومية في المسيرة التاريخية الحضارية للإنسانية... وهي المسؤولة عن هذا الغرور الذي يتنكر لعطاءات الثقافات الأخرى.. ويصور لهم غرورهم أنهم نهاية التاريخ ويمثلون آخر إنسان.. بل الإنسان الأخير.. والـ Super Man؟![1]

إن رؤيتهم للتاريخ، والتي للأسف فرضوها علينا أيضاً ؟!.. تقول إن التاريخ له بعد واحد ؟! يلتصق فيه التقدم مع تقدم الزمن ؟!.. فالقرن الواحد والعشرون

* كاتب وباحث وخبير قانوني، عضو مجمع الفقه الإسلامي/ ليبيا

(1) وتعود فكرة نهاية التاريخ. كما رصدها أحد الباحثين (على أن هناك من يعود بها إلى ما قبل هذا..) . إلى نحو قرنين من الزمان، فقد «أعلن الفيلسوف الألماني (هيجل) أن التاريخ انتهى عام 1806 م لأنه رأى في دحر نابليون للملكية البروسية في معركة (بينا) انتصاراً لمثل الثورة الفرنسية، وبشيراً بامتداد الدولة التي تجسد مبادئ الحرية والإخاء والمساواة في العالم».
ثم رأي «كارل ماركس » أشهر من روجوا فكرة نهاية التاريخ . أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية التي ستحل في النهاية جميع التناقضات السابقة عليها... فيما رأي عالم الاجتماع الأماني «فيبر» أن الأخلاق البروتستتانية هي روح الرأسمالية، وأن الرأسمالية هي نهاية التاريخ... وبعد أن أسقط التاريخ نفسه مادية «ماركس».. بدأ «فوكوياما» (...) بإعلان انتصار الغرب الرأسمالي، والوصول إلى نهاية التاريخ... وقد أكد أفكاره في كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وكانت غايته «ليست إلا تسجيل (اللحظة الأميركية) في تاريخ البشرية، أي: انتصار أميركا بعد سقوط النظم الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وشرق أوروبا، باعتبار تلك اللحظة نهاية التاريخ... وإذ بالرئيس «بوش الأب» بعد انتصار أميركا في حرب الخليج «يعلن عن إقامة (نظام عالمي جديد)، تجسيداً لفكرة نهاية =

متقدم على القرن العشرين.. والقرن العشرون متقدم على القرن التاسع عشر.. والقرن التاسع عشر متقدم على القرن الثامن عشر.. وهكذا دواليك...

وإن رؤيتهم للتاريخ هذه تجعلهم يزعمون أنهم هم قمة التاريخ.. ونهاية التاريخ ؟!

وإن رؤيتهم للتاريخ هذه هي التي جعلتنا ننظر، وجعلت أهل الثقافات الأخرى سواهم ينظرون، إلى أنه لا خيار إلا أن نكون، ويكون أهل الثقافات الأخرى، اتباعاً لهم... فإذا رفضنا لم تعد لنا، ولأهل الثقافات الأخرى، من خيار آخر سوى أن نعود إلى تاريخنا ؟!.. وننعزل عن التاريخ الإنساني المعاصر والمستقبلي؟!؟!

الرؤية التاريخية الصحيحة (بإكمال الدين واختتام النبوة بوفاة محمد ﷺ).. احتواء الماضي.. واستشراف المستقبل...

الرؤية التاريخية التي نتبنى ترى أن نشأة التاريخ كانت منذ أن اكتسب آدم المعرفة وعلم الأسماء كلها.. فكما أن أساس المعرفة الإنسانية، ونقطة البدء اليقينية فيها، هي الوحي[2] الذي كون الإطار المعرفي المبدئي.. المتوافق مع الفطرة.. والمؤكدة بتراكم التجارب البشرية التي تعرف المعروف فتؤكده بإنكار المنكر.. واقرار العرف.. ويأتي الدين القيم مؤسساً على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.. وآمرا بالمعروف....

فإن تاريخ الوحي.. وتاريخ النبوات والرسالات.. من آدم.. ومروراً بأبي الأنبياء: إبراهيم.. وموسى وعيسى واكتمال كل ذلك (ومن هنا أهمية التاريخ بإكمال الدين واختتام النبوات) في صورته النهائية عند حجة الوداع (632 ش من ميلاد المسيح عليه السلام) التي قال فيها رسول الله ﷺ إن الزمان قد استدار اليوم كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض..

يكون كل ذلك إعلاناً على أن المعرفة الإنسانية، والمسيرة التاريخية الإنسانية، قد استدارت وأخذت منحنى جديداً.. بعد أن تأكدت نقطة البدء اليقينية بالوحي.. ورسمت الخطوط العريضة وتأكدت.. وبعد أن تمت عملية الصياغة المكتملة لس الوصية الخاتمة ز والنداء الأخير للبشرية جمعاء - عبر حواجز الزمان والمكان - فقال عز وجل:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: الآية 3]

والنبوة والرسالات تقدم في التاريخ، ولقد كان للأنبياء وللرسل دور ورسالة في تقدم الوعي الإنساني، وكان اكتمال الرسالة إعلانا لاستقلال العقل والإرادة.. واكتمال الوعي الإنساني بعد أن حقق الوعي غايته في تطور البشرية...

ومن هنا نستطيع أن نقول إنه تم رسم محور الارتقاء والتقدم الذي سجلته الإنسانية من خلال مسيرتها.. وفقا للفطرة.. وما تأكدت به من إنكار للمنكر عند أي انحراف، وأمر بالمعروف.. حتى صار «عرفها» الذي به تأتمر... وهي مسيرة مشرفة قادها الأنبياء والرسل أجمعون عليهم أفضل الصلاة والسلام...

والنبوة والرسالات تقدم في التاريخ، ولقد كان

= التاريخ، بنشر القيم الأميركية على امتداد العالم»، أي بمعنى آخر: «أمركة» العالم... في غمرة هذا السياق يأتي كتاب «صموئيل هانتغتون» صدام الحضارات: إعادة «تشكيل النظام العالمي» الصادر العام 1996 «ليتنبأ بأن نهاية التاريخ هي نهاية صراع بين الحضارات»، وبمعنى أدق: صراع بين الحضارة المسيحية وبقية العالم....» تقوم نظرية هذا الكتاب على فكرتين هما: «حتمية النزاعات بين الدول، وضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بترويج قيمها الثقافية الخاصة» وعلى خط «هنتغتون، وفوكوياما» استكمل المستشرق «برنارد لويس» السير في طريق التأسيس النظري للصراع بين الحضارات/الأديان، والإعلام الايديولوجى لانتصار الغرب المسيحي، ففي كتابه «ثقافات في صراع» يؤرخ للصراع بين الغرب والشرق، وبشكل أكثر تحديداً بين الغرب الأوروبي الأميركي (المسيحي) والشرق (الإسلامي) فيختزل الصراع بين الحضارات إلى صراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية... وهو بذلك فاق غيره في تطرفه وعدوانيته، وهذا ما يعرف عنه في مجمل كتاباته وأبحاثه. (هكذا فسر الغرب - من خلال / نظرته الاستعلائية العدوانية - نهاية التاريخ وطبيعة «العلاقة» بين الحضارات والشعوب على أنها علاقة منتصر ومنهزم، أو هكذا يجب أن تؤول حتمية النزاعات وتلك العلاقات إلى نهاية التاريخ، على أنه بداية انتصار الغرب على خصومه في العالم وفي مقدمتهم أصحاب الديانة الإسلامية.

لـلأنـبـيـاء ولـلـرسـل دور ورسـالـة فـي تـقـدم الـوعـي الإنساني.. من خلال تأكيد ما هو أساس في تهيئة الإنسان - والناس كافة - لما يصلحون له من «دور» في أداء «رسالتهم» التي اؤتمنوا عليها خلفاء في الأرض لتعميرها.. وقد سخرت لهم... الخ.

ومن هنا كانت كلمات: العبودية لله بمعنى تهيئة الإنسان لما يصلح له.. والاستخلاف ائتمانا له على العمران.. والتسخير... الخ كل هذه الكلمات هي ما أكد عليه كل الأنبياء والرسل بتأكيدهم على «لا إله إلا الله».. بما تعني من ألا يكون الفرد عبدا لغير الله.. وألا يستعبد غيره... وبما تعني أن يكون الإنسان خليفه في الأرض.. ويـكـون إخـوانـه مـن الـنـاس جـمـيـعـاً مستخلفين... وبما تعني أن يكون كل شيء مسخراً للإنسان.. ولإخوانه من بني البشر جميعاً...

ولئن تولى كل نبي رسول - بعد تأكيده ما هو أساس معالجة لمنكر ظهر في قومه نتيجة ضلال وخطأ.. فجاءهم بالهدى والتصحيح... وحتى إذا استوفت الأقوام ضلالها وأخطاءها. واستوفت النبوات

---

(2) ويعتقد كاتب هذه السطور برؤية ترى ان للمعرفة النماذج التالية:

1/ الانموذج الموحى للمعرفة: على الرغم من انه جزء صغير من المعرفة البشرية، ولكنه هو الجزء الاساسي او التأسيسي او الرئيسي والاهم او الجوهري والحيوي.

ان هذا ((الانموذج الموحى للمعرفة)) او ((الانموذج المعرفي الموحى)) هو النواة الدائمة.. والتي تتبعها جميع جهود المعرفة البشرية.. منها انطلقت، وعلى هديها سارت.. ونحوه تتوجه...

2/ الانموذج المعرفي- العلمي ((البشري)).. وهو يتميز بتعرضه لاعادة النظر، بصورة مستمرة، مواكبا التطورات على كفايات الانسان من عصر الى عصر، والانموذج العلمي يساعد الانسان على فهم اعمق للانموذج المعرفي الموحى، والفهم الاعمى للانموذج المعرفي الموحى يساعد على توسيع آفاق الانموذج المعرفي العلمي.

أ/ وللاسف الشديد، ان الانموذج المعرفي العلمي على يد الغرب، قد تنكب هذا الطريق وصار ((الانموذج المعرفي العلمي الغربي)) في معظمه خاضعا لنظرية معرفية تنفي وجود الانموذج المعرفي الموحى نفسه.. وهذا هو السبب في ((التمرد)) و((الصراع)) و... الخ.

ويعتقد رجل العلم الغربي هذا، بصفة خاصة، ان الدين لايمكن ان يوجه او يدير او يقود الانموذج العلمي الغربي.. والرجل العلمي الغربي لايملك الا الصيغ المنهجية والرياضية القائمة على المنطق الكمي، فالانموذج العلمي الغربي محدد بمدى المنطق البشري، وهو محدد بالمنطق الكمي..ا.

ب/ ولكن بحمد الله ان قوى العقل البشري، بل ومسيرة التاريخ الانساني، تقود الى اتجاه التوحيد ايضاً. / إن آخر اجتهاد وجهود العلماء في الفيزياء هي دراسات القوة الواحدة التي تمسك كل اشكال المادة معا والتي تقول انه ما يمسكهن الا القوي المتين Strogn Force.

السيد نولي دي كاسترو

نائب رئيس جمهورية الفيليبين:

الإسلام دين سلام واعتدال

هنـاك سبب قـوي يـدفـع ويضـع المسؤولية على كل المسؤولين في الأمة الإسلامية للعمل على وضع حد لهذا التطرف، وتأكيد الحقيقة ألا وهي أن الإسلام دين سلام ودين اعتدال، كما ينبغي على المنظمات الرئيسية الإسلامية التي تؤمن بالمبادئ الحقيقية للإسلام أن تنخرط في الأنشطة التي ستبرز سمات الإسلام، وبالتالي ستمنع هذه المجموعات المتطرفة من استعمال الإسلام لخدمة مصالحها المتسمة بالأنانية.

نحن نعترف بضرورة إقامة حوار بين المجموعات الإثنية والدينية، وذلك في إطار جهود بناء السلام، وهنا لا يسعنا إلا التأكيد على الدور الذي يلعبه الزعماء الروحيون في إعادة الوئام من جديد من خلال بذل الجهود الضرورية، فالزعماء الروحيون هم الذين لهم المصداقية، وكذلك القوة الأخلاقية، لدفع الناس نحو التسامح والتعاون المشترك، فهم الذين يرشدون الناس في كل جوانب حياتهم، خاصة في زمن النزاعات والحيرة، ولهذا السبب فإننا نحيي قرار جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بأن يكون لها مكتب في الفليبين، حيث إن جمعية الدعوة صاحبة الأيادي البيض، وقد شرعت في نشاطات ومساعدات إنسانية، وهي تقدم هذا النموذج لتشجيع الحوار في ما بين المجموعات الإسلامية وترسيخ مبادئ الإسلام الحقيقية. وإننا متأكدون بأن ذلك سيكون له تأثير إيجابي خلال السنوات القادمة.

إن جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية جهود حيوية ومشكورة، تساهم في إحلال الحوار، حتى نتمكن من تصحيح ما يقدم من تشويه عن الإسلام وخاصة تلك الاتهامات التي توجه للدين، ونقطع الطريق على التطرف ونحقق سلاماً مستديماً، لهذا السبب يدعو الشعب الفليبيني جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى تأكيد وجودها في جنوب شرقي آسيا، وأن توسع من مهمتها في مناطق أخرى من المناطق التي تعاني مما تقوم به الحركات المتطرفة التي تهدد من خلال هذه الأعمال استقرار المنطقة،

والرسالات التصحيحات... فإن الوصية الخاتمة قد جاءتهم مصدقة ومهيمنة.. فكان القرآن الكريم.. الفرقان الذي جاء بالحق المبين.. الدين القيم الذي يقوم بكل جوانب الحياة.. والذي جاء آمرا بالمعروف.. متوافقاً مع الفطرة...

وإن الدين عند الله الإسلام...

ولقد تأسس محور الارتقاء والتقدم واستدار الزمان كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض.. وبعد هذا التاريخ المشرف الذي قاده الأنبياء والرسل.. وما جاء به الرسول ﷺ لقومه وللعالمين.. مفتتحا عصر القومية بآفاق إنسانية وعالمية.. فكانت دعوته لقومه وللعالمين وللناس كافة...

وإن ما جاء به الرسول ﷺ، وما يمكن أن يجعل منا لكلٍّ شرعة ومنهاجاً، إنما هو آخر مرحلة من الوحي في التاريخ.. وهو الوحي مكتملا في صورته النهائية، ويمكن أخذه كأصل للتشريعات...

ومن هنا صح ذلك القول لأحد المستشرقين الأميركيين (إن القرآن قد بدل مجرى التاريخ الإنساني)...

وقد ارتفع رسول الله ﷺ بقومه، وبـ «السابقين» من الأقوام الأخرى.. والتي كانت على ساحة الأحداث في عصره، إلى المستوى السامق الذي رسم للارتقاء والتقدم.. وحملهم، بحكم جعلهم أمة وسطا، أن يكونوا شهداء - بالحق - على الإنسانية.. وسوف يسألون...؟ وإذا كان المنكرون لله، ومن قالوا بـ«العَلمانية» (بفتح العين).. أوالاهتمام بهذا العالم الآن، إنما كان دافعهم الباعث هو:

❖ تحرير الإنسان من الخوف، والخضوع، للطبيعة.

❖ تحرير الإنسان من الشعور بعدم القداسة وهو يعالج مشكلات حياته.

❖ تحرير الإنسان من سيطرة طبقات ادعت لنفسها الامتيازات ؟!

فإن الإسلام برفضه للوثنيات وعبادة غير الله.. وإعلانه تسخير كل ما في الكون للإنسان إنما يحرر الإنسان من الخضوع للطبيعة.

والإسلام يستنكر تحريم زينة الدنيا، ويؤكد حل ما في الدنيا من طيبات.

وفي الإسلام لا ازدواجية.. بل مساواة، فليس بينهم معصوم (سوى رسول الله ﷺ في تبليغ ما أمر بتبليغه إلى الناس.

ولا حكومة إلهية.. بل «حكومة كل الناس» تخضع للخطأ والصواب... والشورى هي قاعدة «لجماعة».. وللجماعة أن تختار من صفوفها من تولى إليهم الأمر فهم أولو أمر منا - وليسوا أولياء.. فما بالك «ولي» أمر واحد..

ظل لله في الأرض ؟!.

(وإذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الإسلام تستهدف المساواة - فيما عدا الله - بين الناس في الاعتبار الإنساني، وفي البقاء في المستوى الإنساني، وفي المشاركة في خصائص الإنسانية من الصواب والخطأ.. فإنه ليس هناك في نظر الإسلام مكان في جماعة المؤمنين، أو في المجتمع الإسلامي، لنزاع

---

3) والاتجاه التوحيدي هو ما ورثته البشرية عن الانبياء، والذي تكامل وتعزز في ((الانموذج التوحيدي الاسمى)).

أ/ والانموذج التوحيدي الاسمى ((الاسلامي)) مرتبط بالانموذج الموحى.. متحدا متناغما.. مع جميع اقسام المعرفة والسلوك البشرية

وان وجود الانموذج الموحى على رأس الانموذج الاسمى.. يؤدي الى سلسلة من العمليات التوحيدية.. بينما رفض الانموذج الموحى، او عدم القبول بضرورته، يؤدي الى سلسلة من العمليات الاضطرارية!!!.

وقد قام الاتجاه الصراعي بصراعات وتفريق داخل اوربا.. وصراعات وتفريق في العالم كله.. بل صراع وتشويه في الطبيعة نفسها!!! - فهو لايعرف الا منطق الصراع والقوى والنطرسة.. والحروب والدمار..

ولكن بحمد الله ان قوى العقل البشري. بل ومسيرة التاريخ الانساني، تقود الى اتجاه توحيدي اسمى.

4) والانموذج الاسلامي الاسمى يعززه الانموذج الموحى.. هاديا للمعرفة والسلوك البشريين هو نظام اسمى بكثير لابداع نظام متكامل للمعرفة..

ولقد كان الاسلام هو الانموزج الاسمى، لانه يتكامل من خلال التنامي الشمولي المتناسق، وهو نظام يكتفي بأن يضع المنطلقات، ويوضح المسارات العريضة، والوجهة.. ثم هو مفتوح...

فهو مرتبط بالانموذج الموحى.. متحدا متناغما مع جميع اقسام المعرفة والسلوك البشريين...

حول السلطة.. على أساس أن بعض المجموعات في المجتمع يتميز عن المجموعات الأخرى.. على أساس غير إنساني؛ فهذه مجموعة لها قداسة، ولقولها عصمة.. وهذه مجموعة أو مجموعات أخرى ليست لها قداسة، وليس لأقوالها عصمة...)؟!

فإن أهل «مدينة رسول الله ﷺ» كانوا جميعاً معاً «أمة» من دون الناس.. ولكل دينه.. وهو دين واحد - وإن تعددت الرسالات تعدد الرسل بتعدد أقوامهم.. وبهداهم اقتدى رسول الله ﷺ وكان أسوة ورحمة للعالمين... وأمته ستكون «شرعة» للناس.. وشاهدة بالحق...

و«الزوجية» (الزوج) هو الفرد الذي له قرين يكتمل به، والرجل والمرأة كل منهما زوج، وهما معا زوجان) هي المكون الأول لـ«الوحدة» الإنسانية.. ومن الزوجية يكون الانتشار في شعاب الأرض شعوبا وقبائل لتعارفوا.. والأكرم، أي الأكثر كرامة، هو من يتزكى ضمن «الوقايات» التي تقيه في مسيرته نحو الفلاح... (والفلاح هو البقاء لا الفناء.. والغنى لا الفقر.. والعز لا الذل.. والعلم لا الجهل...).

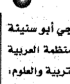
ولقد كان التطبيق الرسولي لهذا الوحي على أحوال الناس واحتياجاتهم تبياناً أن كل آية هي حل ومعالجة وموقف، وأن ما تجمع من الآيات على مدى ثلاثة وعشرين عاما قد قدم حلولا ومعالجات ومواقف.

(وإن هذا الوحي المنادى به من الواقع قد جاء موضوعاً للأفهام.. وفهم القرآن ليس إلا نظرية في التفسير...

ومن هنا إن أردنا أن نضع الوحي من جديد باعتباره مصدرا للمعرفة وموضوعا لها.. فلابد من نظرية في التفسير، ومن هنا فنحن نحتاج إلى نظرية في التفسير لا فلسفة ؟!

إن ما شرع لنا من الدين ليس علما متخصصاً.. إنه «وجهة نظر - منطلق» أو «زاوية رؤيا - إطار» أو «إطار مرجعي» (تعينك، أو يعينك، على رؤية الأشياء من

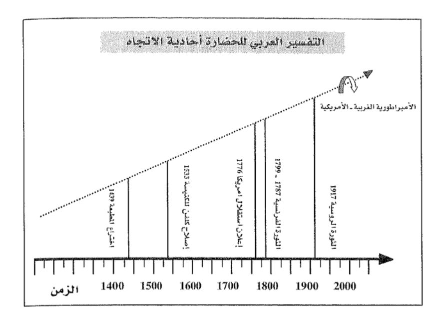
ولا بد من أن نشجع الحوار وكذلك المساعدات الإنسانية، وهي الجهود التي تحقق الاستقرار والتي نحتاجها في المنطقة، ونحن نرغب في التعاون معكم لكي نقدم إمكانية أفضل وفرصة أفضل لتحقيق الأهداف، فقضية السلام التي نسعى من أجلها نتمنى معكم تحقيقها والنجاح فيها، وأن نجعل السلام حقيقة قائمة خلال حياتنا.



الدكتور المنجي أبو سنينة
المدير العام للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم:

تعزيز مكانة الإسلام ولغة القرآن

أثمن الرسالة الإنسانية الرائدة التي تضطلع بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمتمثلة في تعزيز مكانة الإسلام ولغة القرآن في جميع أنحاء العالم، وفي القارة الأفريقية خاصة، وأن ننوه بالجهد المخلص الذي تبذله هذه الجمعية، حتى تتوطد أركانها ويزيد إشعاعها بما يحقق لها غايتها النبيلة ومقاصدها الشريفة. وإنه لمن دواعي سعادتنا في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أن نكون شركاء للجمعية في عدد من المشروعات الرائدة سواء المتصلة منها بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في القارة الأفريقية وفي القارات الأخرى وبين الجاليات العربية في المهجر، أو المتعلقة بالحوار بين الثقافة العربية الإسلامية وباقي ثقافات العالم، وتزداد سعادتنا ويتعاظم ارتياحنا عندما نراجع ما حققناه معا منذ أن وقعنا في شهر أي النار (يناير) من العام2002 بتونس، اتفاقية التعاون التي تجمع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، فقد قطعنا منذ ذلك الحين أشواطاً وأشواطا على درب الشراكة الإيجابية المثمرة، وحققنا إنجازات يحق لنا أن نفخر بها في مجال ربط الجسور بين الوطن العربي ومحيطه الأفريقي، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، وقد كانت للجمعية والمنظمة نشاطات مشتركة عديدة تراوحت بين عقد الدورات التدريبية لمدرسي اللغة العربية في بعض الأقطار الشقيقة وتنظيم الندوات



خلالها.. من هذا المنطلق.. من هذا الإطار يمكن أن ترى العلوم والآداب والصراعات والاتجاهات... كلها، وتراها بشكل يختلف عما يراه شخص ينطلق من وجهة نظر، من أيديولوجيا، أخرى.

إن ما شرع لنا من الدين موقف ثوري.. إنه أيديولوجيا صالحة لتهدي كفاح البشر في عصرنا أيضا.. وأيديولوجيا تمكن البشر من النظر إلى الأمور بشكل متوازن...

ومن هنا يجب ألا ننشغل، وما ينبغي لنا أن ننشغل، بغير هذه المهمة.. مهمة إحياء نظرة الإسلام للعالم.. للمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ونحن نريد للإسلام أن يخرج إنساناً جديداً.. ونريد من الإسلام أن يخلق منا أو يجعل منا إنسانا يستطيع الوقوف على قدميه فيكون منه شرعة للآخرين ومنهاجاً ؟!

إن مهمتنا هي أن نحول القرآن من «وقف على أرواح الموتى».. إلى موقف في حياة الناس.. وأن نفهمه بالبساطة والوضوح التي فهمه بها أبو ذر الغفاري، ذلك الأعرابي الأمي!.

إن التخصص إن كان يعجب البعض.. حتى إنهم يريدون مد ظلاله على الشريعة؟! يخلق النخبة ويعمق التمايز ويقود إلى تضخم سرطاني في البيروقراطية؟!

أما ما شرع لنا من الدين فهو ما نزل في القرآن ـ مصدقاً ومهيمناً ـ وهو ميسر لكل مُدّكر؟.

وإن ما شرع لنا، وهو ما وصى به ربنا نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.. وكان هو كلمة السماء إلى الأرض... واختتمت بنبينا ﷺ.

إنه إن صح التعبير.. (ولله المثل الأعلى وليس له شبيه ولا نظير) وجهة النظر الإلهية.. إنه الإطار الإلهي.. إنه النظارات التي إذا وضعها الإنسان ونظر من خلالها ظهر له كل شيء كما هو في الحقيقة، وذلك خلافا لأي وجهة نظر أخرى التي قد تضخم أمورا وتصغر أخرى.. وتلون ثالثة ورابعة.. الخ.

إنه من خلال المنظار الثقافي تكون رؤيانا واضحة وتضع الأمور في حجمها الطبيعي أو لا تكون، فإذا كان المنظار الثقافي يعطي المنظور الصحيح كانت كل أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا صحيحة.. وإلا فلا؟!

إن الذهنية الإنسانية إما أن تكون طوع الإلهي أو لا تكون.. وإنها لترى الأمور والناس وفق نظر إلهي أو شخصي.. وعلى اختلاف في هذا النظر الشخصي...

وبهذه الرؤية نرى في سنة رسول الله ـ في إطار سيرته عليه الصلاة والسلام ـ تجربة بشرية نموذجية قدمت تحققا لهذا الوحي... فلا يتحول الوحي من الفكرة إلى الشخص.. ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى التجسيد الشخصي؟

أما الإجماع ـ أعني إجماع الأمة ـ فقد كان كفيلا أن يقدم تحققا لهذا الوحي في التاريخ.. إذا التزم «الشرعة».. أما المنهاج فمفتوح أمامهم «وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»؟... فمن الله إلى شعور النبي.. إلى شعور «النبي ـ الرسول» إلى الأمة..

عودا إلى شعور الفرد من جديد!. فلسفة للتاريخ تقوم على دور الأبطال [3]، ولكنها تهدف إلى تحويل الجموع إلى أبطال في التاريخ.. والأمم إلى قادة التاريخ...

كان يمكن من خلال الأدلة الأربعة وإعادة ترتيبها.. أن نبدأ بالواقع وحياة الناس.. وبالأمة والجماعة كذاتية أكبر - على ما يقول إقبال - ثم الاسترشاد بالسنن وسير الأبطال.. ثم بالوصول في نهاية الأمر إلى الشامل في التاريخ...

وبدلا من الانتقال من النص إلى الواقع، يتم الذهاب من الواقع إلى النص! ويمكننا إدارك أهمية الزمان واصل الوحي.. وقانون التقدم والارتقاء؟!

والوحي نفسه ليس معطى من الله في لا زمان ولا مكان، بل هو تنزيل إلى البشر.. وتوجيه للواقعات ومعالجات لمشكلات، فالواقع هو الذي كان ينادي بالحل حين تستعصي المشكلات عن المعالجات البشرية بنسبيتها؟! و«الكتاب» هو في الحقيقة مجموعة من المواقف التي طرأت على الواقع الإسلامي الأول والتي استدعت حلولا - وكل موقف يمثل نمطاً [4] مثاليا يمكن أن يتكرر في كل زمان ومكان، فإذا ما حدث أن تكررت الواقعة استدعينا الحل نفسه. وهذه خاصية الوحي في الإسلام وتعرف في علوم القرآن باسم: «التنجيم» وفي علوم التفسير باسم «أسباب النزول».. ولقد نزل القرآن على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وقد سمى الأصوليون هذه الأنماط

العلمية والثقافية لدراسة التأثيرات المتبادلة بين إفريقيا والوطن العربي خاصة، وطباعة الكتب المدرسية لتعليم اللغة العربية على غرار ما تم مع وزارة التربية بجمهورية جيبوتي، وفي مجال الحوار بين الثقافات نجحت الجمعية والمنظمة في عقد ندوات دولية كان لها أوسع الصدى في الوطن العربي وخارجه، أذكر منها بالخصوص ندوة الحوار الثقافي العربي - الأوروبي التي احتضنها معهد العالم العربي بباريس في شهر ناصر (يوليو) سنة 2002، وندوة دور الإعلام في التواصل الثقافي بين العرب والغرب والتي عقدت في شهر الربيع (مارس) 2004 بمقر اليونيسكو، ونحن نعد الآن معا لعقد ندوة بنيامي في أوائل العام 2005 عن دور الثقافة العربية الإسلامية في بناء الاتحاد الأفريقي، وذلك إثراءاً للحوار العربي - الإفريقي وفتحاً لآفاق تعاون جديدة بين شمال الصحراء وجنوبها، وتحديث استراتيجية تعليم اللغة العربية وجعلها تواكب المتغيرات والمتطلبات الجديدة للمرحلة، وهي أهم وأحدث المنجزات في إطار هذا التعاون الوثيق. ولابد كذلك من الإشارة إلى الحيز الواسع الذي تحتله العلوم في هذه الشراكة بين المنظمة والجمعية، مما يدل على وعي مؤسستينا بأهمية العلم والبحث العلمي في بناء نهضة أمتنا الإسلامية، كما كانت جمعية الدعوة طرفاً فاعلاً في المساعدة على تنفيذ عدة مشروعات تابعة للمنظمة، مثل إعداد الاستراتيجية العربية لنشر الثقافة العلمية والتقنية، وعقد المؤتمر العربي العالمي لتطبيقات الطاقة الشمسية، وتنظيم ندوة البعد الأخلاقي لمصارف الجينات. وما هذه النشاطات والإنجازات المشتركة التي ذكرتها إلا قليل من كثير، ونحن ساعون بإذن الله في المنظمة وفي الجمعية إلى تطوير الشراكة بيننا لتحقيق المزيد من التنويع لمظاهرها وأشكالها خلال السنوات القادمة أن شاء الله. واعتقادي بأن المناسبة سانحة لتقويم ما أنجزناه تقويماً علمياً وموضوعياً، حتى يتسنى لنا تحسين الأداء في برامجنا القادمة، وفتح آفاق جديدة للعمل المشترك من أجل الغاية التي نسعى إليها معا وهي تحقيق مزيد من الإشعاع لثقافتنا العربية الإسلامية وإظهار صورتها المشرقة في كل ربوع العالم، وأدعو الله العلي القدير أن يوفقنا في هذا المسعى الجليل.

---

(3) ن استعمال مفردة «البطل» و«الأبطال» من الكلمات التي لا تفارق، ولكنها لا توافق، فتفضل«العظيم» و«العبقري»

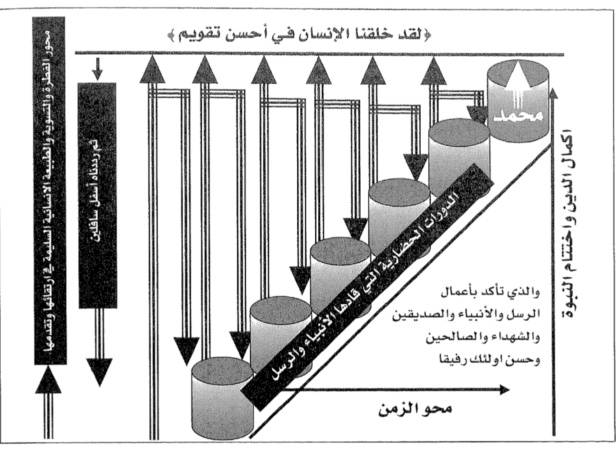
(4) القرآن لم يقدم تاريخا تقليديا تتعاقب فيه الأحداث تعاقباً زمنياً.. وإنما قدم أنماطاً.. موضوعات وقضايا...

وإن هذا قد زودنا برؤية «بانورامية» متداخلة مركبة.. وجعلنا نعايش التاريخ كتجربة... فوحدة الأحداث التي تتجاوز التعاقب.. وتتجاور داخل «البانوراما» الواحدة ويرتبط بعضها ببعض.. بغض النظر عن الحقبة التاريخية.. إن كل هذا يعطيك الإحساس بالنسق.. وإمكان امتداده...

والنسق التاريخي - في هذه الرؤية - لايتكون من بناء تحتي (أو أدوات إنتاج) أو.......... وإنما هو «كل»إنساني وو.........

وإنه ليجعل العنصر الإنساني والناس في قلب الأحداث، وإن طرد العنصر الإنساني «الناس» من عالم الزمان والمكان - والذي صاحب ظهور الغرب.... - لهو أساس كل كارثة...

(القياس الميكانيكي للزمان...) ... وأكاد أقول وظهور «الإنسان الميكانيكي» ؟!



المثالية «المناط».. وهي مواقف إنسانية حية زاخرة بالتجارب النفسية الفردية والمجتمعية...

وفي هذه النظرة تبدو السنة - وفي إطارالسيرة - مجموعة من المواقف التطبيقية التي يتحدد فيها سلوك الإنسان كصيرورة لأنماط مثالية ونموذج لتجارب بشرية يمكن الاحتذاء بها والاقتداء...

السنة تعني أن الوحي لا يصير دولة إلا بتحقق أول له في مجتمع بعينه، وكان يمكن للتاريخ أن يظهر من خلال الإجماع أو تفاعلاته ليس لعصر بعينه ولا لجماعة بعينها وإن عدم التزام كل عصر بإجماع العصر الذي سبقه ليعطي دفعة جديدة للتاريخ. وإن احترام المخالفة في الإجماع، حتى ولو بصوت واحد، ليشير إلى حيوية الأمة واحترامها اجتهادات الجميع وقبولها للخلاف في الرأي.. والحرص على رأي الأقلية.

أما الاجتهاد فهو مبدأ الحركة.. واحترام الذات؟!.. كما أن الشورى هي تأكيد لمبدأ الحركة واحترام جميع الذوات في الجماعة.. وما «الإجماع» إلا تجارب الأجيال وتراكمها.. من خلال حركة الجماهير في شكل عمل جماعي وممارسة تاريخية.

والعقل الإنساني ليس مجرد حركة - بل هو بناء متكامل - ويبدو مسببا مشروطا متخطيا للموانع.. وقد يتحقق على نحو مثالي نموذجي، وهو العزيمة، أو على نحو واقعي، وهي الرخصة. ويتقيم في النهاية من حيث الصحة والبطلان.. إضافة إلى أنه بالأصل إما أن يكون تعبيراً عن التزام فرض واجب، وإما أن يكون - في حالة الإحجام عن الإتيان - تعبيراً عن التزام بالامتناع تجنباً أو امتناعاً عن الاقتراب أو تحريماً - والفعل الواجب الفرضي أو عدم الفعل يمثلان قطبين: أحدهما موجب، والآخر سالب.. وقد يكون الفعل أقل درجة من الالتزام من حيث المجموع أو يكون التزاماً متعدد الجوانب يوزع المسؤوليات بين مجموعة يجب أن تتقدم ومجموعة عليها أن تقدم من هو أهل، فهو الفعل الممكن للبعض.. ويأثم الجميع إن لم يقوموا به؟!

ثم هناك الفعل المرغوب كما هناك الفعل الذي يتحدد بالطبيعة.. وبالبراءة الأصلية التي تحتوي على شرعيتها - فهو مباح؟!

والحقيقة أن الوحي هو عندنا آخر مرحلة من تطور الوحي في التاريخ «ابتداءً من آدم وانتهاء بمحمد ﷺ» وبذلك يكون الوحي لدينا مكتملا في صورته النهائية، وهو أصل «وإطار مرجعي»، كما أنه قد توافرت له كل إمكانات الحفظ والتوثيق، كما أنه ليس وحياً معطى ولكنه وحي منادى به.. اقتضته أحوال الناس واحتياجاتهم، وكل آية هي حل أو معالجة لموقف.. ومن مجموع الآيات التي تعالج المواقف تجمع الكتاب - ثم إن الشريعة موضوعة للإفهام، وفهم القرآن ليس إلا نظرية في التفسير..

وخلاصة القول..

1) إن رؤيتنا للتاريخ ترى أنه يوجد للتاريخ بعدان: أحدهما يعتبر بمثابة المعيار أو Para-Metres [5] أو المعلمات التي تحدد خط الارتقاء على المستوى الإنساني المطلوب أو المستوى الحضاري، والثاني هو بعد الزمن الذي يحدد مسار تفاعلات العلاقات على المستوى الواقعي..

2) ومعيارنا أو اطارنا المرجعي frame of Reference هو ما شرع من الدين مما وصى به نوحاً.. ومروراً بأبي الأنبياء: إبراهيم.. وموسى وعيسى.. وانتهاء بمحمد عليه وعلى أخويه: موسى وعيسى.. وعلى سائر الأنبياء والرسل.. أفضل الصلاة والسلام... وقد أكمل الله الدين، وأتم النعمة، باختتام النبوة... بالرسالة الخاتمة التي بلغها محمد ﷺ.

---

(5) لقد فضلنا تعبير الـ (Para-Metres) لأنه يدل على وعي بالمعيار الذي نستخدم.. خلافاً لمصطلح الـ (Para-Dig) الذي يدل على معتقدات مسلم بها، ولا نكاد نعى بها، ونستخدمها لفحص الواقع وتصنيفه وتنظيمه..

ويتمثل جانب كبير من تدريبنا الأكاديمى في التأثر بنظرة معينة للعالم وتشربها.. ويشمل النموذج القياسي الـ (Para-Dig) عدداً من المسلمات حول نظام العالم.. وقيما غير ممحصة ! حول ما يجب أن يكون عليه نظام العالم.

وقطعاً ليس أحد منا يستخدم نموذجاً قياسياً بصورة نمطية مثلى !.. ولكن العديد منا يتقاربون بمقدار مقاربتهم نموذجاً قياسياً معيناً!!!.

القس بييرلويجي شيلانا

أمين المجلس البابوي لحوار الحضارات:

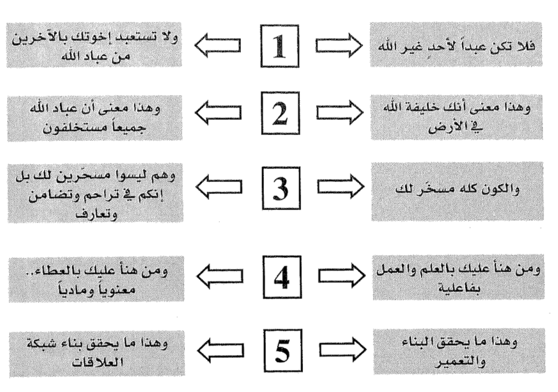
التسامح قيمة حضارية تشكل أساساً لتطور إنساني واجتماعي أشمل

أود أن أعبر عن تقديري على الالتزام بتشجيع الحوار بين الديانات، كما أشكركم جميعا على حفاوتكم التي هي إحدى خصائص الثقافة العربية. وإن دعوة قس كاثوليكي يمثل جهة مركزية في الكنيسة الكاثوليكية لحضور اجتماع تنظمه منظمة إسلامية لدليل مؤكد على الانفتاح والتقدير والصداقة، وقد قال قداسة البابا يوحنا الثاني عندما استقبل مؤخراً وفداً من قادة دينيين من أوزبكستان يترأسه مسلم ومعه مسيحي أرثوذكسي ويهودي: عندما تكون الصداقة والاحترام المتبادل مقرونة بالالتزام والتسامح الصادر عن الحكومات فإنها تشكل مصدرا لتقدم وسلام حقيقيين، إن التسامح ممكن وإنه يشكل قيمة حضارية وأساساً لتطور إنساني واجتماعي أشمل. وكما تعلمون فإن قيم الاحترام والحضارة تعتبر في ذات الوقت جزءاً لا يتجزأ من حوار الديانات.

وإنني على يقين أنكم تعلمون أن الحوار الذي تقيمه الكنيسة الكاثوليكية مع أتباع الديانات الأخرى - وفي هذه الحال مع المسلمين - هادفة بذلك إلى بناء مجتمع تسامحي عادل ومنسجم أساسه نظرة دينية مبنية على علاقة الاحترام بين الديانات، فنحن المسيحيين نرى أن مصدر بني البشر واحد، وأن الله هو خالقهم، وأن بقاءهم هو نتيجة رحمته بهم، وأن نهايتهم واحدة ألا وهي الخلود في ملكوت الله، كما يؤمن المسيحيين بأن الروح الإلهية تعتمل في كل إنسان من كل ثقافة ودين، بيد أنه لا يمكنني أن أفصل في أمر بهذه الأهمية في وقت وجيز كهذا.

ولعل موضوع مؤتمرنا هذا يذكرني بصفتي مسيحياً بواحدة من بشارات المسيح عيسى إذ يقول (بورك الرحماء فإنهم سوف يرحمون). وبالنسبة للمسلمين فإن الإسلام رحمة للإنسانية، وأود هنا أن أدلي ببعض الملاحظات عن الديانات لكونها رحمة للإنسانية، رغم أن هناك من يؤكد العكس، أي أن الديانات هي مصدر التوترات والإقصاء والكراهية والأصولية وأحيانا العنف والإرهاب، فنحن المسيحيون والمسلمون أيضا من دون





وهذا هو الإسلام كما وضّحه رسول الله

3) وإن إعلان انتهاء نظام النبوة والرسالة هو الإيذان بأن الإنسانية قد بلغت سن الرشد.. مرحلة تحمل الإعباء !

.. فيوم أن أكمل ربنا الدين باختتام الرسالة التي بلغها محمد ﷺ كانت البشرية قد امتحنت كل طاقاتها وصهر معدنها.. بدءا بالخطيئة الأولى والتوبة منها.. ومرورا بمعركة هابيل وقابيل ! وتجربة كل جيل من بعدهم أو كل قرن أو قوم.. وما عرفوا من أمر ما سبقهم إليه جيل أو قرن أو قوم من قبل !.. تماما كما يحدث مع ابنك الصغير، يكون جنينا.. ويمر في خلقه بأطوار.. ويأتي عليه حين من الدهر لا يكون شيئاً مذكوراً، ثم يكون طفلاً... حتى يتعلم الأسماء كلها !... ويبدأ بعد ذلك في دخول مرحلة التعقل والتفكر والجدل ومسؤولية الاختيار، ويواجه التجربة... ويخوض المعركة !... وحتى إذا ما اشتد عوده وبلغ رشده. تكون النصيحة الخاتمة !.. وعليه أن يشق طريقه !

(4).. وكان محمد (هو كلمة السماء الخاتمة إلى الإنسانية الراشدة.. وكان العقل بعد ذلك، وبفضل ذلك، قد صار حراً مختاراً.. يتوجه بهدي القرآن.. ويتأسى بالتطبيق الرسولي!... ويعمل عقله (والعقل يعرف بفعاله!) لمواجهة تفاعلات الواقعات عبر

مسيرة الإنسان في كدحه نحو ربه.. فملاقيه!!!

... وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا أن رسول الله (قد أعلن في خطبته في حجة الوداع... يوم أن أنزل قوله عز وجل:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: الآية 3]

أعلن رسول الله ﷺ أن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض!!!

وهذا الإعلان على الرغم من إشارته المجازية إلى بدء مسار جديد للإنسانية... فهو يعني حقا وصدقا أن الأيام والأشهر قد عادت في وقت حجة الوداع.. فصارت كما كانت أصلاً ـ وكما أرادها الله ـ قبل «النسيء» والتلاعب الإسرائيلي الجاهلي! (فأنتم تعرفون أنه في الجاهلية ـ وتعلماً من بني إسرائيل ـ كانوا ينسئون الأشهر).

... بمعنى أن العدد الإجمالي للأيام والشهور المنسأة قد بلغ في وقت حجة الوداع عدداً كاملاً من فترات... كل فترة منها اثني عشر شهرا!.

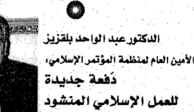
وهكذا كان محرم الحرام من العام الحادي عشر للهجرة... هو محرم كما كان عند خلق الله السموات والأرض.. وهكذا كان كل محرم منذ ذلك الوقت هو محرم الحرام كما كان عند خلق السموات والأرض، إذ إن الناس جميعاً ـ بعد ذلك ـ يعلمون أن سير الأشهر القمرية والإسلامية لم يقطعه نسيء إطلاقاً.. منذ السنة العاشرة للهجرة حتى وقتنا الحاضر.

وعليه فمحرم الحرام للعام الخامس والعشرين من الهجرة.. هو محرم الحرام الذي مر عليه الآن 1414 ق بين عام وسنة!!! وهو الجدير بأن نؤرخ به.. لصحته في عدة الأشهر عند الله يوم أن خلق السموات والأرض... ولكونه:

(5) يعلن إكمال الدين وإتمام النعمة... واستدارة في الزمان يتولى مسؤوليتها العرب ومن حولهم من قوميات العام الإسلامي ـ وخاصة (1) الأفارقة و(2)

شك نتقاسم هذه النظرة، لقد التقى ممثلون عن الإسلام وعن المسيحية وأناس من ديانات أخرى في روما من 16إلى2002/1/18 مسيحي لمناقشة المنابع الروحية بحثا عن السلم في الكتب المقدسة لنشر السلام، وقرروا ألا يتحدثوا فقط عن النصوص التي تتحدث عن السلام بل عن تلك التي تحتاج إلى عناية خاصة في التأويل حتى لا يساء فهمها وتستعمل ضد السلام.





الدكتور عبد الواحد بلقزيز

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

دفعة جديدة للعمل الإسلامي المنشود

يحظى الجهد الدعوي بحيز هام في جهود منظمة المؤتمر الإسلامي وتوليه أهمية خاصة باعتباره عنصرا أساسياً وهاماً في مجال العمل الإسلامي المشترك، وتعمل المنظمة جاهدة على دعم أنشطة الدعوة وتطوير أساليبها ووسائل نشرها من خلال فعاليات الجمعيات والمؤسسات الرسمية والشعبية في الدول الأعضاء، وتتابع المنظمة باهتمام ما تحققه هذه الهيئات من إنجازات تخدم قضايا الأمة الإسلامية، ويأتي دور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هاما وحيويا في هذا المجال باعتبارها رافدا أساسيا من روافد نشر الدعوة والثقافة الإسلامية في العالم.

ونحن في منظمة المؤتمر الإسلامي نعتبر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من الأعضاء الفاعلين، ولها دور هام في الدفع بأعمال المنظمة، ولها مشاركة منتظمة في اجتماعاتها، ولا يسعنا إلا أن نقدر عاليا لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، هذا الدعم واستضافتها الكريمة لفعاليات اللجنة في دورتها الحادية عشرة بمدينة طرابلس التي تمت فيها الموافقة على وضع آلية لتنفيذ استراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، والتي كان من ضمن نتائجها القرار الصادر عن المؤتمر الإسلامي الرابع والعشرين لوزراء الخارجية الذي طلب من الدول الأعضاء إدراج استراتيجية العمل الإسلامي المشترك ضمن سياساتها الوطنية في شتى المجالات التعليمية والتربوية والإعلامية وغيرها كمنهاج تسترشد به في دعم العمل الإسلامي المشترك.

كما لا يفوتني أن أشير ونحن نتحدث عن الدورة الحادية

فارس أو إيران (3) الأتراك.. وقد قال رسول الله ﷺ.

(إن بلالاً سابق الحبش وسلمان سابق الفرس وصهيباً سابق الروم!!!)...

ومازالت دول الجوار للعرب هي: 1) إثيوبيا، وامتدادات السودان الشرقي والأوسط الغربي! و(2) إيران... وما وراءها و(3) تركيا... وما وراءها...

على كل، فإنه ذكر لرسول الله ﷺ.. ولقومه (العرب).. وسوف نسأل!

ولقد كان رسول الله (شهيداً علينا. وعلينا أن نكون شهداء! .. وأول شروط الشاهد أن يكون حاضراً فهل نحن حاضرون؟! (هذا سؤال نعلقه لنجيب عليه بضرورة حضورنا في عالمنا اليوم).

خاتمة
في ما تقدمه رؤيانا من تصحيحات في رؤية التاريخ؟!

(إن رؤيانا هذه للتاريخ تقدم العديد من التصحيحات لرؤية التاريخ التي حاول أن يقدمها الذين لا يملكون مثل رؤيانا هذه في المعرفة والتاريخ!!!... فرؤيانا هذه تقوم على نظرية محددة في المعرفة..

ونظرية محددة في التاريخ تحفظ للوحي وتطوره دوره في الوعي الإنساني وتطور هذا الوعي، وتقرن اكتمال الوعي الإنساني بتحقيق الوحي غايته في تطور البشرية (فاكتمال النبوة والرسالة تعني اكتمال الوعي الإنساني عقلا وإرادة...

فنشأة التاريخ يوم أن اكتسب آدم المعرفة وعلم الأسماء كلها! ... والنبوات والرسالات تصحيح وتقدم وارتقاء في التاريخ[6] ولقد كان للأنبياء والرسل «دور» و«رسالة» في تصحيح وتقدم وارتقاء الوعي الإنساني، وكان اكتمال الرسالة إعلاناً لاستقلال العقل والإرادة.. واكتمال الوعي الإنساني!!!

... ثم استدار الزمان ليتحرك الناس ـ بين محورين[7]: الزمان والتقدم والارتقاء!!! وبدأ التاريخ الحديث وبدل أن يكون تاريخ حركة الناس.. كل الناس... كان تاريخا لإرث «يهودي ـ مسيحي» وإرث آخر لتجربة «عربية ـ إسلامية» كانت في جانب من جوانبها تجربة نموذجية قدمت تحققا للوحي، ولكن للأسف الشديد كما علق بالإرث «اليهودي ـ المسيحي» بقايا الإرث «اليوناني ـ الروماني»[8]!! فقد علق بالإرث «العربي ـ الإسلامي» تحول الوحي من الفكرة إلى الشخص.. ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى تعظيم الشخص!!! ثم كان ما كان من تحول «أن كل ابن آدم خليفة في الأرض» إلى القول بالخلافة

---

(6) إن التقدم والارتقاء في التاريخ قد تحقق عبر التداخل والتفاعل بين الوقائع والقيم (وهكذا فإن استشفاف هذه العملية المتبادلة هو أساس ومقياس الموضوعية!!!
(وفي هذا المجال قد تندمج الذات في الظواهر موضوع القياس ؟
(على أنه في مستوى آخر (أي في مجال أصغر) قد يحصل العكس.. فتندمج الظاهرة في محل الذات!!!

(7) وإن عالم الحقيقة التاريخية يقع في مكان ما بين المحورين/ محور الوقائع عبر الزمن، ومحور الأحكام القيمية التي تكافح لتحويل نفسها إلى وقائع!!!
إننا هنا أيضاً في طرح من جديد للعلاقة بين الزمان والمكان، وهو قد يكون زمان الملاحظ ومكانه (أومنظومته المرجعية)!!! وقد نتحدث في مستوى آخر عن مكان لزمان ومكان لموضوع!!!

(8) ومن أول خيط في الفجر الأوربي: حضارة اليونان.. حتى الفترة المعاصرة... نكاد لا نجد إلا أوربا الوثنية بأبعاد إنسانية قاصرة.. تكاد أن تكون عنصرية !... تخص أوربا، ولا غير أوربا!!!
وأوربا الميثولوجيا غانية لعوب يحملها ثور أهوج.. يذهب بها كل مذهب ويعربد ما شاء له ولها الجموح!!!
وأوربا لانجد لديها عناية أو احتفالا بفطرة الدين أو القيم التي تسمو فوق عبث الطبيعة البشرية أو أهواء الأفراد!!!
ففي حضارة اليونان لانجد هذا.. حتى في كتاب أفلاطون «الإلهي»!!! ـ كما سموه ـ دع عنك أرسطو العملي أو ديمقريطس» المادي.
وفي ظهر التاريخ الأوربي رفعت روما لواء الوثنية إلى ما لم تبلغه أبدا في مجتمع آخر.. وبحيث طبعت المجتمع الأوربي بطابع لم تتخلص منه.
وفي عصر التاريخ الأوربي استهدفت حركة الأحياء والنهضة (الريئسانس) بعث الحضارة اليونانية والرومانية بفنونها وأدبها ووحشيتها وشهواتها واستعمارها...
واحتفظت أوربا بقشرة رقيقة من المسيحية لدى أوربا هي عقيدة الإله الإنسان، وهي صورة من صور وثنيتها القديمة تجعل المسيح نسخة أخرى من «الإسكندر» أو «قيصر» المؤلهين !!.. فإذا كان تصور المسيح تعقيد ثيولوجي غامض.. فلن يكون أكثر مما أضفته الميثولوجيا اليونانية على زهرقلس أو أشيل أو غيرهما !! ممن كانوا ثمرة تزاوج آلهة ببشر !! واعتبروا آلهة وأنصاف آلهة !! وقد نجد في زبروميثيوسس تصويراً مماثلاً لتصور المسيح كإله.

لشخص!!!... وحل بدل الشورى لكل أولئك

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الشورى: الآية 38]

أن تكون الشورى للبعض!!! وصار العزم والإجماع - وهو إجماع الأمة - والذي كان كفيلا بأن يقدم تحققا للوحي في التاريخ.. إذا التزم «الشرعة».. وكان المنهاج مفتوحاً على قاعدة «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»!!! صار العزم أو الإجماع للبعض الأقل أيضاً!!!

وهكذا انتقضت الشورى.. كما تم الانقضاض على المال.. مال الله... والذي هو مائدة الله المسخرة لعباده أجمعين وهم مستخلفون فيها جميعاً... ثم كان ما كان من أمر «التبعيض الأموي» الذي أثار الشعوبية!!! والتي صارت تعني بدلاً من:

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

صارت تعني النعرات العنصرية والشوفينية!!!

إن المعارك الأولى في الإرث «العربي - الإسلامي» إنما كانت بين من يريدونها شورى وعدالة وقوميات متعايشة، من جهة، وفي مواجهة من يريدونها «جبارية»! أو كسروية أو قيصرية.. ومع الاستغلال.. و«التبعيض» الأموي والشعوبية البغيضة! ... من جهة أخرى.

إن رؤيانا هذه للتاريخ تقدم العديد من التصحيحات للتاريخ فهي:

(1) المحاولة الأولى في حقبتنا المعاصرة لتقديم تفسير لـ«تاريخنا الحضاري» إذ إنه كان خاضعاً لتفسير يقوم على المركزية الغربية.

وقد استطاع الغرب أن يجعل نفسه مركز التاريخ بأن جعل حركة التاريخ يحكمها بعد هو بعد الامتداد الزمني الذي حدد بدايته وجعل امتداده معياراً للتقدم فكل حقبة تلت ما قبلها هي أكثر تقدماً! وبالتالي فإن القرن العشرين هو الأكثر تقدماً في كل التاريخ البشري.

عشرة للجنة التنسيق إلى إقرارها تشكيل لجنة خبراء أوكل إليها بحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها، ولقد قامت الجمعية مشكورة باستضافة لجنة الخبراء في اجتماعاتها التي عقدت على التوالي في القاهرة وباماكو وطرابلس، كما ساهمت الجمعية بسخاء في تمويل الندوات الدولية التي عقدتها المنظمة في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية.

ويأتي عقد المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية دفعا جديداً للعمل الإسلامي المنشود، يضاف إلى ما تم تحقيقه في دوراته السابقة، ويعزز ذلك القضايا المحورية المعروضة على جدول أعمال هذه الدورة، وما تهدف إليه من مشاركة فاعلة للجمعية، تساعد على وضع استراتيجية تمكن الأمة الإسلامية من مواجهة مختلف التحديات، سيما أن أمتنا الإسلامية تزخر بمقومات واعدة وموارد طبيعية متنوعة وطاقات بشرية هائلة تمكنها من الاعتماد على الذات للارتقاء ونيل مكان الصدارة بين الأمم، ولذلك فإننا مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى إضفاء المزيد من التعمق والتدبر لدرء المخاطر التي تواجه أمتنا الإسلامية بالتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام كدين للسلم والمحبة والحرية، معتمدين في ذلك على أن المنهج الإسلامي يقوم على الاعتدال وروح التسامح، ويرفض الغلو والتعصب، ولا يقر مطلقا أي عمل إرهابي يستهدف الأبرياء الآمنين، أو يهدد حياة المجتمع البشري في أي صورة من الصور، وهو ما يؤكد على أهمية تعاون الدول الإسلامية والمنظمات الرسمية والشعبية في توضيح واعتماد هذا المنهج.

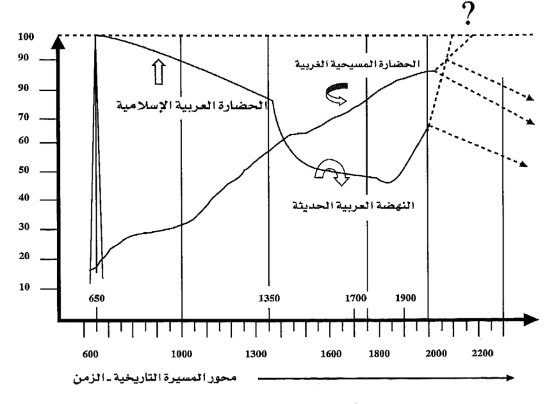


الدكتور عبد العزيز التويجري

المدير العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة:

مشاريع حضارية كبرى

يعتبر التعاون بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة نموذجا يحتذى به في العمل الإسلامي المشترك، فقد تحققت به ومن خلاله مشاريع حضارية كبرى لا يتسع المجال هنا لتفصيلها، فالمعرفة للجميع، وحق المعرفة ومجتمع المعرفة برنامج فصلت أنشطته لتعمّ دول الساحل



وهـم فـي الـقـمـة فـي هـذا الـقـرن (فهم في قمة التاريخ الحضاري؟؟؟.

وهذه المحاولة محاولتنا نقول إن التاريخ له بعدان أو محوران، بعد الامتداد الزمني وبتحديد مختلف عما حدده الغرب وبعد أو محور هو محور الارتقاء والتقدم وحركة التاريخ الحضاري داخل هذين المحورين تحدد في شكل رسم بياني قد لا يعطى صفة الارتقاء والتقدم لكل زمن متأخر منها وقد يكون زمن متقدم له من الفضل - إن لم يزد - عن المتأخرين.

2)وهذه المحاولة تقول إن التاريخ الإنساني وصل إلى قمة الارتقاء والتقدم بكمال التوحيد وتمامه فيتخذ من إكمال الدين وإتمام النعمة واختتام النبوة بداية لمرحلة استقلال العقل مع حفظ المكانة لتلك المرحلة التي قادها الأنبياء والرسل - بدعوة التوحيد.. «خير ما قلت أنا والأنبياء من قبلي كلمة «لا إله إلا الله» وكان ختامها على يد محمدﷺ يوم أن تلا قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: الآية 3]

ويومها أعلن انتهاء النسيء والتلاعب بالأشهر واستدارة الزمان كيوم أن خلق الله السموات والأرض.

(3) وهذه المحاولة توضح أن حركة التاريخ الحضاري لأمتنا، داخل هذين المحورين، قد وصلت إلى القمة بكمال الدين وتمامه واختتام النبوة، وأن ما اعتراها من نقص فيما بعد إنما هو نقص قياساً إلى القمة التي قصرت عنها لا قياساً إلى الإطار التاريخي العام، وهذا يمكن من نقد تاريخي موضوعي لحركة التاريخ الحضاري لأمتنا، وذلك بالمقارنة النسبية لحقب تاريخنا العربي الإسلامي بلحظة الكمال «ك» وما بعد الكمال «ب ك».. ومقارنة هذه الحقب بتاريخ العالم.. التي تحدث وسط الزمان الممتد (مع تمكيننا من نقد الذات دون تلذذ بإيذائها!!! ومواجهة ما حدث من نقص لأمور الحكم والمال والاجتماع (تمهيداً لتصحيحها.

وهذه المحاولة توضح أن النقص الذي اعترى استمرارية التجربة الكاملة - وهو نقص بدأ بعد كمال - لم يَعْنِ التدهور منذ أول يوم، بل استمرت مع النقص

إلى أن وصلنا إلى نقطة علا فيها معدل النقص على القوة فظهر التدهور..

4) وهذه المحاولة توضح الخطأ الذي وقعت فيه محاولات النهضة الحديثة لأمتنا ومازالت واقعة فيه محاولاتنا المعاصرة إذ لم تنتبه إلى أن محاولاتنا يجب أن تكون للارتفاع - وليس العودة.. فالعودة عبر الزمن مستحيلة - إلى المستوى السامق الذي رسمته لحظة الكمال وليس أي مستوى آخر دونه.. وعلى أن يكون على مستوى عصرنا وعالمنا في هذا العصر.

(5) وأن امتنا لقادرة أن تنقذ نفسها وتنقذ الآخرين باختيار الخير لنفسها.. وإلى الإنسانية كلها.. يوم أن تقدم الاختيار الخير وسط ما تطرحه التكنولوجيا من تساؤلات: فتكنولوجيا الحرب صارت تطرح سؤال أحرب أم سلام؟ أفناء أم بقاء؟.. وتكنولوجيا الزراعة والصناعة صارت تطرح سؤال أإستمرار لنظام يقوم على الاستغلال وسوء التوزيع أم إقامة نظام عالمي جديد يحقق الكفاية للجميع والعدالة في التوزيع؟.. وتكنولوجيا المواصلات، وقد صغرت العالم إلى قرية، صارت تطرح سؤال أإستمرار العنصرية والتفرقة أم تعايش وتعارف وتآخ؟.. وتكنولوجيا الاتصالات والإعلام صارت تطرح سؤال أتدفق إعلامي من جانب واحد أم تحاور وتشاور وبحث عن الحق والحقيقة؟..

ومجموع الاختيارات هو اختيار ثقافة عدوانية تؤدي إلى الحروب إذا ما استمر الاستغلال وسوء التوزيع والتجويع والعنصرية.. أو اختيار ثقافة سلام يقوم على الكفاية والعدل والتحاور والتشاور.

وإننا لنملك الاختيار الخير والحل النهائي.. ولقد كان رسول الله ﷺ شهيداً علينا لنكون شهداء على الناس...

إنها الرسالة الخاتمة.. احتواء الماضي.. واستشراف المستقبل...

الإفريقي بخاصة وأقطار العالم الإسلامي بعامة، وتتجسد هذه الأنشطة تحديدا في مراكز القراءة وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والاهتمام باللغات الإفريقية وتعليمها بالحرف القرآني المنمق، وتزويد الجامعات ومراكز التعليم العالي بالأساتذة الأكفاء، وتوزيعهم على معظم البلدان الأعضاء بمنظمة الإيسيسكو، كذلك الاهتمام بالأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية. ونحن ندرك جهد الجماهيرية العظمى في دعم رسالة الإسلام الخاتمة، وما هذا المؤتمر إلا ثمرة من ثماره، ومزيدا من التعاون بين منظمتينا من أجل خدمة الإسلام والمسلمين.



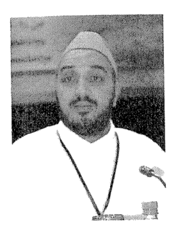
آية الله علي التسخيري

الأمين العام لمجمع التقارب بين المذاهب / إيران،

عطاء متواصل يعم العالم كله

أشعر بكثير من الفخر وأنا أشارك في هذا المؤتمر المهيب لأحيي هذه المسيرة الطيبة التي أفرزتها هذه الثورة العملاقة بقيادة الثائر المفكر الأخ معمر القذافي، وهكذا نمت هذه البذرة وكبرت وأفرعت وأثمرت عطاءاً متواصلاً عم العالم كله. فأنا أشكرها على هذه الجهود، وهذه المسيرة المتواصلة في خط متصاعد حمل رسالة الله منبراً سياراً وفكراً جوالاً وعطاءاً عاماً يعم كل المناطق، حيا الله هذه المسيرة. وأنا اقترحت على هذا المؤتمر العام بأن يضع الخطوط العامة للاستراتيجية التي يجب أن تتبناها الأمة الإسلامية اليوم لمواجهة التحديات الكبرى التي تواجهنا، فهناك تحديات العولمة والتي هي في الحقيقة أمركة لكل العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية... وهناك تحديات العلمانية وتحديات التخلف التي أراد أعداء هذه الأمة لها أن تبقى فيه راكسة لا تعبر هذه المرحلة.. لو أن هذه الأمة وضعت إستراتيجية لمواجهتها، وهي كثيرة ولا مجال لي لذكرها، ولكني أريد أن أرجع كل إخوتي وأخواتي إلى درس قرآني كبير تقدمه سورة الأنفال، هذه السورة التي نزلت لتقيم مسيرة معركة بدر وقدمت دروسا عظمى، ومع الأسف الشديد هذه الأمة بعيدة عن هذه الدروس، ومن دروس هذه السورة الآية التي تتحدث عن أن المسلمين حينما انطلقوا إلى بدر كانت أمامهم فرضيتان: فرضية الالتحام وهي طريق الشوكة، وفرضية الحصول على

عموم الرحمة وعالمية الإسلام



أبو زيد المقرئ الإدريسي ★

أحييكم بتحية الإسلام الطيبة المباركة،وأبلغكم سلام إخوتكم في الله من أرض المغرب الأقصى، وأبارك لكم وللأمة الإسلامية جمعاء فعاليات هذا المؤتمر المبارك، مؤتمر العمل الإسلامي، والبناء الحضاري، من أجل إشاعة رحمة الإسلام في ربوع العالمين . وإنه ليشرفني ويسرني أن أكلف من قبل إخوتي، الذين أحسنوا الظن بزادي القليل من العلم، فكلفوني بإعداد هذا البحث المتواضع في هذا الموضوع الجليل الشريف، موضوع شعار هذا المؤتمر، المنطلق من قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

وذلك تحت عنوان : عموم الرحمة وعالمية الإسلام.

أقترح، لتسهيل تناول هذا الموضوع، تقسيمه إلى ثلاثة محاور:

أولاً- قرآنية الرحمة :

إن الناظر في القرآن الكريم ليعجب من شيوع الرحمة بلفظها ومعانيها فيه شيوع الروح في الجسد، فألفاظ الرحمة ومرادفاتها ومشتقاتها تتوزع نسيج القرآن الكريم وتزركشه بمعانيها اللطيفة، حتى لتترجم بنيته اللغوية حقيقة كونه فعلاً

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 52]

وما أكثر تكرار وصف القرآن لنفسه بصفة الرحمة وما يلابسها من شفاء ونور وهداية. ولو اقتصرنا على استقراء معنى الرحمة المرتبط حرفيا بالمادة المعجمية (ر ح م)، لدهشنا لنسبة تكرار حضور هذه المادة، فهي تتوزع صفحات المصحف كلها، وتبلغ 340 موقعا، تكاد تكون بعدد أيام السنة، لتبلغ نسبة رحمة قرآنية في كل يوم !

و يزيد الأمر رسوخاً أن هذا الرقم يتوزع على 32 تصريفا واشتقاقا ما يدل على سعة تداول القرآن الكريم للفظة الرحمة وعظم تصرفها في ثناياه أفعال وأسماء وصفات، بالمفرد والجمع، بالإسناد والإطلاق، منسوبة لله عز وجل في غالب الأحيان، ولرسوله وبعض الصالحين في باقي المواقع، موجهة إلى عموم الخلق، مخصوص بعضهم بدرجات خاصة منها لتحققهم بأفعال وصفات خاصة استحقوا بموجبها درجة هذا الاصطفاء. ويكفي أن أذكر أقواها وأرجحها (رحم - رحمناهم - ترحمني - سيرحمهم - ترحمون

★ كاتب وباحث / أستاذ جامعي/المغرب

ـ رحمة ـ الراحمين ـ الرحمن ـ الرحيم ـ المرحمة ـ الأرحام ـ رحماء ـ رحما)، ويبرز في هذا الحقل اللغوي الاشتقاقي البديع للرحمة في القرآن حضور لافت للنظر لكلمتي رحمن (57 موقعاً) ورحيم (95 موقعاً). ذلك أنهما صفتان من صفات الجليل، واسمان من أسمائه العلى، تطرزان كل سور القرآن الكريم مطلعا وابتداء (باستثناء سورة التوبة) وعلى رأس هذه السور فاتحة الكتاب، ذات السبع المثاني، وبذلك لا يكتفي القرآن بأن يفتتح، والمصحف بأن يبتدأ بالرحمة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة: الآية 1] وإنما يشفع ذلك بأن تكون الرحمة تطريزا لمطالع كل سور الهدي الكريم. ولم تكتف البسملة، ولا الذات العلية بالصفة العادية للرحمة، باستعمال اسم الفاعل: الراحم، بل جاوزتها إلى صيغتي مبالغة، تسند كل واحدة منهما الأخرى تكراراً وتوكيداً وتعزيزا وترسيخاً: الرحمن والرحيم ! وحين يستعمل القرآن الكريم نادرا صيغة اسم الفاعل يشفعها بأن يسند إليها اسم التفضيل، ويجعلها جمعاً مطلقاً :

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 83]

فإذا انتقل الناظر من اللغة المجردة إلى دلالاتها المضمونية، يدهشه أن الرحمة تكاد تكون كل شيء إيجابي في القرآن الكريم : كل خير أو فضل أو بر أو عمل صالح أو نعمة إلهية أو توفيق رباني أو صدقة أو حسنة أو طاعة في معروف يسميها القرآن رحمة، أو يعللها بالرحمة، أو يجعل غايتها الرحمة. حتى لتكاد تكون الرحمة الأول والآخر والظاهر والباطن في النسق التعليلي لتشريع الأحكام والأمر بالأفعال والنهي عن المنكرات :

فاللين رحمة

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: الآية 159]

والوحي رحمة

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾

[سورة الأنعام: الآية 157]

قافلة أبي سفيان، تقول الآية:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية 7]

أي تودون الطريق السهل والأسلم، ولكن:

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: الآية 7]

الأمة التي تريد أن تساهم مساهمة حضارية كبرى يجب أن تنتخب أقوى الطرق وأصعب الطرق، طريق ذات الشوكة لكي تصل إلى أهدافها الكبرى. في هذه السورة دروس كبرى للإعداد

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال: الآية 60]

في هذه السورة اتجاه للجنوح نحو السلام:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [سورة الأنفال: الآية 61]

في هذه السورة تركيز على وحدة هذه الأمة:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: الآيتان 62 و 63]

داؤنا اليوم تفرقنا وتمزقنا. أردت فقط أن أشير إلى دروس هذه السورة، والقرآن كله دروس، فلنرجع إلى قرآننا ولنرسم مسيرتنا في مواجهة هذه التحديات التي تتحدى هويتنا بل تتحدى وجودنا جميعاً.

الأنبا باخوميوس

موفد البابا شنودة الثالث:

الرحمة أولوية روحية

تؤمن بها أديان التوحيد

إنني أقدر جمعية الدعوة واختيارها لمواضيع حلقاتها، فهي تدعم الفكر الروحي ونقاط التلاقي بين الأديان، ففي العام قبل الماضي كان موضوع اللقاء (لتعارفوا)، واليوم الرحمة لكل من في العالم، ولعلنا نحن إذ نرتبط معا بقيم مشتركة عندما نلتقي حولها نستطيع أن نؤكد على قدرة الأديان على تقديم فكر للعالم يؤكد أن الحضارات لا تتصارع ولكنها تعمل من أجل خير البشرية، لذلك فهي تلتقي معا من أجل منفعة الإنسان، فليس هناك اتفاق بين كلمة صراع وكلمة حضارة، فالحضارة في الحقيقة لا تعرف الصراع، ولكنها تعرف الأخوة والحب والرحمة والعدل والسلام والحق والحرية، إننا عندما نلتقي إنما نؤكد أن منهج الحوار الذي تعمل من أجله جمعية الدعوة، وهو المنهج الذي يستطيع أن يحقق سلاماً بين الشعوب،

والنجاة من الهلاك رحمة

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [سورة الأعراف: الآية 72]

والنبي رحمة

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

[سورة التوبة: الآية 61]

وبر الوالدين رحمة

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [سورة الإسراء: الآية 24]

وكذلك شأن تعميم الهداية وإنزال التوراة وبعث المسيح ونزول المطر وعموم المغفرة والنجاة من العذاب وحصول الطاعة وحضور التقوى والخشوع في الصلاة وإيتاء الزكاة والاستغفار والإصلاح بين الناس والصبر والهجرة وتشريع القصاص واستمرار الخليقة وجعل الأصل الإباحة والرزق والحكمة والعدل والبعث والجنة والحساب العادل وكشف الغمة وتلمس أسباب النجاة والرفق بالأيتام والإحسان لذوي الحاجات وتجنب القنوط والدعاء للوالدين وبناء سد ياجوج وماجوج ونعمة الزوجية على الآدميين وغيرها من المعاني السامية والنعم الربانية كلها توصف في القرآن بأنها رحمة، أو أن سببها رحمة، أو أن الغاية إنزال الرحمة وتعميمها على العباد والصالحين والمستضعفين.

لا يكتفي القرآن باعتماد الرحمة معيارا للأفعال النبيلة، ومسارا لرسم الغايا، وبيانا لنزول الآيات وتنزل النعمات، وإنما يوجه المخاطبين إلى طلب الرحمة:

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

[سورة المؤمنون: الآية 118]

إطلاقاً، وتثبتا عند المصائب:

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾

[سورة البقرة: الآيات 155 ـ 157]

وتفهما لحكمة الشريعة الغراء:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: الآية 145]

وتعليماً لنا كيف نقدر ربنا ونفتح باب الأمل في وجه تقصيرنا وخطايانا، بعبارات ندية تنسج نسيج الرحمة والتوبة والمغفرة والسلام لعموم الخاطئين:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة الأنعام: الآية 54]

لكن هذه الرحمة لا تأخذ مصداقيتها إلا من عموميتها، إذ لو كانت خاصة، لصارت امتيازاً واحتكاراً لفئة محظوظة فتحولت بالنسبة للمحرومين منها إلى نقيضها نقمة وشقاء. وحاشى لله العادل الرحيم، ووحيه الحق الحكيم أن يسير بمنطق الديانات الباطلة أو المحرفة والنحل المنغلقة التي تشرع لأهواء الطبقات والفئات فتحتكر حتى الوحي وتحوله إلى امتياز.

القرآن الكريم واضح وصارم بصدد عمومية الرحمة، فهو يخاطب بها الناس جميعاً، لا قوما ولا جنسا ولا طبقة ولا قبيلة مخصوصة محظوظة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة يونس الآيتان 57 و 58]

إنها رحمة واسعة:

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأعراف: الآية 156]

تسع كل العالمين، وتعرض عليهم بيسر وتواضع شروطها البسيطة لتنال منهم جميعا بلا استثناء:

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأعراف: الآيتان 156 و 157]

فليس مطلوبا ممن يريد أخص أنواع هذه الرحمة وأعلاها وهي الجنة سوى أن يستجيب لفطرة التوحيد والتجافي عن الخبائث وسلامة التصرف، فإذا به ينالها إلى جانب الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين يتقاسمها معهم بعمله بعد أن يدخلوها جميعا برحمة الله، سواء أكان سيداً عربياً أم عبداً حبشياً، ولد بواشنطن أو درج ببكين، عاصر النبي ﷺ أو أدرك زمن الدجال، لسان حاله، كحال كل المسلمين لله:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[سورة غافر: الآيتان 7 و 8]

فأية رحمة، وأي تعميم لهذه الرحمة أوضح من هذا وذاك. ولهذا لا نعجب إذا وجدنا مصطلح «الرحمة» في صيغة مصدر متحرر من أي إضافة أو تخصيص أو إسناد تتكرر في القرآن 79 مرة!

إن أكبر دليل على أن الرحمة في القرآن ـ كما خوطب بها المسلمون ـ لا يمكن أبدا أن تكون مصدرا لاحتكار أو استعلاء أنها ترد مسندة إليهم في سياق الاشتراط عليهم بتصديق الأنبياء السابقين:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: الآية 111]

ولا عجب إذا كانت هذه الآية الرقيقة خاتمة لسورة سميت باسم نبي من أنبياء بني إسرائيل! إنه القرآن الذي سمي سورة كاملة منه باسم سورة الرحمن!

ثانياً ـ عالمية الإسلام:

يفتتح المصحف بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويختتم بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وبينهما تسبح الآيات وتسبح في فضاء من العالمية لا يقصر الإله

وفي مرات كثيرة أكدنا أننا لا بد أن ندرس ثقافة الحوار، وندرس ثقافة قبول الآخر، وندرس ثقافة العمل مع الآخر، فعندما نلتقي في حوار ولقاء وقبول نستطيع أن ننهض بالبشرية كلها. إن عمل الرحمة هو أولوية روحية تؤمن بها أديان التوحيد، السيد المسيح يعلم (طوبى للرحماء لأنهم يرحمون) وكان في جيله من ينادي بضرورة الذبائح لكنه يقول لهم إنني أريد رحمة لا ذبيحة.

إن ما نراه الآن من تسييس للمبادئ الدينية هو تسييس خاطئ يفضل الذبائح والأضحية عن أن يقدم رحمة للآخرين، ولكننا من هذا المنبر نقول إن الديانة الحقيقية تريد رحمة بالصغير والكبير، بالفقير والغني، ودعوتنا أننا نريد رحمة لا ذبيحة.

إن الرحمة يطلبها الإنسان من الله، ولعل الرحمة التي نطلبها من الله إنما تتركز أساساً على التوبة، فنحن في أدياننا نؤمن بالتوبة عن الخطيئة، وننادي بالصلاح وترك الإثم والشر، فالإنسان يسعى نحو طلب الرحمة لكي يرحمه الله في حياته ودنياه وفي آخرته، وعندما نتأمل الرحمة نرى أن الإنسان ينبغي أن يكون رحيما بنفسه فيطلب التوبة وينال الرحمة، وينبغي أن يكون رحيما بنفسه هو، يتعامل مع قضايا مجتمعنا الحديث الذي استشرت فيه مبادئ كثيرة سميت رحمة وهي بعيدة كل البعد عن الرحمة. إننا نعجب لما يسمى الموت الرحيم، إننا نعجب لما يسمى الحرية التي من خلالها يستمتع الإنسان بمتع العالم متخلياً عن المبادئ الروحية التي لا تقبلها الأديان. إن هذه المفاهيم أوجدت التطرف وأوجدت العنف وأوجدت الإدمان وأوجدت انحرافات السلوك، إننا نريد رحمة حقيقية مبنية على أسس روحية حقيقية، رحمة الإنسان بأخيه الإنسان، رحمة في الكلمة ورحمة في التعامل ورحمة في المغفرة ورحمة في قضاء احتياجات كل إنسان، فلا يكون هناك فقير في مجتمعنا ولا يكون هناك محتاج، ففي الوقت الذي نرى فيه إنساناً يموت جوعاً نرى آخر يتخلص من ثروات كثيرة لكي يحتفظ بميزان السوق، أليس هذا بُعدًا عن الرحمة الحقيقية؟ إنني أرجو أن يكون لهذا اللقاء نداء للعالم كله لكي يحقق حتى فكر الأدباء.. إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

على قوم ولا يجعلهم شعبه المختار. إن أحد أخطر المنزلقات العنصرية باسم الدين في تاريخ الصراع اللاهوتي البشري، للأسف الشديد، هو احتكار الصلة بالله، وبالتالي السقوط في التأله على بقية العباد باعتبارهم «أميين» أو «شعوباً منحطة» بوهم أنهم سخروا لخدمة الطبقة المحظوظة لاهوتياً. وليس دين كالإسلام، حذر حساس من منزلق هذا الاحتكار العنصري، ومن هنا كان هذا المفتتح والختام بالإشارة إلى رب العالمين جميعاً، رب الناس كلهم:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة: الآية 163]

أذكر حين زرت متحف الأديان بولاية كبيك بكندا سنة 1996، وقدمت لي المشرفة عليه برنامج مسابقة ثقافية سوف تجرى للتلاميذ الزوار، كي أصحح لها ما يتعلق بالدين الإسلامي، ففوجئت بسلامة المعلومات ودقتها من مثقفة متوسطة المستوى لا صلة لها بالإسلام، لكنني صدمت بخطأ واحد كبير في صياغة سؤال: «ما اسم إله المسلمين ؟» وإذ صححته لها بتعديل يبدو بسيطاً لغوياً لكنه حاسم تصورياً ما اسم الإله عند المسلمين؟ انتهزت الفرصة لأشرح لها وللحضور كون الإسلام لا يقبل احتكار الله لجهة، ولا ينغلق في نحلة، ولا يحدث قطيعة مع من سبقوه:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [سورة البقرة: الآية 285]

إنه ليس من قبيل الصدفة أن تكون سورة الناس، هي آخر سورة في المصحف، حسب ترتيب التدوين بموجب الإرادة الإلهية (مقابل ترتيب النزول بموجب المشيئة الإلهية) ففي ذلك إشارة واضحة إلى أن المآل هو إلى خطاب ومرحلة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ، الخطاب المناسب لختم الرسالة، وإعلان مرحلة النضج البشري في التعامل مع كلمة الوحي بموجب اجتهاد العقل. إنه القطع مع مرحلة «يا قوم» التي انحشرت فيها كل الرسالات السابقة على الرسالة المحمدية، بفعل الواقع الضاغط، لانغلاق التجمعات البشرية، وصعوبة المواصلات وانعدام وسائل الاتصال الجماهيري.فلا عجب أن نجد كلمة ﴿النَّاسِ﴾ في معرض المخاطبة والتكليف والتوجيه والإنذار والتبشير، تتكرر 241 مرة، كما أن كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ، تتكرر 73 مرة، غالبيتها الساحقة في معرض براءة الله من أن يكون إلها مخصوصا لقوم محظوظين، لأنه رب العالمين.

صحيح أن القرآن يخاطب الأقوام السابقين وتنتشر في جنباته عبارات من مثل «يا قوم» منسوبة إلى كثير من الأنبياء، ومثيلاتها ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ ﴿أَخُوهُمْ﴾، ﴿أَخَا عَادٍ﴾ ، بل إن القرآن ليتكلم عن القرية الواحدة يبعث إليها النفر من الأنبياء، لكنه حديث تاريخ، وخبر ماض، وقصص عبرة إنما يتأكد بذكره نقيضه الباهر:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ: الآية 28]

ينسجم القرآن نسقياً في استعمالاته ومآلاته مع هذا التوجه العالمي، فيتجرد من كل ما هو خصوصي باستعمال الاسم الموصول (1464 مرة) ليتجرد من الأسماء الخاصة وينعتق من ربقة التاريخ والجغرافيا والديموغرافيا ليسبح في فضاء المواقف والأعمال والاختيارات يربط بها أحكامه وسننه وحكمه وحكمه، فليس هناك قبائل ولا أشخاص ولا مناطق ولا دول ولا طوائف ولا نحل ولا أجناس ولا ألوان ولا شعوب ولا جماعات ولا أقوام ولا سلالات، أي لا تخصيص ولا امتيازات وإنما هي ثلاث مجموعات مفتوحة مرنة، يدخل إليها من شاء باختياره أو يخرج كما شاء، معلقاً طائره بعنقه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. إنما هي أعمال واختيارات يحاسب بها كل مكلف، سواء أكانت: الذين هاجروا، جاهدوا، اتقوا، انفقوا، تابوا... أم كانت: الذين ينقضون، يظنون، يكتبون الكتاب بأيديهم، اشتروا الضلالة بالهدى، يكتمون ما أنزلنا، لا يعلمون، لا يعقلون، لا يومنون...

وهي قوانين وسنن تسع الأمريكي والصيني، وليس فقط العربي والتركي، كما أنها تلائم ابن القرن

الأربعين ملاءمتها لمن عاش في قرون الغابرين. وما عدا هذا من اختلاف ألوان وثقافات واجتهادات وميولات وأذواق واختيارات، فالإسلام لا يضيق بها، وإنما يراها نعما وآيات وإبداعات. وتلك نقطة فاصلة بين صاحب دين الحق الذي يقبل بالآخر، ولو كان على ضلال، ويفسح له حيزا للتعايش والتعاون على الخير، ومن باب أولى يقبل الاختلاف معه، بل ويحترم ذلك الاختلاف ويستفيد منه ويستثمره.

لقد برهن الإسلام بما يكفي عن قبوله بالآخر، وعن قبوله بالاختلاف مع الآخر:

أ - إن الإسلام يؤسس لقبول الآخر تأسيساً عملياً وواقعياً عندما يرفض كل أشكال العنصرية تجاه الآخر، كما أنه يرفض تصنيف الآخر بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو الاعتقاد أو لغيره من المسببات «غير الاختيارية».

و هكذا تنتفي ذاتيا كل أسباب ممارسة العنف أو الإرهاب ضد الآخر لإذلاله أو إقصائه أو محوه محواً مادياً من الوجود، ما دام يتأسس في ضمير الإسلام التلقائي والمنطقي والمؤصل كل أشكال قبول الآخر، عوض كل أشكال رفضه.

لنأخذ مثلاً السبب الديني، والذي قد يبدو، بالنسبة لدين كالإسلام جاء يقول إنه خاتم الديانات وأنه ناسخها والمهيمن عليها، سببا وجيها. نجد أن القرآن الكريم في عدة مقاطع عندما يحدد علاقته بالديانات السابقة، قبل أن يقول: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ، يقدم قبلها:

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة المائدة: الآية 48]

وليست الهيمنة إلغاء ولا إقصاء، وإنما هي منطق التصحيح والتنبيه إلى ما وقع من التحريف في هذه الديانات، وردها إلى أصلها المشترك مع الديانة الإسلامية، والذي هو الأصل الإبراهيمي أو الأصل الآدمي. ودليلي على أن «الهيمنة» هنا هي مفهوم تكاملي وليس مفهوما إقصائيا هو ما نلمسه على



الدكتور فوزي الزفزاف

رئيس لجنة الحوار بالأزهر:

إحساس بنبض المسلمين واحتياجاتهم

أقدم الشكر والتقدير لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لأنها وجهت إلينا الدعوة لنلتقي هنا في طرابلس ونتحدث ونتعارف ونتعاون في تقديم العون والمساعدة للمسلمين جميعاً، والبحث في مشاكل المسلمين، فشكراً جزيلاً لها على دعوتها هذه، وصحيح أن هناك مؤسسات تقدم التعاون للمسلمين في البلاد العربية والإسلامية، ونقدم لها الشكر والتقدير على تقديمها هذه المساعدات، غير أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أحست بنبض واحتياجات المسلمين في جميع بقاع الأرض فلم تقصر جهودها وتعاونها في مجال التعليم أو الثقافة وإنما اخترقت المجالات الأخرى الاقتصادية والطبية والتدريبية، فقدمت المساعدات في كل هذه المجالات، لأنها أحسّت بنبض المسلمين، وأنا لا أقول ذلك مجاملة، فقد شاهدت ذلك بنفسي من أقصى كندا إلى مجاهل أفريقيا إلى آسيا إلى أوروبا إلى أستراليا إلى أميركا، فلها كل الشكر والتقدير على ما تقدمه من خدمات للمسلمين في كل هذه المجالات، وأبشر أعضاء الجمعية وجميع العاملين فيها بما بشر به رسول الله ﷺ بما أدخلت السرور على هؤلاء المسلمين في حديث سيدنا رسول الله الذي يقول(أيما رجل أدخلَ السرورَ على عبدٍ إلا خلق الله من السرور ملكا يعبد الله ويحمده ويسبحه حتى إذا أدخل الرجل القبر أتاه الملك فقال له ألا تعرفني؟ فيقول من أنت؟ يقول أنا السرور الذي أدخلته على فلان جئت أونس وحشتك وألقنك حجتك وأشفع لك يوم القيامة وأبشرك بالجنة) فكم من بشرى بشرها رسول الله ﷺ لإخواننا العاملين في مجال الدعوة. واسمحوا لي أن أقدم خالص الشكر والتقدير لقائد ثورة الفاتح الأخ معمر القذافي، لأنه لولا دعمه ومساندته ودفعه لهذه الجمعية ما تمكنت من تقديم هذه المساعدات، وأقدم خالص الشكر والتقدير لشعب ليبيا العربي الأصيل الذي يقابلنا بالبسمة ويقابلنا بالكلمة الطيبة النابعة من القلب التي تدل على أنه شعب كريم عربي أصيل.

مستوى التصور والسلوك النبويين، وكذلك سلوك الصحابة في فقه التعامل مع غير المسلمين:

فعلى مستوى التصور، يقول النبي ﷺ في حديث نبوي صحيح بين فيه موضعه بوضوح عبر مثال فقال: «إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كرجل بنى بيتاً فأحسنه وأكمله وجمله إلا موضع لبنة في ركن. ثم طفق الناس يطوفون بالبيت ويقولون ما أجمله وأكمله لولا تلك اللبنة... فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيئين»[1]، فجعل النبي ﷺ لدوره ولرسالته ولموقعه موقع لبنة صغيرة في ركن قصي من بيت كبير. وهذا ليس تكاملا فقط، بل هو تواضع كبير أيضا!

أما على مستوى الفقه النبوي وفقه الصحابة في التعامل مع الآخر، فعندما فتح عمر بن الخطاب بلاد فارس عرض له إشكال فقهي جديد في إطار المستجدات التي تحوج إلى اجتهاد، وهي أنه يتعامل مع نمط جديد من الاعتقادات الجماعية الذي هو المجوسية، فاستشار الصحابة واحتار في الأمر، ذلك أن القرآن والسنة النبوية يؤسسان للعلاقة مع اليهود والنصارى ضمن مفهوم «أهل الذمة»، بحيث تقوم العلاقة معهم على عقد تشارطي يسمح لهم بالعيش مع المسلمين، والتمتع بالحرية في العبادة والعلاقات الاجتماعية، على أن يترك لهم كل ما يتعلق بالأمور الداخلية. لكن المجوسية ديانة أرضية غير سماوية وغير مذكورة في القرآن الكريم، ولا يوجد موقف صريح من أهلها فيه، وانطلاقاً من مبدأ التوحيد الإسلامي الصارم، يفترض أن يكون هناك موقف جذري منها وهو الرفض. فإذا بعبد الرحمن بن عوف يقول: «أشهد على رسول الله أنه قال: سنوا بهم سُنة أهل الكتاب»[2]، وبذلك تم توسيع مفهوم الذمية من حيث تأسيس لعلاقة إنسانية راقية تقبل الآخر، وتضمن له حقوق حرية العبادة وحرية الاعتقاد وحرية المؤسسات التعبدية، والفقه الخاص الذي تنبني عليه العلاقات الاجتماعية والأحوال الشخصية. كما تم توسيع هذا المجال لكي يشمل كل الديانات المرفوضة مبدئيا بما فيها ديانات أرضية ووثنية وديانات ليس فيها موقع لله أصلاً.

ب ـ أما بصدد قبول الاختلاف، فالإسلام ينظر إلى الاختلاف كطبيعة، أي أنه جبلة بشرية متأصلة، فلا يعتبره انحرافا ولا منكرا، ولا استثناء، بل ينظر إليه على أنه الأصل. يقول تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾
[سورة هود: الآيتان 118 و 119]

فيبين بذلك أنه خلقهم من أجل الاختلاف، وأن الاختلاف جزء من طبيعة وجودهم، لا ينتفي إلا بانتفائهم. والاختلاف في التصور الإسلامي رحمة، يكفي ما يقال عن خلاف الفقهاء: «خلاف العلماء رحمة»، لأن الاختلاف يؤسس للاجتهاد في الرأي. ولأن الاختلاف في زوايا النظرة الشرعية أو الفقهية أو السياسية هو الذي يؤسس للاجتهاد، ولأن الاختلاف جزء من الحرية، فإن الإسلام يجعل من حق الإنسان أن يختلف، ويبني هذا الاختلاف كسلوك فطري على أرضية هي في عمق هذه الفطرة، هي التوق إلى الحرية، والرغبة في الحياة بحرية. كما ينظر الإسلام إلى الاختلاف على أنه خصب، وأن التعدد في زوايا النظر يؤدي إلى إخصاب الفكر والواقع الإنساني بل والمشهد البشري على الأرض.

ولم يكتف الإسلام بهذا النظر المجرد إلى الاختلاف بكونه طبيعة ورحمة واجتهاداً وحرية وخصباً، وإنما قام يؤصله بالدليل. فالعلماء ينظرون جميعا، في أصول الفقه، إلى الاختلاف في الأحكام الشرعية بوصفه اختلافاً طبيعياً وقدرياً ولازماً، والفقه

1ـ رواه البخاري.

2 ـ كتاب الخراج لأبي يوسف، نقلاً عن عباس الجراري، مفهوم التعايش في الإسلام، منشورات الإيسسكو الرباط 1996، ص 47

في طبيعته يتشكل من آراء مختلفة، حتى في الأمر المقدس الذي تعبدنا الله به، أي أننا نختلف حتى في فهمنا لأمر الله، حيث نمارس عبادة الله عن طريق فهمنا لهذه العبادة، ونختلف في ترجمتها إلى سلوك دون أن يكون في ذلك تناقض، لأن الحق ولو أنه واحد إلا أنه ليس هو الصواب: الحق واحد والصواب متعدد، ويمكن أن يكون للحق أشكال متعددة من الصواب.

في هذا الإطار تأتي أول بادرة اختلاف أصلها المسلمون وطبقها النبي ﷺ بالإقرار. والإقرار مصدر من مصادر التشريع النبوي مثل القول والفعل والصفة. ذلك أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يسارعوا إلى بني قريظة فقال: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»، لكن لما دخل وقت العصر وهم في الطريق انقسموا إلى قسمين: قسم فهم الأمر النبوي حرفياً وأكمل الطريق إلى أن دخل الليل، فصلى العصر مع العشاء الآخرة، رغم أنه يعتبر من التفريط الكبير أن يصلي المسلم العصر بعد الغروب، وقسم آخر اجتهدوا في فهم النص النبوي فانطلقوا إلى روح النص، ولم يقفوا عند ظاهره وقالوا إنما هو من أساليب الحث والتوكيد، فتوقفوا وصلوا العصر، ثم وصلوا متأخرين قليلا فصلوا المغرب والعشاء. فلما التحق النبي ﷺ بهم بعد ذلك في اليوم الموالي وحدثوه بالأمر أقر هؤلاء على اجتهادهم، وأقر هؤلاء على اجتهادهم[3]، فأصل بذلك لدور الإنسان في فهم النص وتأويله وقراءته وتنزيله على الواقع، مما يدل على استيعاب الإسلام لكون التعاطي الفعلي مع النصوص خلافيا وترجيحيا ونسبيا يحتمل الخطأ. والإسلام هو الذي أصّل للثواب على الخطأ، وليس فقط لإعفاء الناس من جريرة الخطأ، عندما اعتبر المجتهد المخطئ مأجورا، ولم يكتف بالقول: من

3 ـ صفي الدين المباركفوري: الرحيق المختوم دار المعرفة الدار البيضاء 2000، ص288



أمانويل ادمكس، الموفد من قبل البطريرك بترولوميو من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية:

الرحمة أساس الحياة والسلام في العالم

أود أن أشكركم على دعوتي للمشاركة، لأن هذه فرصة سانحة لنشاطر الأفكار والاستمرار في الحوار. فكلنا نعلم أن الحوار بين الأديان حوار مهم جدا لاستتباب السلام وتحقيق الأمن المشترك. إن الكنيسة الأرثوذكسية كانت دائماً ترسل الرسالات ومنذ مؤتمرنا الأرثوذكسي عام 1966 أعربنا عن الرغبة للمساهمة في الحوار بين الأديان وتحقيق التعاون في ما بيننا حتى نتمكن من التخلص من التطرف بكل أشكاله، والمساهمة في الصلح بين الشعوب، وتحقيق الحرية والسلام بغض النظر عن الأجناس والأديان، وأتمنى وأنا متأكد أن الإخوة المسلمين يشاطرونني هذه المشاعر والأحاسيس.

إن الكنيسة الأرثوذكسية ساهمت في الحوار الحديث بين الديانات، خاصة مع الإسلام، وإن قيم الاعتدال إضافة إلى التسامح كلها من بين الأسس والمبادئ الرئيسية التي مكنتنا من التعايش في ما بين الديانات الثلاث خلال فترة طويلة في نفس المنطقة بل أقول في نفس المدينة.

إن موضوع هذا المؤتمر (الرحمة) موضوع جدير بالاهتمام خاصة في فترة الفتن، فشأنه شأن المطر الذي نحتاجه في فترة الجفاف، حيث إن الله سبحانه وتعالى يمن علينا برحمته، وإنني في الحقيقة أرى أن الرحمة هي أساس الحياة والسلام في العالم، والأهم هو أن المحبة إلى جانب الرحمة هي أمر أساسي في ديننا (في الإسلام والمسيحية) فنحن نكرر كلمة الرحمة مرات عدة، فالمسلمون يقولون بسم الله الرحمن الرحيم، ونقول فلترحموا، وفي الكتاب المقدس يمكن أن نقرأ أن الرب (وهو قد يقدم كرب غاضب) يقدم رحمته كرب المحبة، والرب هو الذي أنشأ الكون، هذا الرب هو الرحيم، وحينما نسمع كلمة الرحمة فهذه الكلمة أحبذها أكثر من كلمة ضحية، إنني أركز على الرحمة خاصة إزاء المذنبين، فلا بد دائما أن نتذكر أن الله محبة ورحمة، ولا بد أن نذكّر بعضنا البعض بذلك، وأن نكون رحماء مع العالم، وأن نفهم قوة هذه الكلمة،

اجتهد فأصاب فله أجر، ومن اجتهد فأخطأ فلا شيء عليه، فهذا ليس محفزا. وإنما قال «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ، فله أجر وإذا اجتهد فأصاب فله أجران» (البخاري ومسلم). وحتى هذا التمييز البسيط، ليس لتفضيل المصيب على المخطئ، فكلاهما مجتهد. ولكن لحفز الناس على إتقان الاجتهاد، حتى لا يكون مجرد اجتهاد لأجل الاجتهاد، وإنما الاجتهاد من أجل الوصول إلى الصواب، ولولا هذا الأمر لسوى الإسلام بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطئ. وهكذا يحارب الإسلام التنميط والحرفية في فهم النصوص، ويحارب الارتباط الشكلاني الذي يقوم على الانصهار في بوتقة واحدة، مما يؤدي إلى إلغاء البعد الفردي والاختلاف وإلغاء الجانب الذاتي والخاص في أسلوب الإنسان وعقليته ونفسيته. وبالتالي لا يمثل الإسلام حالة نفاق عامة للناس يرتبطون فيها بالدين بارتباط منمط عبر سلطة فكرية ظاهرة تطبعهم بطابع واحد وتجعلهم في قالب واحد، وإنما يغذي التدين والإيمان ويعطي للتعاطي مع النص حيوية ويدفعه إلى أن يتحلى بالزخم الواقعي للطبيعة البشرية القائمة على الاختلاف.

إن الإسلام يقبل الآخر ذاتاً وفكراً، وهذا ما يدفعه إلى أن يضع نظرية في تدبير التعايش، بناء على أن الآخر أمر واقع، وأن الاختلاف مع الآخر أمر واقع أيضا، ويبني الإسلام تصوره لتدبير التعايش على جملة عناصر، نكتفي بذكر ثلاثة منها فقط، أولها تصوري وثانيها أخلاقي وثالثها عملي:

أولاً التفاهم: فالإسلام يبحث دوماً عن أرضية مشتركة، ويدعو إلى توفيرها كي تجعل الخلاف قابلا لأن يتعايش به في إطار مشترك يمكن أن يتحول إلى فعل مشترك، ومستقر ومنسجم. هكذا نقرأ قول الله عز وجل في حوار مع اليهود والنصارى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 63]

والقرآن يتنازل بموجب ذلك منهجيا عن الشق الثاني من الشهادة «محمد رسول الله»، لأن هذا الأمر مرفوض من الآخرين، ليكتفي بالمشترك الذي هو الإيمان بالله، وليؤسس به أرضية إنسانية منسجمة تقوم على التعاون والتعايش بين الديانات الثلاث، هي ما يطلق عليها القرآن الكريم «الكلمة السواء».

ثانياً التحاور: لقد رفض الإسلام كل الأشكال العنيفة للتدافع، وطالب بشكل حضاري سلمي معنوي للتدافع، هو التدافع بالفكرة والكلمة، وبكل ما يمكن أن يحقق التواصل وليس التنافر. والحوار هنا يأخذ مجالات أرقى، كما يوصف بصفات ويقيد بقيود منها قوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾
[سورة العنكبوت: الآية 46]

هكذا نؤمر بأن نجادل بـ«التي هي أحسن»، وقد أمرنا بذلك أيضاً بقوله تعالى للنبي ﷺ:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

وهنا التفاتة لطيفة عندما نلاحظ أن الموعظة تكون حسنة، أما الجدال فيكون أحسن، لأن الموعظة تكون للموافق، في حين أن الجدال يكون مع المخالف. وإذا أمر المسلمون بأن يحسنوا خطابهم مع الموافق، فقد أمروا بدرجة أعلى من التحسين مع المخالف، حيث يكون المحاور عرضة للانفلات والانزلاق إلى العنف المادي أو الرمزي، فيحتاج إلى الاحتياط وضبط النفس، وإلى مستوى عال من التحكم في الاندفاعات «الغضبية» عند الإنسان لمواجهة المحاور بغير خشونة، حتى يواجه الاختلاف متحلياً «بالأحسن» ليكون حواره مقبولاً وسليماً.

ثالثاً التعاون: وهو يبسط المجال العملي لتدبير التعايش حتى لا يبقى مجرد محسنات وتحليات وعواطف ومجاملات، وإنما يتحول إلى إنجاز إنساني مشترك بين جميع الأطراف، يحقق التعاون فيما هو

متفق عليه، فيما هو مشترك، أو في المجالات الحيوية والضرورية. والإسلام يحض على هذا التعاون بدءاً بتناول الأطعمة بشكل يؤصل لبعد اجتماعي أخلاقي: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية 5]

إلى المصاهرة وتبادل العلاقات بالرحم والقربى، فالقتال المشترك في وجه المعتدين، بحيث أمرنا أن ننصر المظلوم ولو كان كافرا. ناهيك عن التعاون في تدبير الشأن العام والشأن الخاص والمحلي والشأن الدولي، سواء أتعلق الأمر بالحفاظ على المجال البيئي الحيوي أم الحفاظ على المجال الحضاري الإنساني.

و يمكن أن نلخص الأساس التصوري العميق لهذه العناصر الثلاثة في قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[سورة النساء: الآية 123]

هذا المعنى الرائع ينفي عن المسلمين كبشر مبدأ التميز عن الآخرين، ويجعل الناس جميعاً سواء أمام القانون الإلهي، سواء أكانوا يهوداً أم نصارى أم مجوساً أم غيرهم، ويتعمق هذا المعنى أكثر إذا أنرناه بذكر سبب النزول:

يذكر أن المسلمين اختلفوا مع اليهود والنصارى في عهد رسول الله ﷺ، وادعى كل واحد منهم أن له الحق والجنة احتكارا، وأن نبيهم هو النبي الحق. ففزع المسلمون إلى النبي ﷺ، يذكرون له ذلك وهم يتوقعون أن جوابه سيكون الجواب الطبيعي والمنطقي عند كل مسلم: إنكم أهل الحق وأهل الجنة احتكاراً. لكن الوحي نزل يخيب أحلام الجميع، ويسويهم أمام قاعدة كونية، مفادها أن ليس بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب. فبين أن هذا النقاش كله هو نقاش أهواء بعيداً عن الواقع وعن السنة الكونية وعن الأخذ بالأسباب في الدنيا والآخرة. فالمسلمون سواء أمام الله مع بقية الناس، إذا أخطأوا المنهج وعملوا السوء

لأنه من خلال ذلك لن نحكم على أي شخص، وهذا ما سعت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لإنجازه خلال سنوات طوال، وكنتم دائما حاضرين حيث يحتاجكم العالم، وذلك ما نحييكم من أجله، فعلينا أن نطبق الرحمة قدر الإمكان في حياتنا اليومية، وإن اجتماعنا هنا هو في حد ذاته مرآة تعكس الرحمة والمحبة، وعلينا حالما تراودنا الرغبة في الحكم على بعضنا البعض أن نتذكر الرحمة، وفي سور القرآن الكريم هناك إشارات للرحمة ودعوة بأن يرحمنا الله ودعوة إلى التأكيد على الرحمة.





الشيخ مصطفى سيريتش

رئيس مجلس علماء البوسنة:

إنجازات مشرقة في مجال الدعوة الإسلامية حول العالم

لقد قطعت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مشوارا طويلا في أداء رسالتها التي تقوم على فهم دقيق للآيات الحكيمة التي يقول فيها سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 102/104]

نعم لقد أدرك الأخ القائد معمر القذافي مدى أهمية الحفاظ على هوية المسلمين في العالم، لأنه ليس بالوقت البعيد حينما كانت الهوية الإسلامية في الكثير من بلاد المسلمين مهددة بالاندثار تحت وطأة الاحتلال الأجنبي، أي كاد المسلمون أن يموتوا غير مسلمين وغير عارفين دينهم الحنيف، ولكن الله سبحانه وتعالى منّ على المسلمين بأن قيض لهم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لتكون وسيلة لعودتهم إلى دينهم واعتصامهم بحبل الله كشرط أساسي لئلا يموتوا إلا وهم مسلمون، ومن فضل الله تعالى على المسلمين اليوم أن جعل من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية محورا يجتمع حوله المسلمون فتتآلف قلوبهم، ويصبحوا بنعمة الله إخوانا، وينقذهم الله من السقوط في النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها، وكتب لهم الهداية، ومنحهم جمعية الدعوة

فإنهم يعاقبون في الدنيا وفي الآخرة[4].

هكذا يؤصل الإسلام لأرضية مشتركة بين كل خلق الله، قائمة على العدالة الإلهية الحقيقية التي تجعل الناس سواء أمام القانون الإلهي، والذي يقوم على أن «من أحسن فله الحسنى ومن أساء فله السوء» في الدنيا وفي الآخرة. وفي هذا الإطار يتضح معنى قوله تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: الآية 7/8]

و«مَن» هنا للعاقل المجرد وليست موسومة بصفة دينية ولا صفة عرقية ولا جنسية ولا لونية، وهذا واضح في القرآن في تصحيح الانحرافات الدينية، فعندما قالت اليهود والنصارى:

﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [سورة المائدة: الآية 18]

أجابهم القرآن بقانون:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة: الآية 18]

فأنزلهم إلى مستوى الآدمية المشتركة، ونفى أي صفة أو تأسيس لعقيدة عنصرية: عقيدة شعب الله المختار، أو عقيدة «نحن الأحق» أو «نحن الأولى» التي تبيح للإنسان اللجوء إلى العنف[5]. فأي رحمة مثل هذه؟ عاطفة حب وإنصافاً تسوى البشر جميعاً أمام قانون الله العادل، لكنها عاطفة تتأسس على بناء عقلي وتصوري صارم!

أما الحضارة الغربية القائمة على أسس الأخلاق المسيحية ـ اليهودية كما تزعم لنفسها، فلم تثبت قط قدرتها على قبول الآخر، ولا على تحمل الاختلاف معه، ولا على فهم العالم إلا على صورة نمطية موحدة، هي أن يكون انعكاسا لصورته المهيمنة، منذ عهد الرومان إلى زمن العولمة.

إن أحد ثوابت الفكر الغربي هو «نفي الآخر». وقد وضح ذلك جيداً مفكرون نقديون متميزون ممن لهم فضيلة الفكر المؤسس والإبداع المتميز، بل والعيش لمدة طويلة داخل المجتمع الغربي[6] كجارودي وإدوارد سعيد، بينوا أن الغرب لا يحاور الآخر ولا يقبله، وأنه في العمق يحاور نفسه بنفي الآخر، لأن الآخر مشروع للهيمنة والإقصاء، بما أنه مشروع للتحكم والسيطرة والاستغلال، وليس مشروعا للتعايش.

يقول فؤاد سعيد: ولأن العلاقة علاقة معرفة فقط، وعلاقة انفصال واغتراب، فقد كان أمراً طبيعياً أن تصبح علاقة عدائية، ذلك أن الهدف النهائي لإنسان الغرب الحديث تحدد في معرفة العالم وفهم قوانينه من أجل السيطرة عليه... وذلك في تجسيد واضح لذلك المنظور الذي نجده عند دارون، كما نجده عند هوبس «الإنسان في حرب دائمة مع الآخرين...»[7].

إننا نجد أن الغرب عبر تاريخه الطويل، رغم أن خطابه اليوم هو خطاب التسامح والإنسانية والتعايش والديمقراطية وحقوق الإنسان، كان دائما يقصي وينفي الآخر. فمن الرومان إلى الأمريكان، من الإمبراطورية الرومانية إلى العولمة الأمريكية، نجد حوارا متمركزا حول الذات أو ما يسمى زالتمركز حول الأناس. فالغرب لا يحاور الآخر، وإنما يحاور نفسه بصدد الآخر، ويتحدث مع نفسه عن أشكال تصور الآخر وعن أشكال التعاطي معه والهيمنة عليه واستغلاله ومحاولة تنميطه بإلزامه بالمقاييس والمفاهيم الغربية.

فمن الرومان، الذين كانوا يعتقدون بضمير مرتاح

4 ـ النيسابوري: اسباب النزول المكتبة الثقافية بدون ط وع ص 103 ـ 104.

5 ـ أنظر: المقرئ الإدريسي أبو زيد: موقف القرآن الكريم من العنف. في: الديانات السماوية وموقفها من العنف (مشترك) منشورات الزمن سلسلة كتاب الجيب ع 32 البيضاء 2002 ص 46ـ 48، 50ـ55.

6 ـ أنظر الموسوعة الضخمة التي أنجزت تحت إشراف د.عبد الوهاب المسيري تحت عنوان «إشكالية التحيز» نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي (فرجينيا) ونقابة المهندسين (القاهرة) ط1، 1995. وانظر إدوارد سعيد: «الاستشراق»، وإدوارد سعيد: «الثقافة والأمبريالية».

7 ـ فؤاد السعيد، «التحيزات المعرفية في الرؤية الغربية الحديثة للعالم» في «موسوعة إشكالية التحيز» 1/ 153، وأيضاً عبد الوهاب المسيري: هاتان تفاحتان حمراوان. في «موسوعة إشكالية التحيز»1/ 99ـ113.

أن الأمة المهزومة تفقد حقوقها بكل بساطة، لأن المنتصر يؤسس لعقيدة القوة عن طريق الانتصار، والمهزوم مهزوم لأنه فقد القوة، إلى أمريكا التي تقول اليوم: «من ليس معي فهو مع الإرهاب»، وتختصر البشرية كلها في حذلقة سوفسطائية نفاها الفكر الإنساني الغربي نفسه منذ ألفين وخمسمائة سنة، عندما جاء سقراط لكي يحارب السوفسطائيين الذين كانوا يعتمدون على الاستدلال القائل: «أنا لست أنت وأنا لست الحمار، إذن أنت الحمار!»، كأنه لا يوجد في الدنيا إلا أنا (أي الذات الغربي)، والآخر هو الحمار!. هذا المنطق السوفسطائي المرفوض الذي جاءت بواكير الفلسفة الغربية الناضجة (يا للمفارقة، متجسدة في فكر سقراط) لتهدمه وتسخر منه وتحطمه وتنفي أسسه، تستغله أمريكا اليوم على لسان بوش. وهذا عين التتويج لمنطق القهر العولمي في الاقتصاد والثقافة، والسياسة وحقوق الإنسان، وكذا في قضية المرأة وقضية الطفولة والقضايا النقابية والعلمية والمنهجية. الغرب يريد أن يكون الآخر نسخة له بالشكل الذي يريده هو، وليس ما يريده الآخر لنفسه. وحتى إن أراد أن يقلده بطريقته الإبداعية لكي يبني ذاته بقوته، فإنه لا يقبل ذلك ولا يسمح به. هذا على مستوى التاريخ الروماني والتاريخ المسيحي الذي «ترومن» بعد ذلك.

أما بالنسبة إلى الفكر اليهودي، فالتوراة والتلمود يتأسسان على إلغاء الآخر ورفضه. فنوح غضب على ابنه حام وجعله عبدا مع سلالته لابنه سام وسلالته، واليهود طينة غير طينة البشر، وأرواحهم جزء من الله، أما الجوييم فأرواحهم شيطانية، وخلقوا من نطفة حصان. وإذا ضرب يهودي فكأنما ضربت العزة الإلهية، وجزاء ضاربه الموت. وقد خلق الله غير اليهود على هيئة إنسانية ليكونوا لائقين بخدمة اليهود. وأموال الجوييم ودماؤهم وأعراضهم حلال لليهودي، وانتهاكها قربى لله. ولا يحرم على اليهودي

الإسلامية العالمية لترعى فئة من العلماء والدعاة والمفكرين الذين نذروا أنفسهم ليؤدوا أمانة الدعوة إلي الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وها قد اجتمعت هذه الفئة اليوم في هذا البلد الطيب العامر بعلمائه الأفاضل وأهله المحبين للخير وهم يحملون راية الرسول ﷺ الذي قال فيه سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

وبناء عليه فإن هذا المؤتمر مدعو - كما أفهم - لتوجيه ثلاث رسائل محورية الأولى للمسلمين والتي تقول:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: الآية 2]

والرسالة الثانية لغير المسلمين والتي تقول:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 64]

والرسالة الثالثة للعالم أجمع وهي تقول إن الأرض لا يرثها متخاذل ولا متكبر بل يرثها المتعاون في الخير والبر والإحسان في كل زمان ومكان.

ولجميع العاملين في هذه الجمعية الموقرة جزيل الشكر على ما قدمتم طوال هذه السنوات للأمة الإسلامية خاصة، وللعالم كله عامة في نشر روح الحوار والتعارف والتفاهم والتعاون بين الأديان والحضارات والثقافات ، في وقت يحاول البعض فيه أن يثيروا الصدام والصراع بين الأديان والحضارات والثقافات.

وأن هذه الجمعية التي هي جمعيتنا أيضا، حقيقة حريٌّ بها أن تفتخر بما حققته من إنجازات مشرقة في مجال الدعوة الإسلامية حول العالم.

الشيخ الدكتور الحبيب بلخوجه
الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي:
متعاونون لتحقيق الخير للعالمين

إن ماضي تاريخ الأمة الإسلامية يشهد بصراعات وبجهود وبأعمال كانت كلها بفضل الله تنتهي إلى انتصارات وإلى تعزيز الروح الإسلامية في شعوب الأرض كلها، ونحن بفضل هذه اللقاءات المتكررة وبفضل هذا الاتصال الدائم والمستمر نجد في كل فرصة وفي كل مرة اتجاهات جديدة وأفكاراً جديدة، ولكننا نشعر أيضا بأن كلامنا أصبح مجتراً مرة بعد مرة وسنة بعد سنة من غير أن نتعمق في

الظلم إلا تجاه اليهود، لأنهم شعب الله المختار[8].

أما الحاخام الأكبر لإسرائيل، لليهود الشرقيين، فقد طرح في الصلاة الرسمية التي تمر عبر وسائل الإعلام منذ مدة قصيرة بعد اندلاع الانتفاضة، بأن الرب زقد أخطأ بأن خلق بني إسماعيل، ونحن سوف نصحح خطأ الرب بإبادتهم جميعاس. وهذه ليست حالة غضب كفر فيها حبر يهودي بالله، وإنما هو اعتقاد مؤصل لدى اليهود يسمى عقيدة «البداء»، وهي أن الرب يخطئ فيصحح له الحاخامات ! [9].

قد يصطدم الحديث عن الرحمة في الإسلام، عمومها وشمولها وحساسيتها، بواقع أليم هو كون المسلمين قد خاضوا في الدماء، خلال الحروب المريرة التي قادها الرسول ﷺ والصحابة من بعده في زمن الفتوح. حتى قال المستشرقون ومن لف لفهم، إن الإسلام قد أكره الناس بالسيف ومارس عليهم القتل، ووضعهم تحت طائلة الإعدام من أجل أن يدخلوا فيه ويعتنقوه. لقد جيش الإسلام، حسب هذه الدعوى، جيوشا وفتح بها العالم، وبالتالي فالإسلام مثل باقي الإمبراطوريات الكبرى قد لجأ للقوة، واستعمل أقساها وهي القوة العسكرية لاحتلال الشعوب وإكراهها على التحول إلى الإسلام. وبالعبارة التقليديـــة: «إن الإسلام انتشر بالسيف». فأين هي الرحمة؟ وما جدوى ادعائها في خضم الحروب والاقتتال؟

وللجواب على هذه الشبهة، لابد من التفصيل في مستويين:

أولا: السياق التصوري: نستشف من قوله تعالى في إعلان واضح وصريح ومبدئي:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية 216]

أن القرآن يبين كون الفطرة الإنسانية والفطرة الإسلامية تنبذ العنف وتكره استعمال القوة أو الإفراط في هذا الاستعمال. إنها فطرة مسالمة سلمية. ومعلوم القاعدة الكلية في الإسلام، وهي أن التشريعات تتأسس على أساس الفطرة، فالأمر بالتوحيد ينبني على فطرة عبادة الله عز وجل وتوحيده وتعظيمه، أمر الزوج بالنفقة على عياله يرتكز إلى فطرة الكرم التي ركزت في الإنسان، النهي عن الظلم والإيذاء والاعتداء يستند كتشريعات إلى أن الإنسان مفطور على كراهية الظلم وعلى استنكار الاعتداء، والنهي عن الكبر مبني على أن الإنسان قد ركزت فيه فطرة التواضع وكراهية المتكبر، فلا يكره الإنسان شخصا لم يؤذه كما يكره المتكبر لمجرد مشيته المتبخترة. كل هذا يدل على أن ما أسميه «بالتأسيس الفطري للأحكام الشرعية» مطرد في كل أحكام الإسلام، ومعنى هذا أن التأسيس لحكم شرعي بالمسالمة وتجنب العنف يستند على فطرة كراهية القتال، مما يقوم دليلا واضحا على أن القتال حالة استثنائية في الإسلام.

ثانيا: يبين «السياق السياسي والتاريخي» لتشريع القتال في القرآن الكريم:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج: الآية 39]

أن الإذن بالقتال نزل في سياق الدفاع والاقتصاص، وهذا هو الشرط الوحيد والظرف الوحيد والاستثناء الوحيد الذي يجيز فيه الإسلام

8ـ انظر تفصيل ذلك: إسرائيل شاحاك، «الديانة اليهودية وتاريخ اليهود» وطأة ثلاثة آلاف عام، ترجمة رضى سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان ط1، ص 161ـ29. سعد الدين صالح، «العقيدة اليهويدية وخطرها على الإنسانية»، مكتبة لصحابة، جدة، ط3، 2001، ص 175، 207ـ197، 354ـ349. نقلا عن: المقرئ الإدريسي أبو زيد، مرجع سابق ص 42ـ43، 87، 48ـ50. بتصرف.

9ـ سعد الدين صالح، مرجع سابق ص 189. يبدو أن هذا المعتقد الوقح، تسرب إلى الأصولية المسيحية المتصهينة التي تحكم أمريكا بالبروتستانية المتطرفة، والتي تدعم إسرائيل باعتبارها مشروعا مسيحيا يؤسس ويمهد لشروط نزول المسيح (انظر كريس هالسل: «النبوءة والسياسة»، لأخذ تفاصيل ذلك). يعتقد الأصوليون المسيحيون أن الرب أخطأ عندما جعل النفط في بلاد قاحلة، ولم يجعلها في بلاد الصناعة والتكنولوجية، وهم سوف يصححون خطأ الرب بأن يهيمنوا على مصادر النفط لكي يضخ طبيعيا في الحضارة التي تستحق وتستأهل هذا النفط، لأنها هي التي استخرجته وكررته وأنتجته وسوقته، وهي التي تصنع وتخترع ما يوظف فيه هذا النفط من مولدات وسيارات ونحوها.

استعمال القوة، أي يجيزه لمواجهة القوة، استعمال الردع لمواجهة الاعتداء، استعمال الخشونة لمواجهة الخشونة المضادة.

إن هاتين الآيتين وغيرهما لا تكتفيان بالتشريع أو البيان، وإنما تخلقان جواً عاماً، ينبذ عبادة القوة والاحتكام إليها، وهو جو مناقض للجو العام الذي نزل فيه القرآن، والذي ظهرت فيه دولة الإسلام، بحيث كانت جميع الدول والأمم المحيطة به تعبد القوة، من الرومان إلى الفرس إلى الحبشة وغيرهم. إن الحديث عن الجهاد في القرآن هو تدبير حل لمشكل لا سعي لخلقه، وإن تشريع الجهاد ليس للمبادرة بغرس هذا السلوك كاختيار عند المسلمين، وإنما هو سعي لمواجهة حالة موجودة وقائمة وما زالت عند البشرية إلى اليوم.

إن سياق الحديث عن القتال واعتماد القوة واضح في عموم تشريع الإسلام (مثل سياقات الحديث عن مشكل الرق أو مشكل الفقر أو مشكل العنف في العلاقات الاجتماعية) الذي جاء لتدبير هاته المشاكل لا لتبنيها.

و يتبين ذلك أكثر عندما ندخل في تفاصيل فقه الجهاد، فمن جهة يعتبر الإسلام استعمال القوة في الجهاد حالة اضطرارية تتوقف فور توقف دواعيها:

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾
[سورة الأنفال: الآية 61]

وجواب الشرط هنا بالفاء الملزمة بالفور والعجلة والسرعة، بمجرد ما يكف العدو عن الاعتداء، على المسلم أن يتوقف فورا عن عملية رد هذا الاعتداء. فهذا عهد سلم لكف الأذى المتبادل، يأمر القرآن بتبنيه. وعندما يتكلم القرآن الكريم عن «المعاهدين» ينهى عن كل أشكال إيذائهم أو نقض العهد معهم، ويعتبر ذلك غدرا وكفرا يخرج من الملة:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة: الآية 4]

وعندما يتكلم القرآن الكريم عن ضبط العلاقات

الموضوعات التي نحتاج إليها، كلنا يشكو من أحوال العالم الإسلامي وما يمر به الآن، وكلنا ينظر إلى ما حل بالمسلمين من مصائب ومن ظروف سيئة تجعله شاعرا بشيء من الذلة ومن عدم الاحترام، فنحن خُلقنا لا لأن نكون أذلاء.. خُلقنا لأن نكون أعزة ولنكون أمة قوية صالحة لأن توجه الناس أكثر من أن تتلقى التوجيهات، وعندئذ فالداء معروف وسبيل العلاج معروف، ولكننا لم نخرج مما نحن فيه إلى ما ينبغي أن نكون عليه، كلنا يعلم بأن الإسلام جاء لينقذ المجتمع الإنساني مما هو فيه وليفتح له أسباب الرشاد والتراحم والتعاون والمضي في سبيل البناء الحقيقي للمجتمعات الإنسانية، لكن أين هي هذه المجتمعات الإنسانية؟ ونحن ينكر بعضنا بعضا ويقاوم بعضنا بعضاً، وتتسلط الآلات الجهنمية على بعض الشعوب فتكاد تسحقها إن لم تكن قد سحقتها بالفعل!! ما هو الطريق؟ الطريق أوصانا به الله وحثنا على الأخذ به وأقسم بقوله:

﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: الآيات 1-3].

فالأمر الأول هو الإيمان بالله، بمعنى أن نكون مؤمنين حقيقة، ومن كان يعيش هذه الروح الإيمانية ويعتد بها ويريد أن يجعلها مؤثرة وفاعلة تدفعه إلى العمل الصالح، والعمل الصالح أمر مفروض حتما على المسلمين لأن كل مسلم يقوم بهذا العمل الصالح هو أسوة لغيره من الناس وطريق إلى الكشف عن سبل النجاح، ثم هو يعلم - كما نبهه القرآن الكريم إلى ذلك - بأن الإيمان والعمل الصالح يحتاجان إلى أمرين: يحتاجان إلى شيء من الصبر ويحتاجان أيضا - كما جاء في الآية الكريمة:

﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: الآيات 1-3]

- إلى المحافظة على الحق والدفاع عنه ومناشدة الناس جميعا أن يقوموا بهذا الحق الذي فرضه الله عليهم وطهر قلوبهم ليكونوا واعين به متصورين له ؛ يصحبه شيء من الكفاح ومن العمل ومن الصبر الذي لا ينبغي أن لا يضيع منا.. لأننا إذا أضعنا الحق وأضعنا الصبر فقد أضعنا كل شيء.

وأنا أرى أن مثل هذه الاجتماعات ينبغي أن تتحول في جزء قليل منها إلى ما يعرف عند الناس جميعا بنقد الذات، ينبغي أن نقوم بنقد ذاتنا ومناقشة ما نعيشه وما نفعله وما نتقدم به إلى إخوتنا الأقارب والأباعد، وما يكون منا في كل يوم يطلع فجره علينا، فنحن تمر

مع الآخر، يحددها تحديدا عمليا قائما على محدد واحد وهو درجة استعماله للعنف:

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [سورة الممتحنة: الآية 9/8]

فالقرآن يبين بوضوح أن الموقف من الآخر ليس موقفا من دينه ولا من عقيدته ولا من حضارته ولا من حقه في الوجود، ولا من هيمنته على جزء من هذه الأرض أو من مساهمته في بناء الحضارة أو منافسته للمسلمين في مجالات اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، وإنما هو موقف من اعتدائه على المسلمين، فمن اعتدى على المسلمين حرمت معاشرته ومبايعته ومناكحته والتعاون معه، وإذا توقف عن إيذائهم فإن كل ذلك يعود إلى دائرة الجواز، بل ويصبح هو الأصل! وعندما يقول عز وجل:

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾

[سورة الممتحنة: الآية 8]

يبين أن الأصل هو البر وهو القسط وهو الإحسان، فلسنا مأمورين فقط بمهادنتهم أو مسالمتهم وعدم الاعتداء عليهم، بل نحن مأمورون بالإحسان إليهم والبر بهم والإقساط إليهم، وهذا مستوى عالٍ في العلاقات الإنسانية. لكن ذلك يتوقف استثناء إذا كان هناك داعٍ واحد، وهو أن يقاتلونا في الدين لإكراهنا على الرجوع إلى الكفر ونزع صفة الإسلام عنا أو إخراجنا من ديارنا أو المظاهرة على إخراجنا. وحتى عندما يحتاج المسلمون لذلك، فإن على المسلم ألا يغدر وألا يبيت وألا يباغت، وعليه أن يعذر وأن ينذر ويوضح:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾

[سورة الأنفال: الآية 58]

فلا بد أن ينبذ المسلم إلى العدو، ويعلمه ويهيئه نفسيا وينذره بالحرب، فإن أصر على الخيانة، يقاتله، وإذا لم يصر فإنه يرجع عن الأمر.

نجد القرآن إذن يدعو إلى السلام كحالة شاملة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾

[سورة البقرة: الآية 208]

وليس أقوى من هذه الآية وليس أشد منها بياناً في أن السلم حالة عامة وشاملة وأصلية، وأن المسلم لا يؤمر بالتحلي بالسلم فقط بل يؤمر بالدخول فيه كأنه فضاء يلفه من كل جانب. و«السلام» اسم من أسماء الله الحسنى، وهو يدعو إليه:

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [سورة يونس: الآية 25]

كما أننا أمرنا بإفشاء السلام، وتحيتنا هي السلام، وتحية أهل الجنة السلام:

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [سورة إبراهيم: الآية 23]

وليلة القدر المقدسة:

﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر: الآية 5]

والمبدأ أن المسلم يختم صلاته بالسلام. فهل يمكن أن يكون هذا مجرد حالة فصام تقتصر على مستوى الخطاب وتتعايش مع واقع حب القتال والركون إلى العنف؟؟ يقول الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام»[10].

هذه الروح العامة تجلت في سلوك المسلمين، فكل الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت حروبا دفاعية، «بدر» مثلا، كانت من أجل أن المشركين جاؤوا يعتدون على حقه في استرجاع بعض ما نُهب من المسلمين في الهجرة، و«أحد» كانت مبتدرة من المشركين من أجل الانتقام، و«فتح مكة» كانت لرد غزو المشركين على حلفاء المسلمين، وختمت بموقف: «أنتم الطلقاء». ولو

10 ـ رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد.

كانت رغبة النبي ﷺ في القتال لمارس القتال بعقلية المقاتل، ولما أنهاه بالعفو عمن آذوه وأخرجوه وطردوه، وهددوا وجود الإسلام طيلة فترة الدعوة وطيلة فترة الدولة. لكن بعض المسلمين اليوم، ولظروف نفسية وفكرية وسياسية، ينظرون إلى الفتوحات والمعارك الكبرى في تاريخ الإسلام الأول، بطريقة لا تؤسس لعقلية سليمة، ويبالغون في وضعها خارج سياقها الطبيعي كحالة اضطرار، أو كحالة طوارئ كما يسميها منظِّر السلمية الإسلامية المعاصر جودة السعيد.

و قد تمثل الخلفاء الراشدون - رغم خوضهم لمعارك شديدة طيلة فترة حكمهم - هذه الروح فاجتهدوا لتحرير الشعوب المجاورة من طغيان الفرس والروم، مع تقليل الخسائر الروحية والمادية جهد الإمكان. فعمر بن الخطاب مثلا، يرسل عدداً من الرسائل إلى جنده المنتصرين يردعهم فيها عن الاعتداء: «... ولا يرزأ أحداً من أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها... ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح»[11]، ويهدد من يخدع بالأمان محاربا ليقتله بأنه «والذي نفسي بيده، لا أعلم مكان واحد فعل هذا إلا ضربت عنقه»[12].

بل إن الجهاد، حتى عندما توسع كان يستهدف ضرب القوة السياسية والعسكرية للدول الديكتاتورية التي تقوم على حرمان الناس من حق الاختيار وحرية اتباع الدين الذي يريدونه. فإذا رفعت هذه الوصاية عن الناس بفضل الجهاد، خير المسلمون الناس بين أن يسلموا أو يبقوا على ما هم عليه. فقد فتحت فارس وبقي أهلها مجوسا دون أن يمسهم أحد، وألحق المجوس بأهل الذمة. كما أن المسلمين لما وصلوا إلى الصين وأذن لهم ملكها بحرية الدعوة وبناء

11 ـ نقلاً عن على أحمد الخطيب: عمر بن الخطاب، عالم الكتب بيروت ط1، 1986 ص 348.

12 ـ نفسه ص 310.

بنا الأيام ولا نحاسب أنفسنا على هذه الأشياء، وهذا خطير لأنه إن ران على القلب فيصبح القلب بعد ذلك جافياً وغير شاعر بما حوله، فنحن إذن ندعو إلى نقد الذات لإصلاح الذات، لأننا إذا ما انتقدنا ذواتنا وتبينا جوانب العجز أو عدم القيام بالواجب استطعنا عند ذاك أن نفيق من غفلتنا وأن نصلح أحوالنا وأن نقول إن الله قد أولانا رسالة ومهمة لابد علينا من الوفاء بها والقيام والإضطلاع بأسبابها، لنكون للعالمين سنداً ولنكون مع العالمين متعاونين لتحقيق هذا الخير.
وأقول إن مجمع الفقه الإسلامي ليسعده ويشرفه أن يعلن أن هذا الاجتماع والاجتماعات الأخرى التي حضرناها تؤكد أن هذه الجمعية (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية) قد قامت من يوم تأسيسها بأنشطة كثيرة لا يمكن حصرها أحيانا، ومع ذلك نقول إنها تحتاج إلى مزيد من العمل والمضي في هذه الطريق، ولن يكون هذا العمل والمضي في هذه الطريق إلا بالتعاون بيننا وبتضافر جهودنا وبالالتفات إلى محل الضعف فينا لنقوّمه ولنقوّم بعد ذلك بالواجبات التي يمليها علينا ديننا ومجتمعاتنا التي تحتاج إلى من يضحي في سبيلها ويأخذ بيدها.



الرئيس الإيطالي الأسبق فرانشيسكو كوسيغا:

التواصل يعني التعرف السليم بالآخر والقبول به

إن البشرية بأجمعها وخاصة دول منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط تمر بأزمة ليس فقط بسبب الإرهاب بل في ما يخص اللقاء بين الشعوب الغربية والعربية، يهوداً ومسيحيين ومسلمين..
وإن لم يتم العثور على السبل الصحيحة للتعايش السلمي عبر الحوار المفتوح والمخلص فمن الممكن أن تتحول الأزمة إلى صراع وتعارض واللذين من شأنهما تشجيع السير في طريق الإرهاب.
إن التواصل يعني قبل كل شيء التعرف السليم بالآخر والقبول بالآخر، ونحن الغربيين والمسيحيين نقتبس معلوماتنا العامة وهي سطحية ولا تأتي من مصادر موثوقة عن الإسلام. ما هو الإسلام ؟ وكيف تصل إلى المسلمين معلومات محرفة عن الغرب؟ عن المسيحيين وعن اليهودية ؟.

المساجد، توقف القتال وانتشرت الدعوة سلمياً عن طريق التجار.

لقد شرع الجهاد من أجل أن يتحرر الإنسان، ومن أجل أن يتمتع بحرية الاختيار العقدي لإعطاء الناس فرصة الاختيار بعيداً عن نظام مستبد يحرمهم من ذلك، ويلزمهم بقانون: «الناس على دين ملوكهم».

يضاف إلى هذا، الأخلاق المصاحبة للقتال كحالة طوارئ اضطرارية، والتي يزيد الإسلام من التشديد عليها، مثل النهي عن قتل النساء أو الأطفال، أو الشيوخ أو الأسرى، أو الجرحى، ومراعاة البيئة، وعدم التنكيل بجثث القتلى. ومعروفة هي الواقعة المشهورة التي اضطر المسلمون خلالها إلى أن يقطعوا بعض نخيل خيبر لتخويف اليهود المحاصرين حتى يقنعوهم بالاستسلام، لقد أذن لهم بذلك استثناء، وفي إطار ضيق جدا، وجاء في السيرة أنهم قطعوا ثمان نخلات، ومع ذلك فقد حصل عند المسلمين بحكم التربية التي أنشئوا عليها، أزمة ضمير تجاه هذا الفعل، فنزل قوله تعالى:

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر: الآية 5]

يعزي المسلمين ويسوغ لهم أمر قطع النخل استثناء وبعدد محدود جداً. لقد أمر المسلمون بكل أشكال الرفق المصاحبة للقتال رفقا بالإنسان والبيئة، رغم أن القتال بطبيعته ليس من قبيل الرفق، فالمسلمون مأمورون بالإحسان حتى في حالة «الاضطرار إلى الإساءة»، ومأمورون بالرفق حتى في حالة استعمال القوة. ولا أدل على أن عقلية الإسلام لا تنسجم مع اختيار العنف، وأن مشروع الإسلام مشروع مدني سلمي، وليس مشروعاً حربياً عسكرياً، ما فعله النبي ﷺ حين كاتب شطراً من أسرى بدر على أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل أن يطلق سراحهم [13] فهل يمكن للذي يريد أن يستعمل الحرب نفسها للبناء، للعلم، للحضارة ولتركيز الاختيارات المدنية السلمية، أن يكون طالباً للحرب وراغباً فيها، ومتقصداً لإشعالها، حيثما أتيح له ذلك؟!

هكذا نرى أن الإسلام يتحدث عن القوة، والحرب والجهاد، باعتبارها كرهاً لنا، وباعتبارها حالة استثنائية، حالة دفاعية يقيدها بكل الاحتياطات وبكل ما يخفف من وطأتها، ويدعو إلى إنهائها بأسرع ما يمكن من الوقت عندما يتوقف الداعي الخارجي، ويسعى فقط إلى أن يبحث عن أي مجال لحرية الدعوة تغنيه عن استعمال القوة ضد الديكتاتوريات الوصية، وينتهي بمجموعة من الإجراءات الإصلاحية المصاحبة التي تجعل هذا السلوك على طبيعته الخشنة حضاريا ومخفف الأثر إلى حد بعيد[14].

لقد خاض المسلمون حروباً عديدة، لكنهم لم يحملوا فكر الإبادة، ولم يسوغوه بدين، ولم يمارسوه قط. إن الاقتتال عندهم يتوقف فور الجنوح للسلم، فلا إجهاز على جريح، ولا قتل لأسير، ولا مس بأذى لمن هم خارج المعركة مطلقاً !

وبالمقابل، فقد تلبس الغرب بثقافة الإبادة تنظيراً وتأصيلاً وتسويغاً من الدين، وإنجازاً رهيباً متواصلاً من محاكم التفتيش، بل وقبلها، إلى معارك الفلوجة، فاتحا على بقية البشرية المظلومة أبواب جهنم، وهو هانئ الضمير.

إن الولايات المتحدة لم تعتذر إلى اليوم عن إبادة مائة وعشرين مليون هندي، بل إنها تقيم المتاحف والتماثيل لأكبر السفاحين لهذا الشعب المباد، وتدرسهم كأبطال تاريخيين في مقرراتها وتنجز عنهم الوثائق الإعلامية! ويعتبر جزء واسع من الثقافة المسيحية البيوريتانية البروتستانتية المتصهينة،

---

13 ـ المباركفوري: مرجع سابق ص 270.

14 ـ راجع: المقرئ الإدريسي أبو زيد. مرجع سابق ص 76ـ80.

أساساً لتسويغ الإبادات، بل واعتبارها «ضرورة أخلاقية» وإرادة إلهية! وبينت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تقوم دينياً منذ نشأتها على ستة أسس أولها «المعنى الإسرائيلي لأمريكا» وآخرها «حق التضحية بالآخر»[15].

ارتكز فكر الإبادة عند الغرب على أصول توراتية تمتح مبررها من أوامر العنف الدموي الهائل الذي تحبل به نصوص التوراة المنسوبة كذبا للوحي، باعتبارها أوامر مقدسة، يعتبر تنفيذها قربة لإله خاص بشعب خاص، (لم يعتبر المسلمين قط أن الله لهم وحدهم!)، وخصوصا سفر يشوع المخصص لعمليات الإبادة الشاملة المشار إليها بمصطلح خاص «التحريم» وهي إبادة يفاخر بها، وتنسب لأوامر مقدسة وإرادة متعالية لتطهير الأرض من «الأجناس المنحطة»، التي تتلبسها أرواح شريرة.

ولنستعرض على سبيل المثال بعض النصوص الرهيبة من سفر يشوع المنحول على التوراة رغم أنه رواية تاريخية متأخرة كتبت على ضفاف نهر الفرات زمن السبي بنفسية المقهور الذي يستعيض عن الواقع بأحلام السيطرة:

الإصحاح الأول: «بعد موت موسى عبد الرب. قال الرب ليشوع بن نون خادم موسى: والآن وقد مات موسى عبدي، قم واعبر نهر الأردن هذا، أنت وهذا الشعب كله، إلى الأرض التي أنا واهبها لبني إسرائيل(...) ولن يقدر أحد أن يقاومك كل أيام حياتك. لأني سأكون معك كما كنت مع موسى».

الإصحاح السادس: «وعندما نفخ الكهنة في الأبواق... قال يشوع للشعب: اهتفوا لأن الرب قد وهبكم المدينة (أريحا) واجعلوا المدينة وكل ما فيها محرما للرب، باستثناء راحاب الزانية وكل من لاذ

15 ـ أنظر في ثقافة الإبادة تأصيلاً فكرياً ونفسياً: عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ. وتأصيلا دينيا: غريس هالسل النبوءة والسياسة، وممارسة رهيبة: منير العكش: أمريكا والإبادات الجماعية. وكليف تورنبل: حرب قذرة.

وأتمنى أن تقوم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـ التي تحظى بقبول في أوروبا وخاصة في بلد كإيطاليا ـ بزيادة نشاطها، حيث هناك وجود عربي وإسلامي لا يستهان به، وأن تقوم الجمعية بتأسيس وإدارة مساجد يتم فيها التعليم والدعوة للإسلام الحقيقي دين الكتاب والدعوة للسلام لا للعنف، وأن تقوم بفتح مراكز ثقافية للدراسة ولفسح المجال أمام الغربيين لتعلم واستيعاب حقيقة الإسلام الذي هو دين السلام، ولفسح المجال للقاء المفتوح والمخلص بين العرب والأمة العربية وبين المسيحيين والمسلمين، وأتمنى ولو أني أخشى ذلك أن لا يستمر الغرب في نسيان وإخفاء وإنكار هويته، كما أتمنى أن تبرز الهوية الدينية والثقافية للمسيحيين.
إن الحوار والتواصل واللقاءات يمكنها أن تتم بين من يحافظ على هويته وينميها، لأنه بتقدير واحترام هويتنا فقط يمكننا الاعتراف بهوية وبقيم الآخرين.





الشيخ إبراهيم صالح الحسيني
رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في نيجيريا:

الرحمة أساس ديننا

إن الرحمة التي تحدثنا عنها والتي هي أساس ديننا علينا أن نأخذ منها قسطاً كافياً لنا نحن الدعاة حتى تكون الدعوة مشمولة بالرحمة وبالعدل و بالإنصاف.. المذاهب التكفيرية التي انتشرت في هذه الأمة ليس لها أساس في الأمة ولا أصل لها لأنها مذاهب قامت على إساءة الظن بالأمة، ويجب على الداعية أن يحسن ظنه بكل أمة محمد ﷺ، أمة كلمتها موحدة تستطيع أن تواجه الأعداء، وأمة ضعيفة لا تستطيع أن تواجه الأعداء، أمة ضعيفة ومفرقة لا تستطيع . ولذلك أرجو من إخوتي الدعاة أن يقرروا ـ في هذا المؤتمر السابع لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـ استراتيجية ثابتة لإعادة تقويمنا لهذه الأمة، إعادة مشمولة بالرحمة وليست بالهوى ولا بالتطرف، فالإسلام بعيد عن التطرف والإرهاب، لأن الإسلام للجميع ونحن نعبد الله تبارك وتعالى ونطيعه، فنحن كلنا ملكه وخلقه وعبيده، فيجب علينا أن نتصف بهذه الرحمة التي وصفها الله تبارك وتعالى بأنها وسعت كل شيء.

ببيتها فاستحيوهم، لأنها خبأت الجاسوسيين المرسلين لاستطلاع أحوال المدينة (...) فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير ثم أحرق الإسرائيليون المدينة بالنار بكل ما فيها في ذلك الوقت أنذر يشوع الشعب قائلاً: ملعون أمام الرب كل من يحاول أن يعيد بناء مدينة أريحا، فإن بكره يموت وهو يضع اساسها، وصغيره يهلك وهو يقيم أبوابها».

الإصحاح الثامن: «فقال الرب ليشوع: مد رمحك نحو «عاي» لأني وهبتك المدينة. فمد يشوع الحربة التي بيده نحو المدينة، وركضوا واقتحموا المدينة واستولوا عليها وأحرقوها بالناروشرعوا في مهاجمة رجال عاي والقضاء عليهم. ففتك بهم الإسرائيليون فلم ينج منهم أحد (...) وفنوا جميعهم بحد السيف، رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عاي وقتلوا كل من فيها. فكان جميع من قتل في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً (...) وظل يشوع ماداً يده بالحربة نحو المدينة، فقد نهبها الإسرائيليون لأنفسهم، بمقتضى أمر الرب الذي أصدره إلى يشوع. وهكذا أحرق يشوع عاي وحولها إلى تل خراب أبدي إلى هذا اليوم. وشنق ملك عاي على شجرة إلى وقت المساء».

الإصحاح العاشر: «فنفذوا أمره واخرجوا الملوك الخمسة...» وما إن اقبلوا بهم إليه حتى استدعى كل محاربيه، وقال لقادتهم الذين ساروا معه: «تقدموا وطئوا بأرجلكم رقاب هؤلاء الملوك» ففعلوا ذلك ثم قتلهم يشوع بعد ذلك وعلق جثثهم على خمسة أشجار حتى المساء (...) واستولى يشوع في ذلك اليوم على «مقيدة» وقتل بالسيف ملكها وكل نفس فيها، لم يفلت منها ناج. وصنع بملك «مقيدة» ما صنعه بملك أريحا. ثم توجه يشوع على رأس جيشه من مقيدة إلى «لبنة» وحاربها... فدمرها وقتل كل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج، وصنع بملكها ما صنعه بملك أريحا. بعد ذلك تقدم يشوع من لبنة إلى «لخيش» وحاصرها وهاجمها... فاستولوا عليها في اليوم التالي ودمروها وقتلوا كل نفس فيها بحد السيف نظير ما صنعوا بلبنة(...) ثم قضى يشوع عليه(ملك جازر) وعلى جيشه فلم يفلت منه ناج. ثم تحرك يشوع وجيش إسرائيل من لخيش نحو «عجلون» فحاصروها وحاربوها، واستولوا عليها في ذلك اليوم ودمروها، وقضوا على كل نفس فيها بحد السيف على غرار ما صنعوا بلخيش. ثم اتجه يشوع بقواته من عجلون إلى «حبرون» وهاجموها، واستولوا عليها ودمروها مع بقية ضواحيها التابعة لها، وقتلوا ملكها وكل نفس فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، على غرار ما صنعوا بعجلون. وهكذا قضوا على كل نفس فيها. ثم عاد يشوع إلى «دبير» وهاجمها، واستولى عليها ودمروها مع بقية ضواحيها التابعة لها، وقتل ملكها وكل نفس فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، فصنع بـ«دبير» وملكها ما صنع بلبنة وملكها. وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح ودمرها وقتل كل ملوكها، ولم يفلت منها ناج، بل قضى على كل حي... وهكذا أخضع يشوع المنطقة بدءا من قادش برنيع إلى غزة، بما في ذلك منطقة جوشن وجبعون. وظفر يشوع بجميع هؤلاء الملوك واستولى على أرضهم دفعة واحدة، لأن الرب إله إسرائيل حارب عنهم».[16]

كما تنغرس الدموية الرعناء لدى اليمين المسيحي الصهيوني الذي يحكم أقوى دولة في العالم اليوم، في الوصف المهول لدمار العالم في آخر الزمان، خلال معركة هرمجدون، التي تشرح

16ـ نقلا عن أحمد شحلان: التوراة والشرعية الفلسطينية، منشورات الزمن، كتاب الجيب رقم 41، الدار البيضاء 2004 ص 80ـ84 بتصرف.

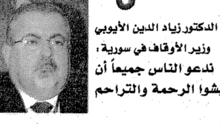
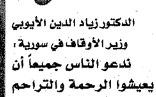
تفاصيلها بنبوءة دانيال في التوراة أيضا، وفيها حديث عن أربعمائة مليون إنسان سوف تذوب جلودهم بنار الكبريت، ويعانون القتل الشنيع، لكن ذلك زضرورة أخلاقية لتكتمل إنسانية الإنسانس كما يفتي بذلك شيوخ بوش الابن المعاصرون، من أمثال جيمي سواغارت وجيري فولويل وجيم بيكر، وأضرابهم من المستشارين الدينيين للبيت الأبيض ومجلس الأمن القومي[17].

إن محاكم التفتيش الرهيبة، أكبر دليل على عجز الغرب المسيحي عن استيعاب الاختلاف الديني، وهو عجز انتقل إلى داخل البيت المسيحي نفسه، وترجم إلى اقتتال إبادة شاملة بين البروتستانت والكاثوليك، اقتتال بقيت «حفرياته البشرية» في إيرلندا شاهدة عليه إلى اليوم !

أما المسلمون فحكموا الجزيرة الإيبرية ثمانية قرون لم يبيدوا فيها بشرا ولا ضاقوا فيها باختلاف دين. وكذلك حكم العثمانيون أوربا الشرقية ستة قرون، وخرجوا منها وكأنهم ما دخلوها قط. في حين ترجمت مذابح الصرب لمسلمي يوغوسلافيا في زمن التحضر وحقوق الإنسان، أية قدرة على قبول التعايش تتملك المسيحيين!

أما عن الاختلاف الثقافي فحدث ولا حرج، فحيث ترك الإسلام كل الشعوب على ما هي عليه، لم ينكر عليها إلا ما كان منكرا في الدين من شرك أو ظلم، ولم يسع إلى تنميطها ولا فرض عليها نموذج العيش الخاص بالعرب، ضاق الغرب بكل اختلاف، واعتبره مظاهر همجية ووحشية، وأكره الشعوب التي احتلها على تغيير دينها ولغتها وثقافتها وتقاليدها تحت طائلة الإبادة. يحكي على سبيل المثال، شاهد عيان على إبادة شعب تسمانيا (جزيرة قرب استراليا)، أن المستعمر الإنجليزي أرغم من تبقى من سكانها وهم

17 ـ أنظر غريس هالسل: يد الله: لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل، دار النفائس بيروت 2000.

الدكتور زياد الدين الأيوبي
وزير الأوقاف في سورية:
ندعو الناس جميعاً أن يعيشوا الرحمة والتراحم

اذا كان ربنا سبحانه وتعالى بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين، فلا بد لنا أن ندعو أنفسنا وندعو الناس جميعاً إلى أن يعيشوا الرحمة وأن يعيشوا التراحم. إننا ظُلمنا على هذه الأرض جداً، وظُلم الإسلام كثيراً، وقد يكون من أسباب ظُلم الإسلام في هذا الكون أن بعض الناس مارسوا بعض الممارسات الخاطئة، ولكن علينا أن نعترف أيضاً بأن هناك تشويهاً مبرمجاً للإسلام، وأن هناك من يريد أن يصور الإسلام وكأنه العدو لهذا العالم، ولكننا نقول إن الإسلام هو رحمة وإن هذا الإسلام هو عطاء وإن هذا الإسلام هو حياة لهذه الشعوب.

كلنا يعلم هموم العرب وهموم المسلمين وهموم هذا العالم، ونحن ما جئنا إلى هذا المكان حتى نهاجم أحداً، فصدورنا مفتوحة وقلوبنا مفتوحة، فنحن نحب الإنسان لأن الله كرم الإنسان ولأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء: الآية 70]

ولكن عندما يتحول هذا الإنسان إلى عدو شرس قاتل فلابد من أن نتكاتف جميعا مسلمين ومسيحيين لمقابلة هذا التنين الذي يريد اقتلاع الإنسانية واقتلاع الرحمة من قلوب البشر، فلنكن جادين وصادقين مع مبادئنا.

وعلينا ألا نخشى في الله لومة لائم، وعلينا أن نشكر للجماهيرية استضافتها لهذا المؤتمر الكريم وأن نوجه التحية والتقدير إلى قائد ثورة الفاتح العظيمة الأخ معمر القذافي الذي ساهم ولا يزال يساهم في نشر الإسلام الواعي، وفى نشر الإسلام الصحيح، وفي أن يبدد وأن يغير وأن يمحو ما علق بصورة الإسلام والمسلمين، حتى نقدم المثل ونكون القدوة، وحتى نكون الأسوة لأننا نتأسى دائماً بالنبي ﷺ وهو الذي قال فيه القرآن العظيم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: الآية 21]

فرسول الله ﷺ كان يحب الكبير والصغير، وكان يكرم الجميع ولا يفرق بين عربي ولا أعجمي ولا بين أبيض وأسود، ورحمته شملت الإنسان والحيوان والجماد وكل شيء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

اقل من 4 في المئة من سكانها على تعلم الزراعة واعتناق المسيحية وترك الترحل، بل وصنع الشاي والغناء باللغة الإنجليزية، تحت طائلة التعذيب الشديد. وكانت نتيجة أنهم أرغموا على لبس الملابس الأوروبية وترك دهن شعورهم وجلودهم بشحم الكانجارو، هي أنهم أصيبوا بنزلات برد، بعد ابتلال ثيابهم تحت المطر، وهلكوا جميعا لعدم وجود مناعة لديهم من التهاب الرئة ! [18]

إن الأشياء تتميز بنقيضها، ولقد كان الإسلام دائماً عالمياً، ولم تكن دعوى العالمية في الحضارة الغربية، إلا مجرد ادعاء، وها هو يفصح عن نفسه بنفسه، حين سماها ـ كما هي ـ حقا عولمة ! وما أحسن التمييز الدقيق الذي أقامه الباحث المغربي محمد عابد الجابري، بينهما حين قال: «العولمة» شيء و«العالمية» شيء آخر. العالمية تفتح على العالم، على الثقافات الأخرى، واحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي. أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي.

العولمة إرادة للهيمنة، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي. أما العالمية، فهي طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي: العولمة احتواء للعالم، والعالمية تفتح على ما هو عالمي وكوني.

نشدان العالمية في المجال الثقافي، كما في غيره من المجالات، طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء، في التعارف والحوار والتلاقح. إنها طرق الأنا للتعامل مع «الآخر» بصفته «أنا ثانية» طريقها إلى جعل الإيثار يحل محل الأثرة. أما العولمة فهي طموح، بل إرادة لاختراق «الآخر» وسلبه خصوصيته، وبالتالي نفيه من «العالم». العالمية إغناء للهوية الثقافية، أما العولمة فهي اختراق لها وتمييع.

والاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة يريد إلغاء الصراع الإيديولوجي والحلول محله.. الصراع الإيديولوجي صراع حول تأويل الحاضر وتفسير الماضي والتشريع للمستقبل، أما الاختراق الثقافي فيستهدف الأداة التي يتم بها ذلك التأويل والتفسير والتشريع: يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم: «الإدراك». (...)

وبالسيطرة على الإدراك، وانطلاقا منها، يتم «إخضاع النفوس»، أعني تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك. والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع: معارف إشهارية تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه «ثقافة الاختراق». [19]

ثالثاً ـ نبي الرحمة للعالمين:

الرحمة المهداة والنعمة المزجاة والسراج المنير، خلق وربي وبعث ليكون رحمة للعالمين، بشيرا ونذيرا. صنع من الرحمة وعجنت طينته من اللين، وجبل على التواضع وأدمن الخشية والتضرع والبكاء، ليقدم للبشرية في آخر عصورها وأقواها وأزهاها، نموذج الإنسان الكامل الذي أراده الله قدوة للبشر، بنوره مهتدون وعلى سنته يمضون، حتى لا يكون بعضهم لبعض إلا عونا في الخير لا الشر، وظهيرا في البناء لا الهدم.

ها هو القرآن الكريم يعلنها واضحة، ويصرح بها جلية ناصعة:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

فيحدد الغاية من خلق سيد الخلق ومن بعثه بالهدي وتكليفه بالرسالة: إنها رحمة العباد كل العباد، بلا تخصيص ولا استثناء !

---

18 ـ كليف تورنبل: حرب قذرة (قصة إبادة السكان الأصليين لجزيرة تسمانيا) ترجمة فؤاد الأهواني. كتاب الهلال. بدون تاريخ: ص 250ـ251، 258ـ260، 265ـ271.

19 ـ محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات. في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية. تحرير أسامة أمين الخولي. ط1 1998. بيروت ص 301ـ302.

أما كونه بعث للعرب خاصة ثم للناس كافة، فلا يقصد به تمييز قومه عن غيرهم بشيء، عدا التكليف بحمل الأمانة للناس، ونقلها إليهم مجاهدة للذات وجهادا بالنفس والمال، وتبليغاً وتوضيحاً، وقدوة ومثالا. ولعمري إنها لأمانة ثقيلة ومسؤولية جسيمة، ليس فيها من الاصطفاء والتميز إلا ثقل الأمانة وعبء المسؤولية.

إن قوله ﷺ: «بعثت لكم خاصة»، إنما هو إشارة لمرحلة انتقالية ضرورية واقعية، لأنه لابد من نبي بشر يعيش في قومه، ينطلق في دعوته منهم، بما أن الأنبياء والرسل لا يبعثون فوق السحاب، ولا ينزلون ملائكة من السماء! إنها مجرد محطة انطلاق عابرة، يتحرك منها قطار الدعوة ليكون مستقره خطاب «يا أيها الناس» !

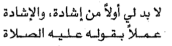
ومعاذ الله أن يكون التخصيص هنا، واقعا تاريخياً وقدراً ربانياً وخطاباً نبوياً، بمنطق «شعب الله المختار»!

إنها رحمة تعليم الغلاظ، اللين:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: الآية 159]

والرفق: «ما دخل الرفق شيء إلا زانه ولا خلا من شيء إلا شانه». ورحمة رفع الإصر والأغلال عن البشرية جمعاء، وقلب موازين العلاقات الاجتماعية الطاغوتية في زمن الاستعباد: «إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم». إنها رحمة التلقائية في التعبير عن العواطف، لقوم تربوا على أن ذلك ضعف يثير الاحتقار: «يا رسول الله إن لي عشرة صبيان لم أقبل أحدا منهم قط»، فيجيبه ﷺ: «وما أفعل لك إن نزع الله الرحمة من قلبك»!

رحمة عامة، فلا رحمة مع الاستثناء والتخصيص، بل هو الظلم والتمييز. وهذا ما فقهه ابن عباس حيث قصر فضل رسول الله ﷺ على الأنبياء في الأرض، في كونه بعث للناس كافة، وبعثوا لأقوامهم خاصة[20]. وهو الفهم الذي يزكيه قوله ﷺ «أوتيت خمساً لم يؤتهن أحد قبلي(...) وبعثت للناس



الأستاذ صلاح الدين المستاوي / تونس:

منهج قويم ينبغي علينا دعمه وتطويره

لا بد لي أولاً من إشادة، والإشادة عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية حسنة من حسنات ليبيا الشقيقة، وهي عمل صالح خالص لله، وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، أكثر من ثلاثين سنة تفصلنا عن التأسيس وها هو التأسيس يؤتي ثمرته في هذه الأعمال المباركة، فما من شبر في القارات الخمس إلا وللجمعية فيه حضور فاعل ومتنوع بينته التقارير الضافية التي قُدّمت في المؤتمر، والتي قلت لا يمكننا أن نعلق عليها ولا حتى أن نحيط بها قد نقرأها في متسع من وقتنا فنتقدم عليها ولها بعض الملاحظات يمكن أن تجعل العمل ـ كما هو حال عمل الجمعية ـ دائماً في تطور وتحسن مضطرد، الذي شدني إلى تلك التقارير هو هذه المواكبة للمستجدات وهذا التطوير للوسائل بحسب الحاجات الملحة التي يعيشها المسلمون في هذا العصر بتحدياته وبغزوه الفكري والتنصيري الشرس. فكلية الدعوة الإسلامية هي اليوم كليات، وخريجوها اليوم أضافوا إلى النظري التطبيقي، وأضافوا إلى التعريف بالإسلام دين السماحة دين الجمال والكمال ما يمكن أن يسد رمق الجائعين وحاجات المحتاجين في بلاد المسلمين وخارج بلاد المسلمين.

إن هذا التوجه إلى التكوين المهني الحرفي وتعليم خريجي الكلية صناعة وحرفة تجعل أيديهم عُليا ولا تجعلهم يتكففون ويسألون الناس، هو منهج قويم سليم ينبغي علينا أن ندعمه ونطوره ونستفيد بالمستجد فيه لدى الأشقاء في كل العالم الإسلامي، والنجاحات كثيرة والحمد لله.

أمر آخر يتعلق بالمؤتمرات والندوات والحوارات وحلقات النقاش التي تدعو إليها الجمعية مشكورة وتعميم أعمالها بعد ذلك منشورة بلغات متعددة، أدعو إلى دعمه، لأن مشكلتنا اليوم هي أننا نوجه خطابنا في أغلبه إلى أنفسنا وإلى بعضنا البعض ونحن مقتنعون بإسلامنا.

---

20 ـ رواه الدارمي بسند صحيح.

كافة أحمرهم وأسودهم، وبعث الأنبياء من قبلي لأقوامهم خاصة».

«عن أبي صالح قال: كان النبي ﷺ يناديهم «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»[21]. يكرر النبي ﷺ حقيقة كونه رحمة عالمية حتى تبلغ هذه الحقيقة بالتكرار إلى العموم بالإلحاح فتنغرس في وعيهم (كان.....)، ويخاطب بها العالمين لا قومه فقط (يا أيها الناس)، ويعبر بالمصدر لا بالصفة (رحمة) للإطلاق والمبالغة، ويعلنها بدون مقابل، مجاناً لوجه الله لا يريد بها جزاءً ولا شكوراً، ولا يطلب مقابلاً لها على عظمها نعمة (مهداة)، ويستعمل أداة الحصر ليبين أنها رحمة خالصة لا منغص لها ولا شائبة تشوبها (إنما) ويعلن بها، يدلل عليها، ينادي بها (يا أيها): ست حقائق عظيمة تجتمع في عبارة موجزة بليغة كي لا يتسرب لورثة رسالته من بعده أي شبهة احتكار أو علو أو إقصاء، ولا يتشكك عموم المخاطبين بهذه الرسالة بأنهم مثلهم مثل من سبقهم إلى الإسلام، أحق بهذه الرحمة وأهلها. إلحاح وتعميم وإطلاق وإهداء وخلوص وإعلان: هذه هي الرحمة المحمدية مبذولة لكل طالب حق وخيراً.

لا يقف الأمر عند الدعوى، وحاشاه ﷺ من ذلك، فقد كان حقا رحمة مهداة للقريب والبعيد، والبر والفاجر، والكبير والصغير، والمرأة والرجل، والكافر والمؤمن.

أ ـ ها هو يرحم حتى في الرحمة ! فالعبادة وهي رحمة بذاتها كان يراعي فيها أحوال الضعاف، يسرع في صلاته وقد أحس بدخول ناس خلفه: «عن أنس (رضه) قال: كان رسول الله (ص) يصلي في رمضان (...) فلما حس أنا خلفه جعل يتجوز في الصلاة. ثم دخل رحله فصلى صلاة لا يصليها عندنا (...) قلنا له حين أصبحنا أفطنت لنا الليلة؟ فقال: نعم، ذاك الذي حملني على الذي صنعت (...) فأخذ يواصل رسول الله ﷺ في آخر الشهر، فاخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال (...) ما بال رجال يواصلون؟ إنكم لستم مثلي»[22].

ويحاذر في التكليف بما لا يطاق حتى في الأمر اليسير والضروري: «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لولا أن أشق على (...) أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» [23].

ويراعي للأم، فيصرفه ذلك عن لذة المناجاة السابحة في الزمن: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به» [24].

يفعل ذلك ﷺ ويأمر به ردعاً للمتنطعين، وصدا لتلبيس إبليس يدخل على الصالحين من باب التشديد على الناس: «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير فإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[25]. فلا غرو أن ينقذ أمته برحمته من مهلك الرهبانية، بالموقف الرحيم الحازم من الثلاثة المتنطعين الذين كادوا بحسن نية أن يفتحوا على المسلمين طريق المزايدة الخاسرة التي فتحها الرهبان من قبلهم:

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [سورة الحديد: الآية 27]

وذلك حين اتفقوا أن يحرموا على أنفسهم بعض الحلال ويوجبوا عليها بعض المستحبات. فكان جواب الرحمة القاطع، بعد أن عدد أشكال اليسر في الطاعات «ومن رغب عن سنتي فليس مني»!

ب ـ وها هو ﷺ النابت في بيئة قاحلة العواطف قحولة الأرض، يترك ديدن قومه الذي عبر عنه الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهمو

أني لريب الدهر لا أتضعضع

---

21 ـ رواه الدارمي بسند مرسل صحيح.

22 ـ البخاري، الترمذي، أحمد والدارمي.

23 ـ البخاري، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن مَاجَه، أحد ومالك.

24 ـ الترمذي، ابن ماجة، واحمد

25 ـ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، وأحمد بسند صحيح.

فيصرح بضعفه، ويكشف عطفه وعاطفته، مثل رحمته بالأطفال. يسمع حديث الوأد، فيبكي بكاء الثكلى: «عن الوضين أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله (...) كانت عندي ابنة لي فلما أجابت (...) فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول يا أبتاه. فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل من الجلساء (...) أحزنت رسول الله ﷺ. فقال له كف، فإنه يسأل عما أهمه. ثم قال له: أعد علي حديثك. فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته ثم قال له: «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك»[26].

ويحمي حقوق الوليد حتى ولو كان من علاقة آثمة: «عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاءته امرأة من غامد. فقالت يا نبي الله: إني قد زنيت وأنا أريد أن تطهرني، فقال لها (...) ارجعي. فلما أن كان من الغد أتته أيضاً (...) فقال لها (...) ارجعي. فلما أن كان من الغد أتته أيضاً (...) فقال لها (...) ارجعي حتى تلدي. فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله (...) قال فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه. فلما فطمته جاءت بالصبي في يده كسرة خبز». آنذاك فقط أقام عليها الحد، ونهى خالد بن الوليد عن سبها، وشهد لها بقبول توبتها: «لا تسبها فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له. فأمر بها فصلى عليها ودفنت»[27]. بل ويبكي بكاء مريراً لمشهد احتضار طفل: «فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل (...) فبكى رسول الله ﷺ فقال سعد بن عبادة أتبكي؟ فقال «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» [28].

ويرفق بطفل أن يزعجه في لعبه، حتى ولو كان ملعبه ظهر رسول الله ﷺ! «قال الناس يا رسول الله: إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة اطلتها حتى ظننا انه قد حدث أمر أو انه يوحى إليك». قال: «كل

26 ـ الدارمي بسند مرسل حسن.

27 ـ مسلم، أبو داود، الدارمي بسند حسن.

28 ـ مسلم، النسائي، أبو داود واحمد.

آن الأوان أن نخاطب غيرنا بقناعاتنا وبحقائقنا، وأن نتعلم ونعلم لغات غيرنا، ومد الجسور، جسور التلاقي معهم، وإنني من هذا المنبر أدعو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى التعجيل والمسارعة بإنشاء فضائية أو أكثر ليس باللغة العربية وإنما باللغات الحية ولغات الشعوب الإسلامية، لأن من يرى اليوم من يدير جهازه في بيته ليلاً أو نهاراً يرى هذه الفضائيات المتعددة المتنوعة بلغات العالم الإسلامي وباللغات الحية التي من حقها أن تنشر عقائدها وأديانها، ولو أن الأمر وقف عند ذلك الحد لقبلناه ولكنه يدخل في جزئيات ديننا ليشككنا في عقائدنا، فالحملة في ساحتنا وفي ربوعنا موجهة لأبنائنا ولبناتنا وعائلاتنا، ولست في حاجة إلى أن أذكر أسماء هذه الفضائيات ولا برامجها، فبرامجها اليوم حول الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني والمختلف من الحديث وغير ذلك من المسائل التي لربما عامة المسلمين ـ فضلا عن بعض خواصهم ـ لا يفقهونها، فإذا بها اليوم هي التي تناقش وتشكك في الإسلام لينجلي لهذه الفضائيات وأصحابها المجال فينتشرون بين صفوف المسلمين. إن إنشاء فضائية بل فضائيات تتكلم بلغات الشعوب الإسلامية وباللغات الحية يعتبر أولوية لا اعتقد بأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية غير قادرة عليها، وهي التي قد تعممت اليوم نشاطاتها وتعددت وأثبتت قدرتها على التجديد وعلى الإبداع، ولا أعتقد بأن أملاً من هذه الآمال عاجزة عليها.

أمر ثان يتعلق بعمل الجمعية في المجال العلمي والفكري، وهنا أقول إن الطرف المقابل أيضا يعمل بلا هوادة ليلاً نهاراً وبعد أن أصدر الموسوعة الإسلامية ها هو ذا يصدر موسوعة قرآنية وقد صدر الجزء الأول أو الثاني منها، بحسب دعوة القائمين عليها فإن ما عند المسلمين من علوم القرآن سطحي عاطفي لا يرقى إلى الدرجة العلمية المرجوة، ولأجل ذلك لا بد من توفير البديل وقد وفروا البديل حسب تلك النزعات والشبهات، أين المسلمون؟ هل اطلعوا على ذلك ؟ هل واكبوه؟ أقول وأعلن إننا في حاجة ماسة، وجمعية الدعوة مؤهلة بمكاتبها وبدعاتها والمتعاونين معها وبمؤتمراتها العامة ؛ مؤهلة كي تكون لها نقاط التقاط وفرسان في الميدان يلتقطون لها ويتابعون كل صغيرة وكبيرة مما يتعلق بالإسلام وثقافته وحضارته، حتى يتبنى الجيد والمفيد ويرد على كل ما فيه شبهة.

ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته» [29]. سواء أكان الطفل ذكرا أو أنثى، فلا تمييز في الرحمة بينهما كما يفعل أهل الجاهلية القديمة والحديثة: «عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ خرج يصلي وقد حمل على عنقه امامة بنت زينب إذا ركع وضعها وإذا قام حملها»[30].

ت ـ وها هي رحمته ﷺ تجاوز الطائعين من الكبار والأبرياء إلى المذنبين: يتجاوز عن الحد في الفاحشة القبيحة لأن الفاعل معاق ! «أتى بامراة قد زنت. فقال: ممن؟ قالت: من المقعد الذي في حائط سعد. فأرسل إليه فاتي به محمولا فوضع بين يديه، فاعترف. فدعا رسول الله ﷺ بإثكال (عذق النخلة) فضربه ورحمه لزمانته وخفف عنه»[31].

بل إنه لا يحول جزاء الذنب من العقوبة إلى المساعدة الاجتماعية لأن الفاعل معدم! بل ويضاحكه: «...إذ جاءه رجل، فقال يا رسول الله هلكت. قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال لا فقال تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر (...) قال: أين السائل؟ فقال أنا قال: خذها فتصدق بها. فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها (...) أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك» [32].

ث ـ بل إن رحمته تجاوز المؤمنين طائعين وعصاة، إلى غير المسلمين. تجوع قريش سنة ممحلة في عز صراعها مع الرسول ﷺ، فيرسل إليها طعاما يكفي فقراءها. ويؤذيه أهل الطائف حين لجأ إليهم عام الحزن شر أذية، فينزل جبريل بالأمر«السلام يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين». فيجيب، «كلا فإني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحده !». يوصي عند موته بالذمي خيراً، ويشدد النكير على مؤذيه «من آذى لي ذمياً فقد برئت منه ذمة الله ورسوله». ينكر قتل الصبيان والنساء، حتى ولو كان الرجال من ذويهم حاملين السلاح مقبيلن على استئصال خضراء المسلمين: «حدثني نافع أن عبد الله أخبره أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان[33].

ج ـ وها هي رحمته ﷺ، بعد أن شملت الناس جميعا، تجاوزهم إلى الحيوان: يمسح على جمل مظلوم جاء يشكو له: «فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه (...) فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه. فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه فسكن. فقال: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. فقال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله؟ إنه شكا إلي انك تجيعه وتدئبه» [34]. ويعتبر نحر ناقة، رغم أنه مباح شرعا، معصية! لأنه جاء في سياق نكران الجميل: «فقد اسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء (...) فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل (...) وناقة منوقة فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت (...) ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة رآها الناس(...) فذكروا ذلك له فقال: سبحان الله بئسما جزتها. نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها. لا وفاء لنذر في معصية» [35]. ويأمر برد بيض طائر فزع لذلك: «عن عبد الرحمان بن عبد الله عن أبيه

---

29 ـ النسائي بسند صحيح.

30 ـ الدارمي بسند صحيح.

31 ـ النسائي بسند صحيح.

32 ـ مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه واحمد.

33 ـ أحمد بسند صحيح.

34 ـ مسلم، أبو داود، ابن ماجه والدارمي بسند صحيح.

35 ـ النسائي، أحمد والدارمي.

قال: نزل رسول الله ﷺ منزلاً فانطلق إنسان إلى غيضة فاخرج منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله ورؤوس أصحابه فقال أيكم فجع هذه؟ فقال رجل من القوم: أنا أصبت لها بيضاً. قال رسول الله ﷺ اردده (...) رحمة لها[36].

هذه رحمة مهداة، يدعو لها صاحبها، يعرف بها ويمارسها، ينطق عنها وينطلق منها. ثم لا يكتفي بذلك، بل يدعو لها ويعلمها::عن أبي هريرة قال: قام اعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس. فقال لهم رسول الله ﷺ: دعوه، فاهريقوا على بوله ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[37].

لقد شهد له بهذه الرحمة خالقه الذي صنعه على عينه ورباه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: الآية 4]

ورحمة بهذه الرحمة، وقاسمه اسمين عظيمين من اسمائه الحسنى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة التوبة: الآية 128]

لقد كان الرسول ﷺ رحيماً حتى أشفق رب العزة عليه من إهلاك نفسه رحمة بالناس خوفاً عليهم من الكفر والعذاب:

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [سورة فاطر: الآية 8]

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية 3]

36ـ أحمد بسند صحيح.

37ـ البخاري، الترمذي، النسائي، أبوال داود وابن ماجه بسند صحيح.

دونالد ريفس

منظمة روح أوروبا:

شكل جديد للحوار في سياق هذا الوضع القاتم

في ما يتعلق بالحوار والتعارف، فقد جمعتنا بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ملتقيات بروكسل وويلز وتحدثنا عن التعارف (لتعارفوا) وربما أنا الشخص الوحيد هنا يمكن أن يشير إلى أن هناك طرحا للإسلام على أساس أنه شيطان كما يطرح في العالم، قد يتفاقم هذا الطرح الخطير، وهذا الوضع لن يختفي قريباً لأنه ليست هناك إرادة سياسية في الغرب للتحرك لمواجهة هذا الوضع، والمشكلة عويصة فعلاً، في الغرب هناك معلقون ومحللون وأشخاص يقدمون خطابات ويكتبون كتباً ويتعلمون شأن الآخرين، لكن الإرادة السياسية والاجتماعية لإزالة هذا التوجه غير موجودة، وسيستمر هذا الطابع المشين عن الإسلام لعدم وجود هذه الرغبة، فالحوار ذاته غير موجود بمعناه الحقيقي، لأنه ينبغي أن نضعه في سياقه أكثر مما هو عليه الحال، ولا نكتفي فقط بعبارات فضفاضة عن محبتنا لبعضنا البعض لأن ذلك غير مجد، ليس غير مجد فحسب ولكنه قد يحبطنا، لذلك لا بد من شكل جديد للحوار في سياق هذا الوضع القاتم، وإنني ممتن كثيرا على دعم عملنا وأريد أن أضيف شيئاً آخر وأود أن أتوجه للسياسيين الأوربيين والمسئولين الدينيين الأوربيين أقول ما يلي: إنه من الرائع بأن أوروبا وهي من بين المناطق الأغنى في العالم، ومن العجيب ألا تجد المال الكافي لدعم الحوار وإدماج المسلمين، ونحن لا بد من أن نساعد على القيام بهذا العمل، لأنه عار على أوروبا وعلى الغرب.. لماذا؟ لأن أوروبا في الحقيقة قد غزتها روح الربحية والأعمال، وبالتالي حين نريد أن نستعمل كلمات كمدخلات مخرجات أصحاب أسهم.. كل هذه العبارات غير المناسبة والتي لا تتناسب مع عمل الحوار ومع إرادة المصارحة، ولأن هذه الثقافة ثقافة الأطلنطي هي التي جعلت عملنا يكاد يكون مستحيلاً، لذلك لا بد من أن نبني في منطقة البحر الأبيض المتوسط الثقافة التي تقدر الحوار والتعارف، إنه من العار ألا يسعى الغرب لإزالة ذلك الطابع التشويهي للإسلام، وأن نأتي إلى طرابلس حتى نتمكن من ذلك العمل، لذلك أنا ممتن كثيراً لإتاحة هذه الفرصة.



أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية :

حضور عالمي وإنساني يجسد التراحم



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لا بد أن أذكر نفسي وإياكم بالمسؤولية الملقاة علينا جميعاً من أجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والعمل الصالح، وهي مسؤوليات وضحها القرآن الكريم، وعاشها رسول الله ﷺ مع صحبه، وكانت مدرسة الرسول هي مدرسة الدعوة والدعاة، لينتقل الناس من الجهل إلى العلم ومن الظلام إلى النور ومن الظلم إلى الحق ومن العدوان إلى السلام. الدعوة تتناول كل مناحي الحياة، والدين الإسلامي الذي كان رسوله كما قال القرآن:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

هو دين يحقق كل هذه الأهداف للناس جميعاً .. فهو ليس دين فئة خاصة أو مجموعة خاصة أو لون خاص، وبالتالي فإن الحضور الإسلامي - خاصة في مجال الدعوة - هو حضور عالمي منذ بدايته، وهو حضور إنساني لأنه يتناول الإنسان ثم هو يهتم بالاستقرار والسلام والتعايش بين الناس والأقوام والمجتمعات، وبالتالي فإن حضور أهل الدعوة هو

حضور مسؤول، بمعنى أن الداعية ينظر للصورة العامة وليس للأمور الجزئية الوقتية والمكانية، هو ينظر لما فيه الخير بمعناه الواسع الذي يشمل جميع الناس، والذي يتحرك فيه مع الناس من أجل هذا الخير، بحيث ينال الناس جميعاً هذا الخير في زمانهم وفي الأزمنة القادمة وفي مكانهم وفي الأماكن الأخرى.

وبهذا المعنى فإن عمل الدعوة فيه الخير للناس، ونحن في عالم أصبح صغيراً في هذا العصر، ونطالب الناس بكل اللغات ومن كل الثقافات أن يعيشوا في سلام مع بعضهم بعضاً ..أهل السلام وأهل العيش المشترك هم أهل الدعوة الإسلامية إذا ما عرفوها وفهموها حق فهمها.

الداعية لا بد أن يأخذ على نفسه بأنه محاسَبٌ على كل صغيرة وكبيرة يقولها أو يفعلها، وبالتالي لا بد أن يزنها بميزان التقوى وبميزان القرآن وبميزان سنة رسول الله ﷺ، وأن يتأسى فيها بما كان يقوم بها الداعية الأول محمد بن عبد الله ﷺ، ليس هناك انفلات في الدعوة، هي تلك التي ترد له حقه الشخصي الذاتي، الأناني أحياناً، وتغضب مجموعة من الناس، وتظلم مجموعة من الناس، فقد ترى بالضعف الإنساني بأن الدعوة هي ذلك الأسلوب أو ذلك العمل أو ذلك القول الذي يرد إليها حقها أو يدفع عنها ما جاء به المعتدون عليها.

ولكن الرسول ﷺ عاش كل هذه الظروف وتصرف كداعية أول أرسله الله سبحانه وتعالى ليكون رحمة للعالمين، ورأينا كيف أنه كان دائماً يفصل بين ما هو ذاتي وما هو عام، وما فيه خير الناس جميعاً وما فيه خير فئة خاصة من الناس . ومن مزالق الدعوة في حياتنا المعاصرة أننا دخلنا على تفاسير كثيرة في الفرعيات وفي فرعيات الفرعيات .. ولُويت أعناق كثير من مقولات التراث الإسلامي، وزينت به أقوال وأعمال أدت بالمسلمين إلى هذا التردي الذي نراه .

نعم نحن كافة تكالب علينا الناس من كل جانب، وقد تكون اعتدت علينا الأمم أحياناً، وتعرفون

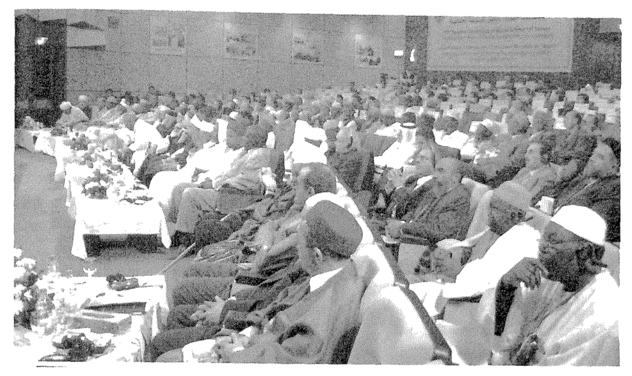
الشيخ الله شكر باش زادة
مفتي أذربيجان ورئيس الإدارة الدينية بها:

تلبية احتياجات المسلمين وتنميتهم

إنني أتشرف بأن أسجل ببالغ الامتنان بأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية اكتسبت شهرة واحتراماً كبيرين في منطقة القوقاز وخاصة في أذربيجان، لدعوتها للقيم الإسلامية، ونشاطها المتواصل في هذا المجال، وذلك حقيقة، إلا أن هناك منظمات وهيئات دينية من مختلف دول العالم تعمل للتدخل في الحياة الدينية لمسلمي القوقاز، والهدف الحقيقي لجميع تلك المنظمات والهيئات ليس الدعوة الدينية البحتة، فهي لا تقوم بنشاط نزيه لخير الإنسان، حيث إن نشاط البعض منها هو الدعوة لأيديولوجية فكرية، والتدخل في معنويات الناس وخدمة مصالح الدول التي تمثلها. والمسلمون في القوقاز يفهمون كل هذا فهماً جيداً، ولذلك يقدرون عالياً نشاط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، حيث إنها تنظم نشاطها وفق ديننا الحنيف الإسلام، وتخدم قضية رقي الشعب الأذربيجاني كجزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية.

وأسجل هنا أن الجماهيرية بنشاطها النزيه في أذربيجان سجلت مثالاً رائعاً للتضامن الإسلامي الحقيقي والأخوة والوحدة، حيث تساهم من طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في تقديم المساعدات المادية والمعنوية المتواصلة للأذربيجانيين، وبالتالي تنير في قلوبهم شعلة الأمل والثقة في المستقبل.

إن الزمن يثير مشاكل جديدة ويضع أمامنا مطالب ومهام جديدة، وهو ما يجعل مؤتمرنا أكثر أهمية، وذلك لما يتيحه من فرص تسمح لنا بأن نتوصل إلى نتائج واضحة ومحددة من خلال المناقشات المستفيضة، وأن نرسم أهدافاً واتجاهات رئيسية لنشاطنا المشترك، النشاط الذي سيخدم تطور الإسلام وتعزيزه وتلبية الاحتياجات المعنوية لملايين المسلمين وتنميتهم تنمية شاملة، وبهذه المناسبة أريد أن أسجل الأهمية البالغة التي اكتسبتها الندوة التي أقامتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قبل عدة سنوات في عاصمة أذربيجان في مدينة (باكو)، ففي رأيي أنه من المناسب أن نواصل هذا التقليد الجيد وأن نجري حواراتنا الأخوية القادمة مجدداً في مدينة باكو التي هي مركز إقليم



الاستعمار والهيمنة والاحتكارات وغيرها، ولكن لا بد أن نعرف أن هناك أدواء من أنفسنا .. هناك جهل بديننا، هناك عدم معرفة بأساليب العمل الدعوي التي أرادها الله لنا وقام بها رسول الله ﷺ. لا بد أن نكون أكبر من الأحداث الصغيرة وأكبر من الصغائر وأكبر من الأساليب الوقتية والأساليب المكانية الضيقة .. لا بد أن نرتفع إلى مستوى هذا الدين الذي أراده الله للناس جميعاً، وفي كل زمان ومكان ..

أنا لا أريد أن أتحدث كواعظ هنا وآتي بالأمثلة التي أسمعها من كثير من الدعاة الذين يواجهون بعض الأفكار الضيقة في أماكن مختلفة .. ولكن أود أن أشير إلى أننا نعيش عصراً قد تقدم فيه العلم، و تقدمت فيه الاتصالات، ونجد أناساً يردوننا بنظرة ضيقة إلى معلومات أصبحت لا يؤبه بها، ولا يرضي بها الطفل الصغير من أبنائنا في السنة الأولى من المدرسة الابتدائية، بمعني آخر أننا لا نعيش عصره .. وإذا كان المواطن العادي فكر هذا التفكير فقد لا يلام، ولكن الدعاة الذين يقومون بالدعوة إلى الله وبالدعوة إلى هذا الدين العظيم وإلى هذه الحضارة الإسلامية العظيمة يلامون أشد اللوم إذا ما قصروا في فهم مقاصد هذا الدين وأهداف هذه الدعوة وتوجيهات رسول الله ﷺ وتوجيهاته ..

لا بد لنا في إطار الدعوة الإسلامية من أن نخرج من هذا الضيق، ومن هذا التشاؤم، ومن هذا التخلف، ومن هذه الأمراض النفسية، ومن هذا العجز في الفهم والعجز في النظر إلى الأمام والنظر في الأمور بطريقة علمية فاحصة.

القرآن يطالبنا باستمرار ومن بداية الدعوة بهذا الموقف، ونجد أنفسنا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً ما زلنا نتوجه توجهات عفا عليها الزمن وشجبها القرآن وشجبتها سنة رسول الله ﷺ.

إخوتي في الأقليات الإسلامية يعرفون - مثلاً - أنه أحيانا يأتي إمام من قرية صغيرة لم يتيسر له الشيء الكثير من المعرفة، ويريد للعالم أجمع من مناطقه المتخلفة وحتى المتقدمة أن يعيش وفقاً لعادات وتقاليد تلك القرية الصغيرة، ونحن لا نحط من شأن عادات اجتماعية في قرية من قرى المسلمين، ولكن لا نطالب كل العالم بأن يلبس ملابس تلك القرية، وأن يتصرف تصرفات تلك القرية .. خاصة إذا كان هذا الأمر في فروع وفروع للفروع، ونترك قضايانا الرئيسية، ونترك الفهم، ونترك استخدام العقل،

ونترك العلم، ونترك العمل، ونترك الأمانة، ونترك الحق، ونترك الصدق !! لو قمنا بذلك ..

لو قمنا بالتواصي بالصدق بيننا وبين العالم جميعاً لتقدم العالم وانتشر السلام .. نحن نحتاج إلى الصدق فيما بيننا، والصدق في أقوالنا، والصدق في أفعالنا، والصدق في تبليغ ما نريد أن نبلغه للناس من قيم أخلاقية عالية، والصدق في هذا الأمر هو الذي يوافق الأقوال والأفعال والنيات .

لو فعلنا هذا مع أنفسنا وفعلنا هذا مع العالم لقدمنا الخير الكثير للعالم، ونحن نرى ظلماً كبيراً في شأن القول والعمل في العالم . هذا العالم ليس فيه صدق حقيقي بالنسبة للناس جميعاً، وعندما نتواصى مع الناس جميعاً علينا أن نكون جميعاً صادقين، دولا ومؤسسات ثقافية، عندما يكون الجميع صادقين، وعندما نقترب كثيراً من المثل الأعلى للصدق، والرسول ﷺ كان دائماً يلقب .. بماذا؟ بالصادق الأمين .

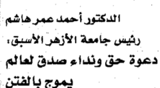
وسوف نؤدي خدمة كبيرة جداً لأنفسنا كمسلمين وللعالم الذي يحتاج للصدق، أناس ينادون بالسلام ويقومون بالعدوان، أناس ينادون بحقوق الإنسان ويعذبون الإنسان، ينادون بالسلام ويقومون بالعدوان، أناس ينادون بالتنمية والتقدم الاقتصادي ويسلبون الملايين من المستضعفين قوتَ يومهم، أناس ينادون بالقيم الدينية والخلقية ويخالفون كل تلك القيم الدينية والخلقية، الصدق أمر نحتاج إليه حقاً، وندعو إليه، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتحقق في العالم أجمع وفي دنيانا .

في كلمتي هذه لا يمكن أن أعيد عليكم كل تلك المعاني العظيمة التي جرت مناقشتها في هذا الاجتماع الطيب الكبير، ولكنني أقول لكم بأنني أشعر بالراحة والاعتزاز أن هذا الذي جرى في هذا المؤتمر هو أمر مفتوح، حيث النقاش والحوار ينقل مباشرة إلى كل مكان عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وكأننا نجلس في فضاء عالمي نتحدث فيه، ليس لأنفسنا في مكان مغلق، ولكن نتحدث ونحن القوقاز كله. إنني أقدر عالياً النشاط الصائب الذي يرضي خالقنا لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأتمنى لها كل النجاح والتوفيق في أعمالها الجديدة في هذا الاتجاه، فلتكن روح الرضى والتفاهم المشترك التي تسود مؤتمرنا حكماً على قلب كل مسلم، وتتحول إلى واقع في حياتنا اليومية ولنجد نتائجها في أعمالنا الخيرة. لقد أمرنا خالقنا بالعمل قال تعالى:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: الآية 105]







الدكتور أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر الأسبق:
دعوة حق ونداء صدق لعالم يموج بالفتن

نتوجه بالشكر إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على هذه الجهود التي تذكر فتشكر في خدمة الإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض، وإذا كان علماء البلاغة يعرفونها بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال فإن هذا المؤتمر هو عين البلاغة، فقد جاء في توقيت مهم وحمل موضوعاً له أثره وثقله وأهميته، وهذه الجهود المبذولة لهذه الجمعية العالمية، وهذه الإنجازات الإسلامية التي نراها رأي العين ونلمسها في دول عديدة، تدل على باعث هذه النهضة الإسلامية ومفجر هذه الطاقات الحيوية قائد ثورة الفاتح الأخ القائد معمر القذافي الذي نبعث له تحية تقدير وإجلال ومحبة.

وحينما نطالع لوحة المؤتمر نجدها حاملة خطاباً ربانياً لخاتم الأنبياء والمرسلين في آية تقصر رسالته وتخصها بالرحمة، وفي هذا الشعار وفي هذه الآية وفي هذه الدعوة الربانية التي توضح لنا رسالة رسولنا ﷺ، وأن الإسلام هو الرحمة للعالمين للمؤمنين وغير المؤمنين للطائعين وغير الطائعين، حتى إن الله رفع عن هذه الأمة عذاب الاستئصال، وفيها نبيه ﷺ:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: الآية 33]

إنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة والرسالة التي جاء بها رحمة للعالمين، تحمل السلام العالمي والتعايش السلمي، جاءت بعد فترة من الرسل تخبط الناس خلالها في دياجير الظلام، وتسلطت عروش ظالمة



ننظر وينظر إلينا العالم أجمع، وبالتالي هو حديث المسئوولين، حديث الناس الذين يريدون أن يبنوا ويريدون السلام ويريدون الخير ويريدون الحق للناس جميعاً، ويستطيع أي منا أن يذهب في أي منطقة من العالم وهو ذاهب عبر أي مطار من المطارات أن يدخل على شبكة المعلومات ويرى نفسه يتكلم ويرى أي شيء يريده، وأنتم تعرفون هذه التقنية التي أصبحت في متناول حتى الأطفال في المدارس الابتدائية، ولكنها تؤكد لنا أمراً مهماً وهو أن الدعوة الإسلامية التي خرج بها رسول الله ﷺ للناس جميعاً وحدّثَ بها الناس جميعاً من بدايتها هي أمر يكون تحت الشمس وللناس جميعاً وليس فيه خفاء وليس فيه أمر يخجل منه الناس، لأنه أمر يفخر به، وفيه الخير للناس جميعاً، لأننا نريد أن نعبد الله سبحانه وتعالى، وأن نعيش مع بعضنا في هذا العالم على طريق المساواة والعدل والحق والسلام والخير.

أحييكم على الروح المفتوحة والنقدية للمناقشات، والشفافية في تقديم المقترحات وفي النقد الذاتي، وهذا شيء عظيم تفخر به ونريده أن يتطور ويتطور أكثر إلى الأمام .

إنني سعيد جداً أن أذكر هنا بأننا نحن في مؤتمرنا السابع بعد حوالى ثلاثة عقود من تأسيس هذه الجمعية، ولابد أن نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفق لإنشاء هذه الجمعية، وأن نحيي وأن نشكر الأخ القائد معمر القذافي الذي كان له الفضل في تأسيس هذه الجمعية، ونحيي آلاف الدعاة وآلاف الأعضاء لمؤسساتكم وجمعياتكم الذين نفخر بهم حقاً لأنهم يعملون بجد ليكونوا على مستوى الدعوة الإسلامية كما أرادها الله، دعوة مفتوحة، دعوة تهتم بالخير العام للناس جميعاً، تهتم بشؤون الأمة الإسلامية، تهتم بشؤون المفكرين والمثقفين والعلماء والطلاب والمدرسين، والذين يعملون من أجل الإغاثة ومن أجل علاج الناس ومن أجل مساعدة اللاجئين، وهؤلاء جميعاً احتسبوا هذا الأمر عند الله، ولم تكن آفاقهم ضيقة، ولم يعتدوا على أحد من الناس، وكانوا عوناً للناس جميعاً، وتعلّموا أكثر من الناس جميعاً، ولعل كليات الدعوة الإسلامية، سواء منها التي هي في إطار كلية جمعية الدعوة الإسلامية وفروعها أو الجامعات الإسلامية وكليات الدعوة الإسلامية التي أنشاها العديد منكم والتي نفخر بأنكم تقودونها على الطريق

السوي وتعملون من أجل أن تثبتوا من خلالها البناء الصحيح للفكر، والدعاة يلتزمون بدينهم ويلتزمون بأمتهم ويلتزمون بالمواطنين من حولهم ويلتزمون بخير الناس الذين يحتاجون للعون والمساعدة في أي منطقة من مناطق العالم، سواء كانت في العالم الإسلامي أو ما يسمى بأرض المهجر وبالأقليات الإسلامية، لأن الدعوة الإسلامية تتناول الكون بأسره، حتى منذ بداية الدعوة الإسلامية التي جاء بها الرسول الله ﷺ ..

نحن نحتاج إليكم دائما، وأمتكم الإسلامية تحتاج إليكم، والعالم الإسلامي يحتاج إلى جهدكم وإلى عملكم، إلى هذه الروح الحقيقية، وهى روح تدفع عن الإسلام تهم التعصب وضيق الأفق والعنف، لأنها هي روح الخير، روح التسامح، وروح الجدية، لأننا نحن عندما نكون دعاة نعمل في سبيل الله فاننا دائما نزن الأمور بميزان القرآن وبميزان سنة رسول ﷺ، واستخدام العقل الذي قدره القرآن، والذي طلب منا جميعا أن نحتكم - بعد القرآن وبعد سنته - لنظرته ولرؤيته، ولنعرف الواقع، ولنعرف الزمان، ولنعرف شؤون الناس، ولنعرف كيف نصل بالجميع إلى شاطئ الأمان .

نشعر وبكل صدق - وأنا أتحدث عن الصدق - بأننا جزء من أهل الخير في هذا العالم، هناك خيرون كثيرون من أهل ديانات وثقافات ومناطق أخرى شاركنا معهم في مؤ تمراتهم ورأينا كيف أنهم يرغبون الخير للناس جميعاً ومن أجل رد الظلم عن الناس جميعاً، ومن أجل إحقاق الحق للناس جميعاً ..

كل هذا العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله فإنه لن ينال التوفيق، ولن يكون مفيداً لأي منا، ولن يكون مفيداً لأي من الناس .

لذلك فإنني في الختام أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وما فيه خير الناس جميعاً .. وفقكم الله ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

متسلطة، وانتشرت الجهالة وساد قانون الغاب، فجاء ليُعلم الناس وينقذهم من الجهالة وليهديهم من الضلالة وليخرجهم من الظلمات إلى النور. هذه هي رسالة رسولنا ﷺ، رسالة الإسلام الذي فهمه من فهمه خطأ وظنوا واتهموا أن الإسلام دين تشدد ودين عنف، وما كان الإسلام إلا دين رحمة للعالمين، ولو سادت تعاليمه الأرض ونفوس الناس لسكنت الحروب وسكتت الكروب وانتشر الأمان في هذا العالم المفزع، لقد جاء حاملاً دستوراً سماوياً:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت: الآية 42]

جاء حاملا قوانين السعادة للبشر دنيا وآخرة.

ويأتي هذا المؤتمر اليوم وسط هذه العواصف وبين تلك التحديات ليجمع هذه الكوكبة المشرقة وهذه الوجوه المضيئة وشوامخ رجال العلم والفكر والقلم ليمثلوا اليوم إجماعاً عالمياً على أن دينهم الإسلام جاء رحمة للعالمين، لا يقبل أبدا العدوان ولا الإرهاب، وإنما دعوته قامت بالمنهاج الرباني

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

[سورة النحل: الآية 125]

لا يرضى العدوان ولا الإرهاب حتى في القتال

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾

[سورة البقرة: الآية 190]

ومع غير المسلمين

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية 8]

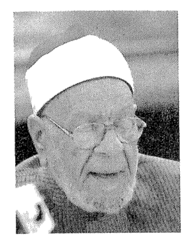
حتى مع المشركين

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [سورة التوبة: الآية 6]

اروني بالله عليكم توجيهات ونظريات وقوانين بلغت هذه القمة التي بلغها الإسلام وهو يحدب على أولئك ويرفق بأولئك الذين ليسوا على عقيدته إلا من ظلم معاهدا، انظروا رسولنا ﷺ يقول إلا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس أو كلفه مالا طاقة له به فأنا حجيجه يوم القيامة، أي قوانين عالمية على ظهر الأرض وأي مواثيق لحقوق الإنسان تحمي حق الإنسان الذي يتبع ديني والذي لا يتبعه، كما قدم الإسلام على يدي أشرف من مشى على الأرض وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

إن هذا المؤتمر دعوة حق ونداء صدق لعالم يموج بالفتن ما ظهر منها وما بطن، وتصطرع فيه التيارات

التصوف.. دعوة وتربية



محمد حسن الشناوي *

الحمد لله رب العالمين الذي جعل رجال الصوفية من صفوته الذين اجتباهم من الأزل، فهم الملتفتون عن جانب الغرور والرياء إلى اليقين الحق والبقاء، فكانوا النجدة عند الشدة، والقوة عند الضعف، والحصون عند الخوف، لأنهم علموا قدر الدنيا والآخرة، فقدموا ما يبقى على ما يفنى، وباعوا ما يزول بما يدوم.

والصلاة والسلام على الفاتح لما أغلق من سر، الخاتم لما سبق من أنوار الرسالة والهداية والبيان.. سيدنا ومولانا محمد ﷺ. اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين.

لقد جاء الإسلام ديناً عالمياً تتسع آفاقه للناس جميعاً، ومن ثم جاءت تعاليمه لتتمثل ما في الناس من قوة وضعف، وفطر وميول، وإمكانيات وطاقات. ولهذا حدثنا القرآن الكريم عن مقامات الدعوة: الإسلام، الإيمان، الإحسان، اليقين، وعن مقام القانتين والعابدين والذاكرين والمحبين والراضين. إنها مقامات في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، وإنها درجات للعاملين من عباده المسلمين، ولكل منها بقدر كفاحه وطاقته واجتهاده، وما قدر له ويسر. ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً - أو الكثرة الغالبة منهم - حاملين لهذه المقامات والدرجات كافة. كانوا فقهاء وعلماء عابدين ومحبين لله ورسوله ومتبتلين في طاعته، وحافظين لأنفاسهم وخواطرهم حفظهم لفرائضهم وسننهم. فلما اتسعت رقعة العالم الإسلامي، وتعددت شعوبه وأممه، وبَعُد ما بينهم وبين الوحي والرسول، ودخلت الدنيا على الناس، وابتدأت الشهوات والنزوات والمطامع والأهواء تلعب دورها وتنحرف بالقلوب عن عقيدتها ؛ قام رجال الصوفية على روح الإسلام وآدابه.

---

* شيخ مشائخ الطرق الصوفية ـ مصر

مدارس الشريعة تحافظ على أركان الإسلام:

نشأت مدارس الحديث في المدينة والعراق، وتكونت مدارس الفقهاء في الحجاز ومصر والشام وبغداد، ثم نبتت مدارس لعلم الكلام بقواعده وأصوله ومناهجه، ومدارس لعلوم التفسير بشرائطها وأصولها وفنونها. وكانت هذه الحركات جميعا مع جلالها حركات علمية فكرية عمادها الفن، وما يهدى إليه الفكر والبحث والجدل والحوار. مدارس مع عظيم نفعها فهي أشبه بمدارس القانون أو الطب أو الهندسة، تضع القواعد على المناهج المقررة، بأسلوبها ومنطقها، ولكن لا يعنيها بعد ذلك الإنسان كقلب وروح وحس ووجدان وعقيدة وعمل وسلوك. ولهذه الغاية العليا نهض رجال التصوف الإسلامي برسالتهم، مستهدفين القلب والروح والوجدان والسلوك الإنساني في طريقه إلى الله تعالى وفي طريقه إلى الحياة.

قاموا للمحافظة على روح العبادة، وجوهر الإسلام، قاموا ليجعلوا من المثاليات العليا معراجاً ربانيا، ومنهاجا إنسانيا، يصنع الإنسان الكامل، ويصوغ المؤمن القوى العزيز الصالح للبقاء وللحياة وللخلافة على الأرض التي أوجده الله عليها ليكون جديرا به سبحانه وتعالى جديرا بما أسبغ عليه من قوى سخرت لها ما في السماوات وما في الأرض.

مدارس التصوف تحافظ على روح الإسلام وآدابه:

وكما اجتهد الفقهاء في الفروع، وكما ابتدع رجال الحديث القواعد للرواة والسند، وكما كون علماء التفسير مناهجهم في البحث عن الذات والصفات الممكنة، والأسباب والمسببات، والقضاء والقدر؛ التي لا أول لها ولا آخر، ولا صلاح لنا إلا بما صلح به سلفنا.. بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وما دام خاتماً للنبيين فلا نبي بعده فكيف تتم رسالته إلى يوم القيامة ؟ وقد أفضى إلى ربه ولحق بالرفيق الأعلى؟ هنا تقوم أمته مقامه تدعو وتأمر وتنهي وتقوم بالرسالة، ومن أجل ذلك كانت هذه الأمة خير أمة، فالأمم السابقة كانت مكلفة بشيء واحد أن تؤمن بالله وبرسولها وأن تطيعه فقط، أما هذه الأمة فإلى جانب ما كانت مكلفة به الأمم السابقة مكلفة هي بشيء زائد وهو أن تقوم برسالة رسولها من بعد أن يلحق بالرفيق الأعلى، ومن هنا كانت خيريتها:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران: الآية 110]

وهذا يملي علينا واجباً كما تملي علينا عالمية ديننا واجبا، إن الذين لم تصلهم دعوة الإسلام أو فهموه خطأ، في أعناقنا نحن العلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية هذه الأمانة وهذه الرسالة، وإن تنكرنا لها أو قصرنا فيها فسيحاسبنا الله قبل أن يحاسب العاصين والكافرين، لأننا لم نبلغ هذه الدعوة، لأننا منحنا خيرية فتزحزحنا عن رسالتنا وخيريتنا، لأن ديننا عالمي فلم نقم بما يجب علينا أن نقوم به من نشر الإسلام في كل الأرض، من هنا كانت أهمية هذا المؤتمر العالمي الذي يجمع شوامخ رجال العلم والفكر والقلم وأنا سعيد كل السعادة بذلك، وأسأل الله التوفيق.



الدكتور فرانسيس لاموند
مؤسسة الإسلام والغرب:

ينبغي أن ننظر نحو المستقبل

أود بإيجاز التعبير عما يختلج في صدري من مشاعر، إنني على رأس منظمة تسمى بـ (الإسلام والغرب) ومقرها في باريس، وهي منظمة أوروبية ودولية في الوقت ذاته، ومنذ 30 سنة تكافح هذه المنظمة

اجتهد علماء التصوف وشيوخُه، وأقاموا معارفهم وعلومهم في العبادات والأخلاق، ومنهاجهم في السلوك، وأمراض القلوب وعلل النفوس، ونوازع الخير والشر، وأنوار الذكر والطاعة، ومقومات الشخصية الإسلامية الكاملة. يقول محيي الدين بن عربي رضي الله عنه وأرضاه : لقد أجمع رجال التصوف جميعاً على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد كتاب الله وشريعة رسول الله وخاتم النبيينﷺ، وإنما هو فهم يعطى في القرآن لرجال الله كما ثبت من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نورا).

وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة، كذلك يحفظ علماء التصوف آدابها وروحها، وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة، واستخراج الحدود والفروع، و الحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص، وترك أمره للاجتهاد والاستنباط، كذلك للصوفية أن يستنبطوا آداباً وأذواقا، ونهجا للمريدين والعابدين.

وكما تعددت طرق الاستنباط عند الفقهاء ومناهج الأخلاق عند الصوفية، وكما تعددت طرق الفقهاء في البحث والاستنباط، وأنواع الأدلة وفنون القياس ؛ تعددت مناهج التصوف في السلوك والمعرفة، والأخلاق والآداب، والأذكار والأوراد، والفتح والكشف وأسرار النفس.

فمدرسة شقت طريقها إلى الله على جناح من الخوف والرهبة، وسلكت سُبُلها في الحياة تمزج بين التربية والتصفية بالفقه والتوحيد، وتجعل مكارم الأخلاق الأساس والجوهر لكل عبادة وطاعة.

ومدرسة أخرى قامت على المحبة الإلهية، ثم ابتدعت في سلوكها إلى الله المقامات والأحوال، وما يترقرق بينهما من معرفة و أموار، ومواجيد، ودعت الناس إلى المحبة والتعاطف والتراحم، وأحالت الكون كله إلى أنشودة من الصفاء والإخاء والبر لكل ذي كبد رطبة.

ومدرسة أخرى قامت على محاسبة النفس وتزكيتها وعصمة الجوارح وتطهيرها، ثم مشت إلى الدقائق والرقائق، فأبدعت أعظم ما عرفت الدنيا من أسرار النفس، وآداب الحس، وملهمات الوجد والشعور، وأصبح لتلك المدرسة أتباعها وأحبابها وروادها. ولقد حمل التصوف راية الإسلام بالمعرفة والسلوك.

فالتصوف الإسلامي على شموله، وتعدد ساحاته، ينحصر في سبيلين وتَيارين : معرفة وسلوك، ولكل أفق من هذين المنهجين رجاله وأئمته. ولقد كان الصدر الأول من الصوفية رجال علم ومعرفة، فلما أسسوا قواعد التصوف، وأناروا سبله، وحددوا أهدافه، ورسموا صوره؛ جاء رجال التربية، وأساتذة السلوك والتوجيه، ومن ثم نشأت هذه الطرق، التي كان لها أكبر الأثر في حياة العالم الإسلامي، والتي كان لها المقام الأول في تشكيل خصائصه الروحية والخلقية، وملامحه الإيمانية والفكرية.

هذه الطرق التي ضمت داخل نطاقها أكبر المجموعات، وأقوى الكتل، التي صمدت عبر القرون والسنين في وجه الغزو الخارجي، والطغيان الداخلي، والانحلال الروحي والمادي.

هذه الطرق التي هيمنت على الجماهير، واحتفظت بإيمانها وأخلاقها، وصانتها وَوَقَتْها من التفكك والانهيار؛ هي التي أصبحت المصابيح المضيئة، والشعل المتوهجة، والمحجة الهادية، والواحة الخصبة الظليلة التي تمنح الأمان والري والحياة والاطمئنان للحيارى والضالين والمتعبين.

هذه الطرق التي نشرت الإسلام، وحملت رايته إلى كل مكان، وكسبت له قلوب الملايين، وأسست دول المرابطين والموحدين، لنجدة الأندلس، ولحماية المغرب العربي من وثبات الأوربيين، وفتكات القراصنة الناهبين.

الطرق الصوفية ما هي إلا جامعات للتربية :

فالطرق الصوفية هي في حقيقتها جامعات كبرى للتربية والتهذيب والتعليم، وإعداد أتباعها إعداداً إيجابيا للنضال والجهاد في سبيل المثل العليا في الحياة فوق رسالتها الأصلية، وهي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وهداية المريدين إلى الصراط المستقيم، وإرشادهم إلى السلوك الموصل إلى رضوان الله سبحانه ومحبته بالذكر والعبادة، وتطهير القلب، وتزكية الجوارح، ومكارم الأخلاق، وخدمة المجتمع، والحب للناس جميعاً.

هذه الجامعات هي بحق أعرق الجامعات التربوية العالمية، وما أحسب أن جامعة من جامعات العلم في القديم والحديث اتسعت آفاقها وبرامجها كما اتسعت آفاق تلك الجامعات الصوفية.

هذه الطرق هي جامعة للقرآن، ومدرسة النبوة، والمعهد العالي الذي ينجب للدنيا الصورة المثالية للإنسان الكامل في دينه ودنياه.

ولقد استطاع التصوف الإسلامي أن ينشر الدعوة الإسلامية، وأن يجعلها عالمية دون سلاح وغزو، فهو الذي حمل نورها وهداها إلى إندونيسيا والفليبين والصين وقلب أفريقيا وغربها وجنوبها، بل وأفريقيا عموما، وهو الذي صمد في وجه التيارات الإلحادية والانحلالية في روسيا، وهو الذي وقف حصنا شامخاً يدفع عن الجماهير الإسلامية وثنية التتار وعصبية

للنهوض بالحوار والاتصال بين الإسلام والغرب. وبهذه الصفة أود أن أعرب عن بعض التحفظات.. إنني ابن للغرب وقد ترعرعت في التقاليد المسيحية، وإنني أعترف بأن الغرب قد عرف فترات من الاضطهاد والاعتداء، ولكن أضيف لأنه لا يكفي أن نذكر بما حدث بل ينبغي كذلك أن نعتبر بأن التاريخ ليس شيئاً ثابتاً لا يتحرك، بل ينبغي أن ننظر نحو المستقبل ، وإننا لن نحضر هنا لكي ندعو إلى ردود الفعل، بل لا بد من أن تكون لنا ذاكرة حية، لكن موقفنا ينبغي أن يكون موقف البناء ما سماه الدكتور الشيخ بالخوجة (النقد الذاتي) وقد دعا العالم الإسلامي إلى أن يقوم بالنقد الذاتي بدوره. نحن هنا نحضر لكي نسعى لإبراز قيم إبراهيمية مشتركة، لكي يصبح الإسلام ليس ديناً متسامحاً معه ولكن ديناً معترفاً به.. بكل قيمه الكونية، وأعتقد أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية محقة في تذكيرها بالقيم العالمية الإسلامية، وأعتقد أن من الصعب أن نتحدث فقط عن ثقافة الإبادة في الغرب، لذلك لا بد من أن نذكر ـ لكي يكون هناك توازن كذلك في الحوار ـ ما قدمه وساهم به الغرب في عدة مجالات، وعلينا أن نجعل إمكانياتنا المشتركة تتقارب ولا ينبغي فقط أن نغذي فكرنا بسلبيات الماضي بل علينا أن نفرض وجودنا في إيجابيات المستقبل، وأن نبني مفهوماً مشتركاً أساسياً في ما بين الإسلام والغرب ألا وهو مفهوم الشيء المقدس، وهذا المفهوم المقدس نجده في كل الديانات السماوية، بل حتى في الديانات الفلسفية الآسيوية، ولكن المفهوم يأخذ في الإسلام بعداً خاصاً، وإن كانت اليهودية تشير إلى القدسية فهذه القدسية نخبوية انتقائية، وإن كانت المسيحية تدعو إلى القدسية فهذه القدسية سأصفها بأنها تتعلق بالمراسم، ولكن الإسلام يدعو إلى القداسة في بعدها العالمي والاجتماعي، وهذه قيمة إبراهيمية أساسية يذكر الإسلام الغرب بها حتى يقوم الإسلام ويقوم الغرب الذي فقد قداسته باللجوء إلى هذه القيمة الإسلامية الأساسية الموجودة في المفهوم المقدس.

الصليبيين، حتى إن الجبرتي ليحدثنا عن أن هزيمة الحملة الفرنسية على مصر إنما كانت على أيدي رجال المقاومة الشعبية من أبناء الطرق الصوفية وشيوخها، وفي مقدمتهم سيدي أحمد البدوي وسيدي أبو الحسن الشاذلي مع كبر سنه كانوا يشحذون الهمم بالليل بتلاوة القرآن وما فيه من آيات تحض على الجهاد، وبذكر الأحاديث التي تحض على الجهاد في سبيل الله. ويضيف لنا صاحب كتاب (تاريخ بغداد) أن المتوكل العباسي - حينما ضاقت به الأرض وعصفت به الحروب - نادى أهل الفتوة الصوفية فهرعوا إليه من كل مكان، فكانوا جيشه الكبير الذي حمى الإسلام وصان حدوده.

التصوف ما هو إلا جهاد ضد هوى النفس وضد الطغيان والبطش:

التربية الصوفية بما فيها من تصعيد وتسام، وارتفاع فوق الغرائز والشهوات واعتصام بالمثل العليا وإكبارٍ لها، وفناء واستشهاد في سبيلها، إنها تربية فوق ما تعرف الدنيا من تربية وتهذيب، لأنها تنفذ إلى الأعماق، وتعمل في الباطن والظاهر، إنها تربية تشمل الضمير والوجدان والحس، كما تشمل اليد واللسان والجوارح، والجهاد الصوفي الشاق العنيف في سبيل الكمال في كل ميدان من ميادين الحياة، إنه جهاد ضد النفس والهوى والجشع والطمع والحقد والحسد، كما هو جهاد ضد النفس والطغيان والجبروت والبطش، بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالإرهاب والاغتيال والانقلاب والتآمر على الحكام، إنه جهاد للتصفية وللتسامي، ورياضة للقوة والتفوق، جهاد يمنح الصوفي عزيمة لا تُقهر وإرادة لا تُغلب وعزيمة وإباء.

التصوف ما هو إلا درع وحصن يقي أمتنا ويحميها:

إننا نواجه اليوم الاستعمار العالمي، ونصارع الصهيونية الدولية، وهذا الصراع الهائل سيكتب فيه النصر الحاسم لمن يملك قوى روحية وأدبية ومعنوية أعز وأقوى..

إن الأمم إذا تفككت خلقياً، أو ضعفت معنوياً، أو فقدت قوتها الايجابية، وأضاعت عزيمة النضال وروح التفوق؛ فهي أمة مهزومة ضائعة بين الأحداث وعصف الوقائع.

فلنتجه إلى رسالة التصوف نستمد منها القوة الخلقية، والعزة الإيمانية، والفضائل الروحية، فنتخذها درعا وحصنا يقي أمتنا ويحميها، ومعراجا تصعد عليه إلى أهدافها وأمانيها.

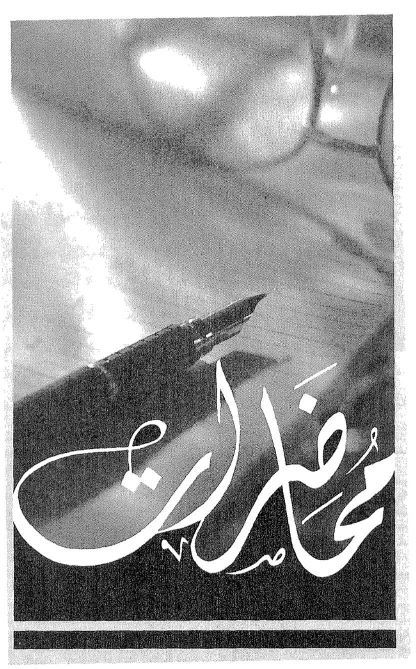
إن الوفاء والنبل، والصدق والشرف، والعفة والنجدة، والبأس والشجاعة، والعزة والكرامة، والإخلاص والفضيلة، وكل صفة عالية ربانية لا تنبعث من فكر الوهابية البغاة ولا تأتي من أفق أدعياء التصوف الغلاة.

إنها صفات من وحي الله ورضاه، من إلهام الدين وينابيعه، ومن رسالة التصوف ومناهجه.. يجب أن يشع الروح الصوفي، الطاهر المؤمن القوي، في حياتنا ووجداننا، وأن نجعله مادة في معاهدنا ومدارسنا، ونورا في صحفنا وكتبنا وإذاعاتنا، وحياة ملهمة في كل مرفق من مرافق نهضتنا.

حينئذٍ نظفر برضوان الله وبسيادة الحياة، وتمتلئ الدنيا بعزة الصوفيين، وبأس المؤمنين، ويتحقق فينا قول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 139]



❖ واقع المرأة المسلمة المعاصر




صورة خاصة

واقع المرأة المسلمة المعاصر*

الدكتورة فوزية العشماوي **

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته



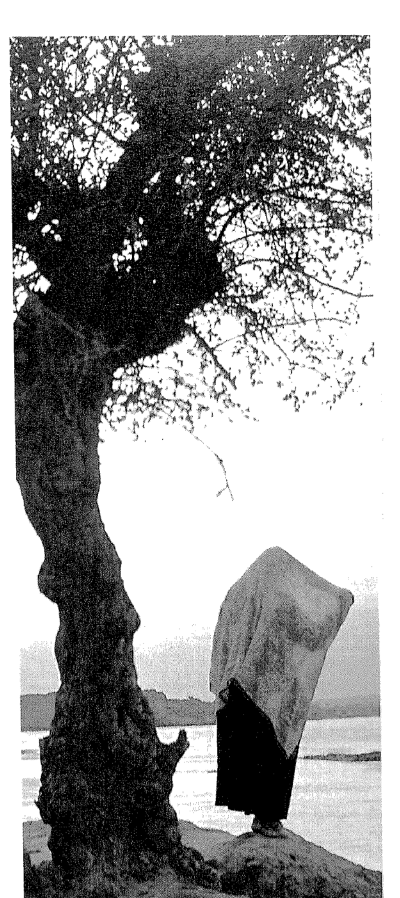
في الواقع أنا سعيدة ومنفعلة أيضا في نفس الوقت لوجودي في هذا المكان للحديث مع الطلبة والطالبات من أرجاء العالم الإسلامي بتنويعاتهم المختلفة، وأعتقد أن مثل هذه المحاضرة تقدم لي فرصة طيبة حرصت على اغتنامها، كما حرصت من قبل على اغتنام أكثر من فرصة سابقة جمعتني بطلبة وأساتذة من أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي.

ربما يبدو لكم تخصصي في مجال العلاقات الدولية والعلوم السياسية بعيداً إلى حدٍ ما عن تخصصاتكم في مجال الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية، ولكن من وجهة نظري أعتقد بأن هذا الذي يبدو أنه ابتعاد أو انفصال هو أمر غير طبيعي وغير صحي، وهو سبب التراجع في الإنتاج المعرفي والعلمي في العلوم الاجتماعية بصفة عامة من منظورات إسلامية، لأنكم تعرفون أن ظاهرة الازدواجية التي انخرطت فيها نظمنا التعليمية منذ أكثر من قرنين، والتي فصلت بين مجال (الدراسات المدنية) ومجال (الدراسات الإسلامية) كانت تعبيراً عن أزمة وقادت إلى أزمة أكبر، ولذا هناك مدارس عديدة في مجال العلوم الاجتماعية في الدول العربية والدول الإسلامية أدركت هذا، وقام المتخصصون في هذه العلوم - وهي علوم حديثة أنتجها الغرب أساساً - بمحاولات لتدارك هذا الأمر وإيجاد الرابطة أو الجسر بين تخصصاتهم في العلوم الاجتماعية الحديثة وبين الدراسات الإسلامية، أملاً في تقديم منظورات حضارية للعلوم الاجتماعية، تعبر عن مشاكل هذه الأمة وتقدم رؤاها، انطلاقاً من الإيمان بأن الخصائص الحضارية تؤثر على الرؤى المعرفية وعلى الأبعاد المنهجية في دراسة العلوم الاجتماعية.

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس / بتاريخ: 27 الحرث (نوفمبر) 1372 من وفاة الرسول ﷺ (2004 مسيحي).
** أستاذة جامعية في مجال العلاقات الدولية والعلوم السياسية / سويسرا.

أمر آخر أبرر به اعتقادي أنني لست بمكان غريب أو لا يجب أن أكون فيه وأتحدث إليكم فيه، وهو أنكم القائمون على دراسة فقه النصوص وفقه التراث، لا يمكن أن تظلوا بمنأى عن فقه الواقع. ولذلك حين طلب مني أن آتي إلى هنا وأتشرف بلقائكم جميعاً طلب مني أن أتحدث في موضوع (واقع المرأة المسلمة المعاصر) وكعادتي حين يُطلب مني دائماً أن أتحدث عن المرأة المسلمة باعتباري امرأة مسلمة وليس باعتباري أستاذة للعلاقات الدولية؛ أتردد قليلاً، وأقول إنني أعرف في موضوعات أخرى بحكم التخصص أوسع بكثير من موضوع المرأة. ولكني أعود مرة أخرى وأدرك أن موضوع المرأة المسلمة المعاصرة كما يطرح الآن على أرض الواقع وفي الرؤى الفكرية والمنظورات المختلفة هو ليس ببعيد عن تخصصي في مجال العلاقات الدولية، وربما تتساءلون كيف؟ وأيضاً ليس بعيداً عن مجال اهتمامي الأساسي بالأبعاد الثقافية الحضارية للعلوم السياسية وللعلاقات الدولية بصفة خاصة؟! ولذلك إذا كنتُ أشعر بأنني يجب أن أتحدث في هذا الموضوع عن المرأة المسلمة فإنني أقبله لأنه يرتبط بهذين الأمرين (بتخصصي وبمجال اهتمامي البحثي الراهن منذ أكثر من خمسة عشر عاماً). ونتساءل معاً: كيف؟ أو ما الدليل على هذا؟ لأن أحد المعايير التي يدور عنها الحديث دائماً حين تعقد ندوة عالمية أو دورات تدريبية ممولة من الأمم المتحدة، أو حين تمنح منحاً دراسية ؛ يشترط فيها عامل (النوع)، أي أن يعطى نسبة معينة من هذه الأمور للمرأة وليس فقط للرجال، وكما يتحدثون دائماً فإنه يجب في دولنا العربية والإسلامية أن ترتفع نسبة وجود المرأة في مختلف مناحي الحياة العامة وتتقلد من المسؤوليات ما لم تكن تحتلها من قبل مثل القضاء (وهذا الأمر أثار نقاشاً كبيراً) وهكذا. فالمتتبع لما يتصل بالحديث والحركة حول موضوع المرأة الآن في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وعلى صعيد العالم كله يجب أن يدرك ويعي جيداً أن قضية المرأة قضية أساسية للاهتمام الفكري والحركي العالمي، وينعكس هذا على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ومن ثم فأنا كأستاذة علاقات دولية في مجال تخصصي أجد الكثير من الكتابات تتحدث عن قضية المرأة كقضية عالمية وليس قضايا داخلية، كيف يجب أن ينظر إلى وضع المرأة في المجتمعات والدول المختلفة لتغييرها؟ والحديث دائر وفق أي نمط من التغيير؟ وكيف؟ وتجرى المشاورات والمداولات وتعقد وتوقع المعاهدات في الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الدولية والإقليمية لتقنين ما يراد أن يكون عليه وضع المرأة في العالم، وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ويمتلكون من الموارد والإمكانيات والآليات التي يتحركون بها تجاه دولنا وحكوماتنا ليطلبوا منها تنفيذ برامج معينة خاصة بالمرأة في مجالات متعددة، وأيضاً تنشط منظمات المجتمع المدني التي نمت بقوة خلال الأعوام العشرة الماضية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لتهتم بهذا الأمر وفق برامج خارجية، كل هذا يطرح علينا سؤالا كبيرا على ضوء هذا التمهيد وهو : ما هو واقع المرأة المسلمة

يجب أن ندرك ونعي جيداً أن قضية المرأة قضية أساسية للاهتمام الفكري والحركي العالمي وينعكس هذا على مجتمعاتنا العربية والإسلامية



المعاصر الآن؟ وما هي أسباب الاهتمام به على هذا النحو؟ وما هي أشكال هذا الاهتمام؟ وما نتائج هذا الاهتمام؟ وهل يثير جدلاً ونقاشاً بين من يضعون خططا لتطوير وضع المرأة العربية والمسلمة بصفة عامة سواء كانت داخلية أو خارجية؟ وبين منظورات أطراف أخرى ترى نهجاً آخر لضرورة معالجة وضع المرأة وفق طريقة أخرى؟

هذه كلها أسئلة يثيرها موضوع أو عنوان هذه المحاضرة.

كيف نفكر؟ ولماذا؟

وفي الواقع فأنا لا أريد أن يكون حديثي إليكم حديث معلومات، لأن المعلومات توجد في مصادر مختلفة، فأقول مثلا إنه قد عقدت اتفاقية كذا في الأمم المتحدة بشأن كذا.... ولكن حين طلب مني أن أتكلم في هذا الموضوع جلست مع نفسي وفكرت: كيف أقترب من هذا الموضوع؟ فاقتربت منه على النحو الذي بدأت فيه الكلام معكم، وهو أن أربط بينه وبين تخصصي واهتمامي بالأبعاد الثقافية الحضارية للأمة، ورأيت أيضا أن أقترب منه بطريقة أخرى وهي أن نتعلم معا كيف نفكر في هذا الموضوع؟ وليس أن نتلقى معلومات عن هذا الموضوع. بمعنى آخر يهمني دائما حين أحاضر لطلبتي أن أهتم بمنهج النظر في الموضوع محل الاهتمام، بكيفية التفكير في الموضوع محل الاهتمام، بكيفية الاقتراب منه، فهذا هو الأهم، أي أن نتعلم كيف نفكر وليس كيف نحصل على معلومات ومادة علمية ؛ هي موجودة لدينا ومصادرها متوفرة ونستطيع أن نحصل عليها، ولكن الأهم هو أن نعرف كيف نفكر، ولذا ما يهمني هو خريطة الموضوع والمنظورات المختلفة له،

حتى نتبين أن لهذا الموضوع (واقع المرأة المسلمة المعاصر) أكثر من منظور. ليس هناك اتفاق على كيفية معالجة واقع هذه المرأة، ومن ثم فإن كلامي سينقسم إلى ثلاث نقاط أساسية:

العنوان أو الموضوع هو «واقع المرأة المسلمة المعاصر» وعلى هذا فلدينا أربعة مكونات له (واقع / المرأة / المسلمة / المعاصر). وأنا اتجه بكلامي إلى مجموعة متنوعة ومتنورة من شباب الأمة من جميع أرجائها أسأل: هل منطوق كل مفردة من هذه المفردات يقدم مضموناً متشابهاً تماماً باختلاف الدول؟ أي إذا قلت واقع المرأة المسلمة في كينيا، أو واقع المرأة المسلمة في جنوب أفريقيا، أو واقع المرأة المسلمة في مصر، أو واقع المرأة المسلمة في فرنسا، أو واقع المرأة المسلمة في غرب الصين، أو واقع المرأة المسلمة في الولايات المتحدة الأميركية.. هل يستوي الأمر؟ بالطبع لا يستوي الأمر، ومن ثمّ فإن أول درس يجب أن نهتم به أننا حين نواجه هذا الموضوع الكبير (واقع المرأة المسلمة المعاصر) فإنه يجب أن أعرف أن هناك مستويين للحديث: مستوى الخصوصيات، ومستوى الأسس والقواعد المشتركة بين المرأة المسلمة في العالم كله، على اعتبار أننا ننتمي جميعاً - أياً كان موقعنا الجغرافي أو مكانتنا السياسية أو الاقتصادية - إلى ثقافة وإلى حضارة واحدة تقدم لنا ثوابت حول أمور كثيرة منها قضية المرأة، ولكن الاختلافات في المواقع الجغرافية أو في طبيعة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تواجهنا من هنا أو هناك تختلف، ومن ثم يجب أن نفكر بطرق مختلفة انطلاقاً من هذه الاختلافات، ولكن في ظل ما يحفظ لهذه الأمة كونها أمة، أو ما يربط هذه الأمة من روابط ومنها ما يتصل بقضية المرأة.

وأريد هنا أن أكون أكثر تفصيلاً لشرح بعض الأمثلة..

حين أقول (واقع) فأنا أقصد هنا أننا يجب أن نتعلم فقه الواقع، وإذا كنتم تعملون على نصوص وعلى تراث في محاولة أن يخرج منكم من لا يدرّسون فقط فقه النص أو أحكام النص أو ما في التراث فقط لذاته، ولكن لذاته وللاستفادة منه في ما ينفع أمتنا، فهذه هي القضية الأساسية، كيف نوظف طاقات من يدرسون العلوم الإسلامية والعلوم الشرعية لتصب في واقعنا فهما وتغييراً وتحسيناً؟ هذا هو المطلوب، ولذلك فإن الشرط الأساسي هو أن يكون مقترناً بفهم فقه النص وفقه التراث.. فقه الواقع، وهذه قضية منهجية وأساسية مهمة تجعلنا نتساءل: أين الاجتهادات الفقهية ولا أقول الفكرية فقط؟ لأن هناك فرقا بين الفقه والفكر في مجال قضايا الأمة، على النحو الذي يقدم لها فعلاً مخرجاً من هذه الأزمة المتلاطمة الأمواج التي نمر بها جميعا. هذه نقطة هامة، وحين نتكلم عن الواقع فإنني ضربت مثالاً من الواقع، وتساءلت: من؟ وأين؟ وفي أي مكان؟ فالمشاكل تختلف. وأيضا حينما نتكلم عن واقع المرأة: في أي مجال؟ في العمل؟ أو في التعليم؟ أو في

ظاهرة الازدواجية التي انخرطت فيها نظمنا التعليمية منذ أكثر من قرنين، والتي فصلت بين مجال (الدراسات المدنية) ومجال (الدراسات الإسلامية) كانت تعبيرا عن أزمة وقادت إلى أزمة أكبر

الإعلام؟ أو في المشاركة السياسية؟ أو في مجال الأحوال الشخصية؟ أو في المكانة الاجتماعية والرؤية لها ولدورها ولوزنها ولإسهامها في مجالات الحياة المختلفة؟ أم أن واقعها يعكس - في بعض المناطق أو في جزء منها أو في جميعها - اهتماما بدفع دورها وتنميتها، أو الحرص على إبقائها وراء الستار مخافة ما قد يأتي منها من (شر) كما يقول البعض؟؟.

وإذا انتقلت إلى الشق الثاني (المرأة).. أي امرأة؟ هناك المرأة العاملة، وهناك ربة البيت، وهناك المرأة في دولة إسلامية تطبق الشريعة الإسلامية أو في دولة إسلامية ليس لها من الإسلام إلا الاسم، هل هي في نطاق دولة إسلامية أو في نطاق أقلية إسلامية؟ هل هي من النخب التي حازت حظا من التعليم أم من القاعدة العامة في مجتمعاتنا التي لم تحظ بكثير من الحقوق شأنها شأن بقية المجتمع باعتبارها جزءا من المجتمع؟ وهكذا..

إنصاف المرأة وحماية الأسرة والبناء الاجتماعي هو أحد الشروط الأساسية لإصلاح واقع الأمة كلها، وإن المرأة هي مدخل أساس من مداخل التغيير والإصلاح الاجتماعي والتنمية الشاملة

وإذا انتقلت إلى كلمة (المسلمة) أيضا ما المقصود بالمسلمة؟ هناك مسلمة ملتزمة وهناك مسلمة غير ملتزمة، وما درجة الالتزام وما معناه؟؟ هذه كلها قضايا تطرح علينا بإلحاح..

وإذا وصلت إلى كلمة (المعاصر) فما المقصود بالمعاصر؟ هل الذي نحياه من ظروف لدى الآخر ويريد أن يأتي بها إلينا على أساس أنها الأفضل والأحدث؟ ومن ثمّ نقع في إشكالية المقابلة دائما بين المعاصرة والأصالة، أو التراث والحداثة، إلى غير ذلك من إشكاليات تجعلنا نتساءل: أي الظروف التي مرت بها أمتنا هي الأفضل؟ أم نقصد بالمعاصرة تحديات العولمة؟ بمعنى ذلك الاهتزاز القوي جدا للحدود الفاصلة بين الأمم والشعوب والدول، على نحو جعل التواصل الإرادي أم القسري أمرًا طبيعياً الآن بين الجميع، حيث نتعرض جميعاً لتأثيرات خارجية في مجالات مختلفة من انتقال ليس فقط الأموال ولا الأشخاص ولكن الأفكار والمفاهيم وأنماط الحياة، ومن ثمّ نواجه جميعاً بالحديث عما يسمى آثار التغريب والعلمنة على وضع المرأة، هل هي آثار سلبية أم إيجابية؟ في مقابل الحديث عن رؤية المنظورات السلفية التقليدية لوضع المرأة؟ أم نتساءل: هل يمكن أن يكون هناك طريق ثالث ليس هو بمادية أو تغريبية أو علمنة مما يأتي إلينا من الغرب؟ وفي نفس الوقت ليس هو بالقديم الذي يراد تغيير بعض جوانبه لمواجهة تحديات الواقع المعاش الذي نواجهه جميعاً؟ سواء امرأة أم رجل. هذه أمور كثيرة تثار ويدور حولها النقاش هنا وهناك،

وأعتقد أنني إذا طلبت الكلمة من بعض الإخوة الحاضرين وأنتم من أماكن مختلفة فستقدمون إجابات متنوعة حول بعض الأمور. ولكن مما لا شك فيه أن هناك اتفاقاً سيكون على بعض الأمور التي أعتقد أنها من الخصائص المشتركة في الحديث حول واقع المرأة المسلمة المعاصر في هذه الآونة، سواء على الصعيد الفكري أو الأكاديمي أو الحركي.

ما هي هذه الخصائص؟

هذا السؤال والإجابة عنه هي النقطة الثانية التي

أريد أن أتحدث فيها، لأن النقطة الأولى كانت محاولة لمعرفة كيف أن الأمر يحمل أكثر من وجهة نظر، لأن الأمر متغير ومتنوع، ولكن - كما قلت - هناك قواسم مشتركة بحكم أننا أمة واحدة. ما هي هذه القواسم المشتركة؟ هذه القواسم تتلخص في عدة أمور منها:

مما لا شك فيه - وفق مؤشرات التعليم والصحة والعمل والمشاركة السياسية والأحوال الشخصية والقوانين - أن هناك وضعا لا أريد أن أقول متدهورا ولكنه غير مرضي للمرأة المسلمة، وهو وضع ليس منفصلا عن مؤشرات ما يتصل بوضع الرجل والمجتمع بصفة عامة، ومن ثم فإن وضع المرأة المتدهور في جوانب معينة هو جزء من صورة أشمل خاصة بمجتمعاتنا جميعاً.

ثم هناك قناعة - وأنا ممن يقتنعون بهذا - بأن تطوير وتحديث هذا الوضع ضروري باعتباره - في نظري - جزءاً من عملية مجتمعية شاملة، وفي نظر البعض الآخر أن تغيير وضع المرأة هو قاطرة لتغيير المجتمع كله، وبعبارة أخرى فإن تغيير وضع المرأة يغير المجتمع كله، أو تغيير وضع المرأة يكون جزءاً من عملية مجتمعية شاملة. والسؤال هو: كيف؟ ووفق أي منظور؟ لدينا في هذه الساحة منظوران أساسيان، ومعي الآن بعض الأوراق التي تتضمن نقاطاً من ورقة سأشارك بها في ندوة تتناول قراءة أو مراجعة في خطابات معاصرة حول المرأة.. نحو مدخل حضاري. وهذه الورقة تتناول التمييز بين أبعاد المنظورات المتنافسة حول وضع المرأة المسلمة المعاصر وكيفية تغييره، وهي ليست مجرد منظورات فكرية، بل نلمسها على أرض الواقع في تجاربنا وفي حياتنا اليومية، منظور منه وهو المنظور الذي تتبناه عدد كبير من النظم والحكومات والنخب الفكرية والثقافية السائدة، والتي تبدو أنها الأكثر تأثيراً لعلو صوتها وظهورها أكثر من غيرها، والتي تمثل ما أسميه (النموذج الغربي الخاص بالمرأة في الخطاب النسوي الصاعد).

ولكن ما هي خصائص هذا الخطاب؟ أرى أن هذا الخطاب أو هذا النموذج الذي يُصّدر هذا الخطاب يرتكز على خصائص أو أسس ثلاثة:

الأساس الأول هو الوضعية الفلسفية، بمعنى فصل الدين عن المجال العام برمته، وجعل الدين قاصرا فقط على المجال الخاص للإنسان، وتقديم المادي والاقتصادي والفردي على المعنوي والقيمي والجمعي. هذه هي الخصيصة الأولى أو الأساس الأول.

هل يعكس واقع المرأة - في بعض المناطق أو في جزء منها أو في جميعها - اهتماما بدفع دورها وتنميتها، أو الحرص على إبقائها وراء الستار مخافة ما قد يأتي منها من (شر) كما يقول البعض ؟؟ .

الأساس الثاني هو الاختزالية الجزئية، بمعنى اقتطاع ما يتصل بقضية المرأة من سياقه العمراني والحضاري، وعدم اعتبار المرأة ظاهرة اجتماعية إنسانية مركبة، ولكن النظر إليها منفردة مختزلة عن سياقها كما لو كانت مشاكلها نابعة من ذاتها، أو أن حل هذه المشاكل يكون بالتركيز عليها فقط دون الأخذ في الاعتبار ما يحيط بها.

الأساس الثالث هو آثار العولمة على المثال الغربي، بمعنى الابتعاد عن الخصائص البيئية والتقاليد الثقافية والاجتماعية، والاعتقاد بأن العالم تسوده خصائص ثقافية وقيمية واحدة تحكم تطوير وأوضاع كل قضاياه بما فيها قضايا المرأة. ويظهر

هذا جلياً في مفهومي (الحرية والمساواة) اللذين يعلنان كمفهومين أساسيين يجب أن يطور على ضوئهما وضع المرأة المسلمة، والمرأة في العالم كله، ولكن هناك تركيز على المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية.

هذه الخصائص التي نسميها (خصائص معرفية كلية في النموذج الغربي) تفرز نفسها بشكل خطابات نتداولها ونسمع ونقرأ عنها، أو نأخذها أو نقبلها على حسب موقفنا، ويمكن تلخيصها في عدة نقاط منها:

❖ النظر إلى الدين كمعوق لنمو المرأة، فالحجاب بالضرورة تهميش وعزل.

❖ الفردية المطلقة والحرية الكاملة ورفض توصيف المرأة بنسبة كونها أمًا أو زوجة أو أختاً أو ابنة.

❖ الحط من دور المرأة في ميدان العمل والإنتاج.

❖ العمل دون مقابل.

وقد أضحى العمل خارج المنزل أساسا لتأكيد الاستقلالية، وأساسا للمكانة، لأن الأبعاد المادية الاستهلاكية هي معيار الفاعلية والإنجاز، ذلك في ظل النسبية المفرطة تجاه القيم الأخلاقية والمعنوية والوفاء بمسؤولياتها تجاه الإنسانية.

ومن بين الخصائص أيضا التي تندرج في هذا النموذج:

❖الاهتمام بالحلول القانونية لمشاكل المرأة، دون أي اعتبار لما قد يترتب عليها من أزمات عائلية، وتأثير على تماسك المرأة. وفي هذا السياق أشير إلى الحديث المتسارع عن ضمان حق المرأة في الطلاق والخلع... إلخ، دون الأخذ في الاعتبار العوامل الأخرى .

المساواة.. الشعار والمحتوى

❖ وهناك عامل آخر يمكن أن نسميه (المعنى الشكلي لشعار المساواة) مساواة المرأة في مجتمعات فقيرة ومتخلفة في الأصل، مساواة بمن؟ وأين المساواة بالنسبة للرجل أيضاً؟ ومن ثم يرتبط الأمر أيضا بالمشاركة السياسية، حيث يتحدثون عن المشاركة السياسية للمرأة، وفي كثير من المجتمعات العربية والإسلامية نجد أن محور الاهتمام هو محاولة تفعيل دور المرأة (أن ترشح نفسها بعدد أكبر، وأن تنتخب بدرجة أكبر) قبل أن يُفهم أن وراء هذا محددات اجتماعية خاصة بالتعليم والمستوى الثقافي والمستوى التنموي، وإذا توافرت تلك المحددات ستتوافر هذه القدرة في المشاركة... ليس للمرأة فقط ولكن للرجل أيضاً؟

❖ وأخيراً ما نسمع عنه من ظهور مفاهيم وخطابات جديدة مراوغة ولزجة، لا يعرفها الخطاب الإسلامي مثل: الحقوق الإنجابية، الثقافة الجنسية، أنماط الأسرة... إلخ. وكل هذا يمثل تفكيكا لعرى الأسرة كوحدة أساسية في الكيان الاجتماعي الحضاري. هذا منظور أو نموذج له خصائص معرفية، وتترتب عليه خطابات فكرية، ويترتب عليه برامج وآليات عمل وسياسات توضع

الحقوق الإنجابية ، الثقافة الجنسية ، أنماط الأسرة ... إلخ ، مفاهيم وخطابات جديدة مراوغة ولزجة لا يعرفها الخطاب الإسلامي

❖ ❖ ❖

الأم والأمة صنوان بينهما ميثاق يشد الأصل إلى الفرع وعلى منواله تنتج العمارة التي هي روح الحضارة

بقيادة الأمم المتحدة ويجري تنفيذها وفق اتفاقيات ومعاهدات توقع عليها الدول العربية والإسلامية لتنفيذ هذه الأمور.

وفي الحقيقة فإن هذه الأمور تأخذ جدلاً شديداً وواسعاً حين إقرارها، كما حدث تماماً في مؤتمر بيكين الأول عن المرأة سنة 1995 ثم سنة 2000، ويجرى حالياً الإعداد للمؤتمر الثالث، أو كما حدث في مؤتمر القاهرة عن الأسرة والتنمية سنة 1994. لكن هناك زخماً يحدث حيال هذا الأمر وهناك أموال تنفق، وهناك جمعيات مدنية وأهلية وبرامج حكومية ومؤسسات تنفق بشأن هذا الأمر الذي يهدف إلى تغيير وضع المرأة، ولكن وفق خصائص ومقومات نموذج حضاري أو معرفي معين.

منظور حضاري إسلامي

في مواجهة هذا هناك منظور آخر يبرز وينشط على ساحات عديدة وهو ما نسميه (منظور حضاري إسلامي) يرى أنه يجب الانطلاق من الإسلام بأحكامه وقيمه وسننه وخبرات تاريخه، على أساس أنه يقدم لنا نموذجا معرفيا آخر، وخصائص أخرى للخطاب، وإمكانيات لبرامج أخرى للحركة ولتفعيل وضع ودور المرأة، وللأسرة والمجتمع، وتتلخص أسس هذا المنظور في ما يلي:

❖ النقطة الأولى الوعي بالمرجعية الإسلامية وخصوصيتها، وخاصة من حيث التمييز بين ما هو ثابت وبين ما هو متغير. ما هو ثابت في إطارنا المرجعي على عكس أسس مرجعية ليس فيها ثوابت، وبين ما هو متغير. وهذا هو واقع الإسلام باعتباره دينا للعالم كله في كل مكان وزمان.

❖ النقطة الثانية هي الهوية والوعي بالذات المرتبط بالأمة ودون انفصال عنها.

❖ النقطة الثالثة، وهي مهمة جدا في نظري، وهي الانفتاح على التفاعل مع الخصوصيات الأخرى، وليس الانغلاق عليها ورفضها أو البعد عنها وعن تأثيرها...الخ، ولكن النظر إليها ورؤية ما يحدث فيها دون استلاب أو تبعية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى في ظل استمرار التواصل مع التراث ودون التقليد الأعمى، ودون جمود و ضغوط.

❖ النقطة الرابعة هي الجماعية وليس الفردية كإطار لتوظيف الإبداعات الفردية والذاتية والنظم في ما بين فاعلياتها دون إفراط في الحرية الفردية، وفي نفس الوقت دون انسحاق في الجماعية.

❖ النقطة الأخيرة هي الاعتدال بين الرؤية المادية البحتة وبين القيمي والمعنوي والأخلاقي.

كيف نوظف طاقات من يدرسون العلوم الإسلامية والعلوم الشرعية لتصب في واقعنا فهماً وتغييراً وتحسيناً؟

❖ ❖ ❖

وضع المرأة المسلمة في جوانب معينة هو جزء من صورة أشمل خاصة بمجتمعاتنا جميعاً

وعلى ضوء هذا فإن تلك الخصائص تندرج فيها أو تنبثق عنها عدة خطابات أو عدة اهتمامات، بمعنى أنه يُدّعَى إلى الاهتمام بها على مستوى الحركة، لعل أولها أو أبرزها الربط بين وضع المرأة ككيان إنساني واجتماعي ولكن في علاقة حميمية مع الأسرة والمجتمع والأمة برمتها.

ولا يخفى أن هذه الخصائص تستبطن قيم العدل - قبل الحرية والمساواة - والحق المقترن بالواجب، فالمرأة لها حقوق وعليها واجبات في نفس الوقت، وليس لها حقوق فقط.

وهذه الخصائص تقود إلى المقاصد الكلية العامة، والتي تجد مرجعيتها في أصول الشريعة النابعة من الإطار المرجعي.

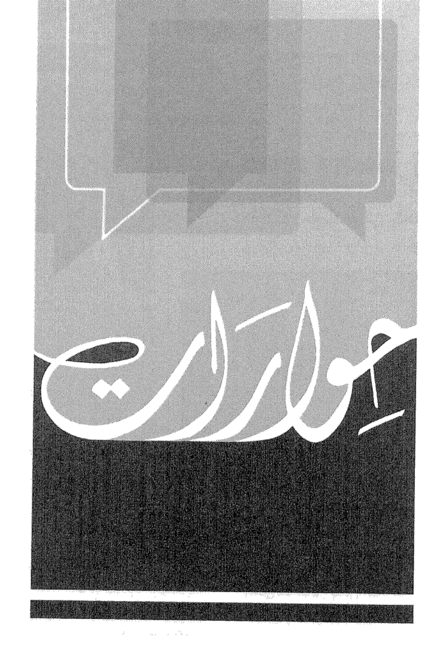
ويتبلور كل ما سبق في الرؤية الإسلامية الواعية عن (الحجاب، التعليم، المشاركة السياسية، العمل المهني، الأحوال الشخصية، الحرية الشخصية). وكل هذه السمات والخصائص لمنظورٍ حضاريٍ عن وضع المرأة ؛ إنما يعبر عن حقيقة الوعي بالذات الحضارية، وعن حجم التحديات التي يجب أن تواجهها، وأن تضطلع بالجهود اللازم استنفادها من أجل الربط بين القيم المعنوية والماديات، بين الوحي والعلم والوجود، وبين الذاكرة التاريخية وواقعنا، وإنصافا للمرأة من ناحية، وحماية للأسرة والمجتمع من ناحية أخرى، كوحدات فاعلة وأساسية في نهضة الأمة. ومن ذلك هناك قول تتبناه جمعية دراسات المرأة والحضارة - تعبر عن هذا المنظور الحضاري وأنا عضو فيها - لها مقولة (الأم والأمة صنوان بينهما ميثاق يشد الأصل إلى الفرع وعلى منواله تنتج العمارة التي هي روح الحضارة).

هذه الأمور التي تحدثت عنها علميا أو معرفيا تجد واقعها على الأرض، حيث هناك أناس يسعون ويجتهدون ويعملون لتطوير وتحديث وضع المرأة، وهذا الأمر ضروري وواجب، ولكن كيف؟ وفق معايير معينة تثير كثيرا من علامات الاستفهام عن تعبيرها عن ذاتنا الحضارية، وفي نفس الوقت هناك اتجاهات تقول وتريد أن تبقي وضع المرأة على ما هو عليه، انطلاقا من أن هذا هو الطريق الأسلم، بمعنى وفق ما يريده الإسلام لوضع المرأة.

وأنهي كلامي بالقول: إن وراء كل ما قلته سؤال كامل: ما أهمية إصلاح واقع المرأة المسلمة؟ وما هي شروطه؟ والإجابة ببساطة هي أن إنصاف المرأة وحماية الأسرة والبناء الاجتماعي هو أحد الشروط الأساسية لإصلاح واقع الأمة كلها، وأن المرأة هي مدخل أساس من مداخل التغيير والإصلاح الاجتماعي والتنمية الشاملة. ولكن كيف؟ إن التكوين العقيدي الإيماني المتضافر مع تكوين تعليمي حديث يجري بنوع من القابلية الأساسية بالنسبة للمرأة المسلمة وأن تتعاطى مع العصر وإشكالياته المحلية والعالمية من منطلق حضاري متميز، فنحن نواجَه دائما بأن النماذج البراقة الناجحة في مجال التعليم والعمل والمشاركة السياسية؛ هي نماذج استوعبت - قليلا أو كثيرا وعلى درجات - في النموذج الغربي بخطاباته وأسسه المعرفية، وفي المقابل نواجَه بتعتيم شديد على نماذج المرأة الفاعلة الواعية المشاركة في مجتمعاتها والمحافظة - في ذات الوقت - على خصائص ذاتها الحضارية. وعلينا جميعا أن نبذل جهدا لنعرف ونعي ما يدور حولنا، لنعرف ونعي فقه الواقع الذي يدور حولنا، وما يتطلبه منا كأفراد عاديين يعيشون في مجتمعاتهم، أو دارسين للعلوم الاجتماعية أو دارسين للعلوم الشرعية، أن نعرف حقيقة الواقع الذي نعيشه ومتطلباته وتحدياته، وأن نحاول أن نقدم رؤى فكرية وبرامج عملية للتطوير والتحديث، دون فقدان ذاتنا الحضارية، أو بمعنى أخر وفق منظور حضاري إسلامي.

وضع المرأة المسلمة ليس متدهورا ولكنه غير مرضٍ، وليس منفصلاً عن مؤشرات ما يتصل بوضع الرجل والمجتمع بصفة عامة

تغيير وضع المرأة يغير المجتمع كله، وهو جزء من عملية مجتمعية شاملة - لكن السؤال هو: كيف ؟ ووفق أي منظور ؟



د. محمود مصطفى أيوب:

الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط

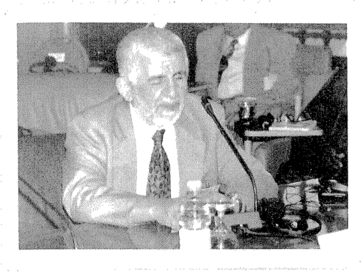


د. محمود مصطفى أيوب

الإسلام ليس دين المسجد والمنزل فقط

| إعداد : محمد حسن جحا *

التقينا الدكتور أيوب خلال مشاركته في أعمال المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية، وأبحرنا معه في سياحة فكرية تلامست مع عدد من القضايا والأفكار التي تستحوذ على اهتمامه، وسألناه أولاً عن قراءته لشعار المؤتمر وما يتضمنه من أبعاد ..



❖ الآية القرآنية الكريمة :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية 107]

والتي جعلها المؤتمر العام السابع للدعوة الإسلامية شعارا له ؛ في نظري أن هذا الشعار له أبعاد كثيرة، أهمها بعدان روحيان واجتماعيان أيضاً في آن واحد:

البعد الأول يتعلق بما يخص المسلمين، فكلمة عالمين في القرآن تعني (حِقَبًا تاريخية) للعالم الذي نعرفه، وإذاً فـ (للعالمين) تعني لكل زمان ومكان. والرحمة هي في شخص الرسول ﷺ، ولكن في الدرجة الأولى برسالة الرسول ﷺ التي جاءت لتُنهي وتمحو عصور الاستبداد وامبراطوريات العبيد إن كانت في فارس أو في روما. فالإسلام رحمة، والإسلام هو رسالة هذا النبي الأمي العظيم. هذا بإيجاز هو البعد الأول.

أما البعد الآخر فهو أن الرسول محمداً ﷺ قد بُعِثَ رحمة لجميع الناس، المسلمين وغير المسلمين، ونحن قد نُظهر بعضَ أبعاد هذه الرحمة بتعاملنا مع الناس، وباحترامنا للكرامة الإنسانية، وبتعاطفنا مع مشاكل الناس، بصرف النظر عن أديانهم ومعتقداتهم، وأنا أعتقد أن هذه الرحمة يمكن أن ننقلها إلى غير المسلمين عن طريق الحوار البناء. ولا أخفيك أنه قد أزعجني بعض ما قيل - من قِبَل بعض المتحدثين في المؤتمر - من أن المسلمين مستهدفون في كل أنحاء العالم، وشراسة الهجمات ضد الإسلام والمسلمين، وهكذا. طبعا إلى حدٍ بعيدٍ هذا صحيح، ولكن ليس كل ما يقال عن الإسلام والمسلمين - حتى في أمريكا وكثير من دول الغرب - هو سلبي وغير بناء، حيث هناك الكثير ممن يتعاطف

---

* كاتب وصحفي / ليبيا

مع الإسلام والمسلمين، وبعضهم جاء ليحضر معنا هذا المؤتمر، وهو غير مسلم. فإذا كان الموقف هو ما حاول رسم بعض ملامحه عددٌ من المتحدثين في المؤتمر وهو واقعي وصحيح، ولكن إلى حد مًا وليس في شكل عام. وأحب أن أسجل هنا أن بعض المداخلات في المؤتمر كان ينقصها التوازن والوسطية التي أمرنا الله أن نلتزم بها:

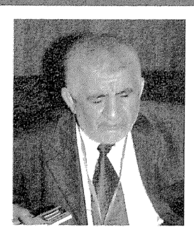
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: الآية 143]

وأظنّ أنه قد يريحنا بعض الشيء أن نبكي على الأطلال وأن نلوم الآخرين على مشاكلنا وعلى السلبيات في عالمنا الإسلامي الحالي، ولكن ينبغي أن نعلم أن هذه ـ في الدرجة الأولى ـ مسؤولياتنا نحن المسلمين وليست مسؤوليات الآخرين.

❖ كيف ترى أنت ـ أو ما هي أبرز ـ إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر؟

أنا أعتقد، وهذا قد طرحته في آخر كتبي الذي ظهر قبل شهر تقريباً وكان عنوان الكتاب «الإسلام.. عقيدة وتاريخ» وباللغة الإنجليزية Islam faith and history قلت في هذا الكتاب إن ما نحتاج إليه وما نحن في أمسّ الحاجة إليه هو إيجاد الوسائل الملائمة للتعامل، أي كيفية تعامل الأمة المسلمة مع العالم المعاصر، بحيث أن نعيد تفسير التطبيقيّات في الإسلام وليس الأصول والمبادئ والأركان، ولكن الأمور التطبيقية من فقهية وغير فقهية، بحيث تتلاءم ومتطلبات العصر الحاضر. هذا شيء، والشيء الآخر أنه يوجد في العالم الإسلامي تشتت رهيب للأسف الشديد، هناك بعض المفكرين وبعض المشايخ و العلماء الذين لهم رؤية جيدة بالنسبة لحاجات الإسلام والمسلمين في العالم المعاصر، لكن تنقصنا في العالم الإسلامي ـ في نظري أنا ـ أدوات التواصل، يعني كيف يمكن للأمة أن تتكلم بصوت واحد؟ على سبيل المثال الكنيسة الكاثوليكية عندهم بالفاتيكان يمثل هذه الكنيسة

الأستاذ الدكتور محمود مصطفى أيوب



من مواليد لبنان، درس في الجامعة الأميركية في بيروت، وحاز على شهادتها في الفلسفة، ثم تحصل على الماجستير من جامعة «بنسلفانيا» بأميركا في «تاريخ الأديان المقارن»، وأكمل دراساته في جامعة «هارفارد» التي تعتبر واحدة من أشهر جامعات أميركا وقد درس في نفس الموضوع (تاريخ الأديان المقارن) وأنجز الدكتوراه فيها سنة (1975ف)، قام بالتدريس في عدة جامعات في كندا والولايات المتحدة الأمريكية، وهو الآن أستاذ بجامعة «تمبل» بولاية بنسلفانيا التي يتولى فيها تدريس مادة الدراسات الإسلامية والأديان المقارنة.

والأستاذ الدكتور محمود مصطفى أيوب عضو بالمجلس العالمي للدعوة الإسلامية، وهو من العاملين في حقل الدعوة إلى دين الله، وله مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية علاقات وطيدة وثيقة منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، ألف عدداً من الكتب، معظمها باللغة الإنجليزية، وأنجز عدداً كبيراً من الدراسات والبحوث في الدراسات الإسلامية وفي علوم القرآن وتاريخ الأديان المقارن، وبعضها شارك به في مؤتمرات دولية، فضلا عن أنه شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات الفكرية التي أقامتها الجمعية على مدى العقود الثلاثة الماضية، وخاصة ما يتعلق منها بالحوار الإسلامي المسيحي.

المنتشرة في كل بقاع الأرض، الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسية لديهم مجلس الكنائس العالمي، واليهود لديهم تنظيمات دولية، نحن لدينا تنظيم واحد وهو شكلي في الحقيقة، لكنه تنظيم يمكن أن يفعّل وهو مؤتمر العالم الإسلامي. وأنا أعتقد أنه مؤتمر العالم الإسلامي قد يكون أداة التواصل بين المسلمين بعضهم ببعض، وبين المسلمين والعالم الخارجي.

وأنا أرى أن هناك بعداً عن الوسطية التي تحدثنا عنها، أي أنه إما أن نأخذ موقفاً عدائياً من جميع الناس ونقول إن الإسلام هو غير هذا، وبالتالي يجب ألا تكون لنا علاقات مع أحد، ولكن نعيد بناء دار الإسلام ونعتبر العالم دار الحرب، ولكن هذا كله انتهى، وهذه المواقف لم تجلب لنا إلاّ الويلات على يد أسامة بن لادن وغيره . والموقف الآخر أن نخضع لما يمليه علينا الغرب الآن من أن نجعل الإسلام فقط دين المنزل والمسجد، الإسلام ليس دين المنزل والمسجد فقط ولكن هو دين المدينة والسوق والمدرسة والجامعة والمكتب وكل مناحي الحياة، فإذاً نحن يجب أن نسعى لإيجاد السبل للتعامل مع العالم المعاصر، وأنا في نظري هذه مشكلة المشاكل بالنسبة للعالم الإسلامي المعاصر، مثلاً المسلمون في العصور المبكرة في الإسلام اعتنقوا المذاهب الفلسفية اليونانية وكانت هذه قفزة رهيبة من بساطة إسلام المدينة ومكة وإسلام الجزيرة العربية، وكانت هناك أصوات عالية تندد وتشجب وكل هذا، ونحن المسلمون كانت لنا رسالة حمل الفكر الفلسفي وبالتالي الفكر الإنساني إلى الغرب، حيث أدى في الغرب إلى النهضة التي نعرفها جميعاً.

يمكن أن نُظهر بعضَ أبعاد هذه الرحمة بتعاملنا مع الناس، وباحترامنا للكرامة الإنسانية، وبتعاطفنا مع مشاكل الناس، بصرف النظر عن أديانهم ومعتقداتهم.

الآن أمام واقع تقريباً مماثل، حيث يجب علينا أن نغير الكثير من مواقفنا الكلاسيكية القديمة دون أن نضحي بهويتنا الإسلامية وبتراثنا الإسلامي، وأنا أقول يجب أن نبني بناءً إسلامياً جديداً على الإسلام التقليدية، أي نبني بناءاً جديداً على أسس التراث الإسلامي العريق الذي أثبت دائماً جدارته وقدرته على التأقلم مع معطيات العصر الحاضر.

❖ **تحدثت عن البديل.. هل باستطاعتنا أن نقول إن هناك مشروعاً إسلامياً معاصراً؟ وما هي أبرز ملامح هذا المشروع؟**

❖ أعتقد أنه لا يوجد، توجد آراء كثيرة ولكن ليس لنا حتى الآن برنامج بديل لما نحن فيه الآن، أي أن هذه هي المشكلة، دائماً تظهر على أرض الواقع تنظيمات وتوجهات هنا وهناك. طبعاً أنا ليس لدي مشروع وهذا أرى أنه ليس من واجبي كشخص، لديّ أفكار وتوجهات، ولكن المشروع الذي أراه يجب يكون مشروعاً ينظم أول ما ينظم علاقة الأسرة وعلاقة المرأة والرجل، وليس مثلما يقولون حتى اليوم : نحن نترك البكاء للنساء والعزائم للرجال، وكأن المرأة شيء أقل من الرجل، هذا نوع من الخطاب الديني القديم الذي يجب أن نحاول أن نعدله على الأقل، فتنظيم الأسرة وعلاقات المرأة والرجل ودور المرأة في المجتمع المعاصر هذا شيء مهم جدا. بعد ذلك يأتي دور العلاقات الاجتماعية في العالم الإسلامي بين الناس، وعلى وجه الخصوص برامج التعليم في الجامعات والمدارس، بحيث أنّ هذه الجامعات تنمي الحسّ الإسلامي والشعورَ بالهوية الإسلامية بين الطلبة، في آن واحد أيضاً تهيئ وتؤهل هؤلاء الطلبة للعيش في العالم المعاصر، ومن جانب آخر لا بد من أن يكون هناك إصلاح سياسي أيضاً في العالم الإسلامي، بحيث لا تكون السلطة وراثية، وأنا لا تهمني أن يكون العالم الإسلامي ديموقراطي بمفهومه الأميركي أو الأوروبي بصرف النظر عن إيجابيات وسلبيات النظام الديموقراطي في الغرب، ولكن أنا يهمني أن يسود العالم الإسلامي العدل، هي كرامة الإنسان، الإنسان في العالم الإسلامي ليس له كرامة

وليس لحياة الإنسان قيمة، من هذا المنطلق أقول إنه يمكن أن نتعلم الكثير من الغرب، وهناك أيضاً الحاجة لإصلاح العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين، الأمة المسلمة المثالية هي الأمة تحكم نفسها وفق نظام تختاره هي وتقرّه، ونحن نرى الآن أن الأمة المسلمة منقسمة إلى دول في معظمها تبنت نماذج من الدساتير الغربية والديموقراطية البرلمانية الغربية، وأنا أرى أن كل هذا ليس سلبياً، لأنه على مستوى الهوية الدينية وحتى الفكرية فإن الأمة الآن قد تكون أمتن في ما كانت عليه من قبل، لأنه دائماً نرى إذا رجعنا إلى التاريخ دائماً عندما تكون السلطة الزمنية قوية في العالم الإسلامي تضعف السلطة الدينية ويقل انتشار الإسلام، ولكن دائماً انتشار الإسلام يكون عندما تكون الدولة ضعيفة، وهذا شيء غريب، وهذا الشيء يحتاج إلى درس وبحث، وأنا أريد أن أدرس هذا الأمر. مثلا إذا أخذنا كيف انتشر الإسلام في العالم؟ لوجدنا أنه قد حدث كل هذا بعد نهاية خلافة الدولة العباسية، أو بدأ في أيام ضعف الخلافة العباسية. هل هذا صحيح أم لا؟ حتى لما قويت الدولة العثمانية قلت قوة الإسلام. ولست أدري لماذا حدث هذا بالضبط؟ إنه أمر يحتاج بحثاً ودراسة!!

❖ من جانب آخر وتواصلاً مع ما أشرت إليه نجد أن معظم الفقراء / الأميين /.... في العالم مسلمون، ومع هذا يظل الإسلام أقوى الأديان وينتشر بسرعة في كل المجتمعات.

❖ نعم، لأن هذا نتيجة ضعف في السلطة الزمنية، ولهذا قلنا إنه يجب أن يكون هناك إصلاح في المجتمع وفي الهيئات التعليمية... إلخ ؛ فالعالم الإسلامي يجب ألا يكون فقيراً لأن كل الموارد الطبيعية موجودة في العالم الإسلامي، خذ مثلا اليابان التي تعتبر من أغنى دول العالم وليس لديها موارد طبيعية، تستورد كل شيء فتصنّعه ومن ثم تبيعه إلى الدول التي باعوها المواد الأولية، وفي هذا السياق لا يفوتني أن أشير إلى أن اليابان قد اهتمت بأهم مورد وهو الإنسان، وعلى هذا فكل نظام إسلامي معاصر لا يكون من عمل شخص واحد بل لا بد أن يكون مشروعاً من عمل الخبراء والعلماء والسياسيين والمفكرين والمثقفين وعلماء العلوم الطبيعية كما علماء الدين، وهكذا....، حتى يكون مشروعاً نهضوياً، وهذا ممكن، وأنا لا أطلب شيئاً غير ممكن، بل أؤكد أنه ممكن إن صدقت النية وكانت هناك إرادة لتحقيق ذلك:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

❖ بما أنك تعيش في الغرب وتعلم أن صورة الإسلام والمسلمين قد تعرضت للتشويه إلى حد كبير هناك من قبل وسائل الإعلام .. فما هو دور المسلم في الغرب لإجلاء صورة الإسلام الحقيقية وتوضيحها للناس؟

الإسلام ليس دين المنزل والمسجد فقط بل هو أيضاً دين المدينة والسوق والمدرسة والجامعة والمكتب وكل مناحي الحياة

❖ يؤسفني أن أقول نحن الذين نشوه، وسائل الإعلام لا تخترع الأشياء من عندها، قد يضخّم القائمون عليها الأشياء، ولكن في معظم الحالات نحن الذين نشوّه، مثلاً عندما ترى مجموعة من الشباب المسلم الآن - وهذا منتشر في أميركا وكندا - يتعاطون بيع المخدرات، وفي نفس الوقت قد يختلسون الكروت المصرفية، أو يحاولون غش الدولة، ليس فقط كأفراد بل كجماعات، فماذا نفعل؟ عندما نرى أن بعض المسلمين في كثير من الحالات هم يتعاطون المخدرات ويمارسون الأشياء غير القانونية في بلاد الغرب، أو حتى بعض المسلمين الذين يدّعون أنهم ملتزمون إسلاميا، يقول أحدهم أنا لي الحق أن أسرق أو أغش هنا لأن هذه البلاد هي دار الحرب !! وهذا للأسف ليس موجوداً عند جميع المسلمين بل البعض منهم، وأنا أقول إن هذه هي ليست دار الحرب،

أنت قد دفعت الأموال الباهظة من أجل الحصول على تأشيرة هجرة إلى هذا البلد، هذا البلد أصبح بلدك، نحن علينا أن نكون مواطنين صالحين في أيّ بلد نعيش فيه، ومثلاً أنا كمسلم أميركي لا بد أن أحاول من أن أكون نموذجياً، وأنا مثلاً عندما أذهب إلى بعض حفلات القسم في الجامعة ويقدمون المشروبات الروحية مثل الخمر ويقولون لي تفضل فكوب من الخمر لا يؤدي بك إلى جهنم، أنا أقول لهم : لا، ومع أن الله غفور رحيم وربما كأس خمر لا تؤدي بي إلى جهنم ولكن أنا ملتزم، أنا مسلم أصلي وأحترم ديني، وهم يحترمونني بشكل أكبر عندما أقول هذا وأتمسّك بتعاليم ديني.

وأنا أعتقد أن الإسلام في الغرب مستقبله جيد، وأن الأمة الإسلامية في الغرب بدأت تكون صوتاً معروفاً له وزنه وتأثيره في العالم، ونحن نسهم في هذا، وقد أسسنا مؤسسة أرجو تفعيلها، وهذه من ضمن جملة الأشياء التي أردت طرحها في هذا المؤتمر أو على هامش المؤتمر، وأرجوا أن أوفق لذلك بدعم وتوجيه من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومن القائد بالأساس، نحن أسسنا معهداً سميناه: (معهد تفعيل العمل السياسي بين المسلمين) وقد تم تسميته باللغة الإنكليزية:

INSTITUTE FOR POLITICAL POWERMENT OF MOSLEMS

والآن لدينا مثلا موقع جيد على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وأرجوا أن ننظم بعض المؤتمرات للمشاركة في النشاطات الأخرى التي تقوم بها جمعيات أخرى في مجال دعم وتقوية الحسّ السياسي والمسؤولية السياسة بين المسلمين في أميركا فيما يتعلق بالانتخابات، وتبني القضايا المهمة بالنسبة للعالم الإسلامي وبالنسبة للمسلمين في أميركا وفي العالم الإسلامي، وهذا المعهد ليس الوحيد بل هناك العديد من المعاهد والجمعيات والمؤسسات التي تسعى للغرض ذاته.

❖ ما هو دور وسائل الإعلام في هذا الجانب لتوضيح صورة الإسلام في الغرب؟

❖ لا شك في أن وسائل الإعلام مهمة جداً، وهي سلعة تباع وتشترى، وأعطيك مثالاً: أنا لو كان لديّ المال الكافي يمكنني أن أشتري في كل أسبوع ساعة أو أكثر أتحدث فيها عن الإسلام على إحدى المحطات المرئية التي قد يراها كل أمريكي، أو في محطة مسموعة أو على الصحف أو في أي وسيلة إعلامية. اليهود يحتكرون إلى حد بعيد وسائل الإعلام لأن لديهم الطاقات العلمية والفكرية والمالية، في حين ترى بعض المسلمين يذهبون إلى أميركا ويقضون معظم وقتهم في لاس فيغاس أو في نوادي القمار، طيب.. هذه الأموال أموال المسلمين ويجب أن تصرف على مشاريع إسلامية لتحسين صورة الإسلام وطرح الإسلام المعقول، وأنا في نفس الوقت لا أريد أن أتكلم عن الإسلام الصحيح والإسلام الحق لأن هذا يجرنا دائماً إلى أيّ إسلام هذا الإسلام؟ ولكن هناك الكثير في الإسلام الذي نتفق عليه جميعاً، فيجب أن نعمل فيما نتفق عليه ونترك ما نختلف فيه لمشيئة الله سبحانه وتعالى، ونحاول أن نجمع الشمل ونوحد الكلمة والصف (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

علينا أن نغير الكثير من مواقفنا الكلاسيكية القديمة دون أن نضحي بهويتنا الإسلامية وبتراثنا الإسلامي

❖ في رأيك ماذا قدم الإعلام الإسلامي حول تحسين صورة الإسلام والمسلمين في الغرب؟ وأنت تعرف أن الإعلام الإسلامي مصادره دائما غربية؟؟

من جانب آخر نرى أن الغرب يسعى الآن إلى صياغة الإسلام صياغة غربية أو تكييف الإسلام على نمط غربي فكيف تنظرون إلى هذه المسألة؟

❖ في الغرب وفي أمريكا بالذات هناك فرص كثيرة لنشوء إعلام إسلامي موضوعي ومتزن وأعلام إسلامي شمولي التغطية، هذا ممكن، ولكن المسلمين

يفضلون إنفاق ثرواتهم بطرق أخرى فغفر الله لنا ولهم.

أنا اعتقد انه ليس هناك مانع في الغرب عموما من نشأة إعلام إسلامي جيد، والكثير يتحدث في هذا الموضوع في عدد من الفضائيات وكذلك في المؤتمرات والملتقيات، وحتى في هذا المؤتمر سمعت عدداً من المتحدثين يطالبون بإنشاء فضائيات إسلامية، ولكن مجرد إنشاء فضائيات لا يكفي فلا بد من أن تكون هناك وسائط وشخصيات لها علم وإحاطة بالأمور وهذه موجودة في العالم الإسلامي، ولكن لا بد أن نجند الطاقات بما فيه خير الأمة والدين.

أما بالنسبة للجانب الثاني فالكثير من المثقفين الغربيين الآن يريدون أن يتحدثوا عما يسمونه (CULTURE MOSLEMS) يعني مسلمي الحضارة وهكذا كانوا يتحدثون عن مسلمي البوسنة ونحن نعرف أن مسلمي البوسنة هم مسلمون أتقياء ومدينة سراييفو كانت وما تزال مركزا ثقافياً إسلامياً عميقاً، فهم لا يريدون هذا.

وأسمح لي أن أتوسع قليلاً في هذا الموضوع (المثقفون اليهود) منذ ما قبل حضورهم إلى أميركا فشلوا هم بين ما يسموه الحضارة و التاريخ أو الانتماء التاريخي لليهودية والتدين اليهودي، فيمكن للإنسان ـ وهو ينطبق على كثير من يهود أوروبا وأميركا ـ أن يكون يهودياً أو حتى صهيونياً متشدداً ولا يؤمن بالله، وأنا قابلت حتى بعض اليهود في أمريكا، وكنا نشترك في ندوات وهم يقولون لي نحن لا نؤمن بالله، نحن نؤمن بمصلحة الشعب ولكن نحن لا نعرف الله، فالكل يريد للمسيحيين والمسلمين أن يكونوا هكذا أيضاً، وإلى حد ما نجحوا بالنسبة للمسيحيين المثقفين وإن كانت هناك ردود فعل لأن المسيحية والإسلام ـ مع الأخذ في الاعتبار كل الفروق بينهما غير أنهما ـ ديانتان ترتكزان على العقائد، يعني أن هناك عقائد معينة بدونها المسلم لا يكون مسلماً والمسيحي لا يكون



رغم فقده نعمة البصر إلا أن له بصيرة متقدة..
يتصفح أحد المواقع على الإنترنت

مسيحيًا. وأنا في جامعة (تمبل) أُدرّس الإسلام، ودائماً عندما أنتهي من الفصل في تدريس الإسلام إما بشكل عام أو القرآن الكريم أو التصوف أو غيره؛ هناك ينشأ عند الكثير من الطلاب المسيحيين أو اليهود نوع من التعاطف مع الإسلام، ولكن أنا لا أستطيع أن أستغل هذا التعاطف لطرح الإسلام بحيث يعتنق هؤلاء الطلاب الإسلام، لأنه إذا عرفت الجامعة أنني أُبشر بالإسلام فأنا أُفصل، لأن الجامعة (تمبل) تابعة للحكومة والحكومة الأميركية تفصل بين سلطة الدين وسلطة السياسة، فأنا من الممكن أن أُدرّس الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي وحتى التصوف الإسلامي والفلسفة الإسلامية ولكن لا يمكن أن أُبشر بالإسلام. فهذا واقعنا في الغرب، وأنا هذا الذي أخشاه على المسلمين الشباب من أكثر من قصة التغريب الذي هو مشكلتنا كلنا.

ولا بد من الفصل بين الإسلام وصورة الإسلام، الإسلام شيء وصورة أو صور الإسلام شيء آخر، وهنا أيضا لابد من أن نفرق بين الإسلام بمعنى المبادئ

والأركان والأصول الأساسية للإسلام، والحضارة الإسلامية، فالأسس والمبادئ والأركان تبقى هي هي، ولكن الصورة تتغير وفق الزمان والمكان. أما أساسيات الإسلام فتبقى في كل مكان وزمان.

إن المشكلة أن يقول الإنسان أنا مسلم ويشرب الخمر أو يقول أنا مسلم ويأكل لحم الخنزير، هذه هي المشكلة،في حين أن على المسلم ألا يتخلى عن هويته الإسلامية، المسلم دائماً يحافظ على هويته الإسلامية، ولكن هذه الهوية تصبح فقط هوية تاريخية وحضارية وليس لها معنى إن لم يكن لديه التزام إسلامي ومواظبة على ممارسة الفرائض والعبادات الإسلامية، فهذه مشكلة كبيرة بين الشباب المسلم في الغرب. وأنا أرى أن صورة الإسلام ليست مشوهة إنما صورة المسلمين هي المشوهة لدي الغرب لأن الغرب قد استفادوا كثيرا من الإسلام حتى قوانينهم في معظمها مستمدة من الإسلام.

❖ أنت أستاذ الدراسات الإسلامية والأديان المقارنة، كثيرون يقولون ان دين الله واحد وانما تعددت الرسالات والشرائع وتنوعت، كيف تنظر إلى هذه المسألة وأنت أستاذ متخصص في هذا الجانب؟

❖ أنا أقول إن الدين واحد فقط من حيث الجوهر، وكل الأديان حتى الأديان التي نسميها «الوثنية» ليست وثنية، فمثلاً عندما نرى شخصا يعبد شجرة فهو يرى قوة وراء هذه الشجرة خلقته وخلقت هذه الشجرة، ولكن هذه الشجرة تكون بمثابة وسيلة، فكما جاء عن العرب قبل الإسلام إذا سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله. إذاً أنتم لماذا تعبدون آلهة أخرى؟ جوابهم : ليقربونا إليه زلفى. إذاً الإسلام جاء من أجل أن يُعيد الناسَ إلى دين إبراهيم وإلى التوحيد الذين كانوا يعرفونه. فمن هذا المنطلق وهو الإقرار بوجود خالق نجد أن الدين واحد، ولكن الأديان تختلف، نحن نقسم الأديان إلى قسمين:

الأديان النبوية أو الأديان السماوية التي ترتكز على كتاب منزل من عند الله وهي الزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلام. والقسم الآخر أديان الحكمة كما نسميها وهي أديان الهند والصين واليابان، الآن لكل من هذه الأديان نظرة خاصة إلى العالم والكون والوجود والخالق، فمثلاً الأديان السماوية إجمالاً بما فيها الزرادشتية تقول إن الله هو الخالق لها العالم. والتاريخ له بداية وله نهاية يبدأ بالخلق وينتهي بالحساب والقيامة، ولكن أديان الحكمة في الهند والصين واليابان وغيرها تقول أكثر بالنظرة الدورية للتاريخ، التاريخ ليس له بداية وليس له نهاية، ولكن كل ما يحدث في التاريخ حدث مرات لا حصر لها، وسيحدث أيضاً مرات لا عدّ لها. وهذا طبعاً له مضاعفات مهمة جداً في ما يتعلق بنظرة الإنسان للكون والخالق حتى بين الأديان السماوية، مثلاً المسيحية ترتكز على فكرة أن الإنسان خاطئ، وهم ينطلقون مما يسمونه الخطيئة الأصلية أو الخطيئة الأولى (خطيئة آدم). نحن في الإسلام نقول لا. صحيح أن آدم أخطأ ولكنه تاب عن خطيئته وتاب الله عليه وانتهى الأمر. إذاً لا حاجة في الإسلام إلى عمل إلهي فدائي كما في المسيحية.

كل نظام إسلامي معاصر لا يكون من عمل شخص واحد بل لا بد أن يكون مشروعاً من عمل الخبراء والعلماء والسياسيين والمفكرين والمثقفين وعلماء العلوم الطبيعية كما علماء الدين

هذان المنظوران للعالم إلى حد بعيد يجسمان الفكر السياسي في الغرب وفي العالم الإسلامي، مثلاً من دواعي الفكر المسيحي حول الخطيئة الأصلية أن الإنسان دائماً يشعر بالذنب.

وكما قلت الفروق بين الأديان ليست مجرد فروق سياسية أو فروق فلسفية أو فروق لاهوتية، ولكنها فروق تؤثر على السياسة وعلى المجتمع وعلى سير

التاريخ لهذه الشعوب، فالأديان في جوهرها واحدة ولكن في ظواهرها كثيرة جداً.

❖ **هل نقول تعدد الشرائع وليس الأديان بناء لما تفضلت بالإشارة إليه؟**

❖ لأن كلمة شرائع لها مضمون خاص أو مدلول آخر..

❖ **وأنت ذكرت أن الزرادشتية دين سماوي؟**

❖ نعم لأن زاردشت كان قد نادى بعقيدة التوحيد، وكان يؤمن بالإله (أهورا مازدا)، وحتى الآن الفرس يسمونه (يزدان) وأن (أهورا مازدا) هو إله الخير والخالق لجميع الأشياء، وكان يؤمن بالبعث والحساب وبعض علماء المسلمين اعتبروا زرادشت نبيا، وإن تقديس النار لا يعني عبادة النار، و زرادشت ما كان يعبد النار ولكن النار كانت عنده رمزاً للقداسة والطهارة ، لأن الزرادشتية القديمة غير الماجوسية قامت على أن ما كل في الأرض مقدس مثلاً «الهواء مقدس والماء مقدس والأرض مقدسة والنار هي أقدس المقدسات» وما كانوا يعبدون النار هكذا لأنها نار. وأنا أعتقد مثلاً في القرآن الكريم ليس هناك ذكر أو دليل على قضية عذاب القبر، ولكنها وردت في الحديث، وأول ما وردت فكرة عذاب القبر في الديانة الزرادشتية، وأنا كمؤرخ أديان لا يمكنني إلاّ أن أتساءل إلى أي مدى يمكن أن نقول إن هذه العقيدة الزرادشتية التي تقول بقيامة الأجساد وبحشر الأجساد قبل اليونان وقبل اليهود، لأن كتب التوراة العبرية الأولى لا تقول بالقيامة، الكتاب الوحيد الذي يذكر القيامة مباشرة هو (سفر دانيال) الذي كتب على الأرجح في منتصف القرن الثاني قبل ميلاد المسيح، بعد أن اتصل اليهود بإيران والحضارة الإيرانية، إذاً ماذا نقول عن هذا؟ حتى فكرة جهنم لم تكن واردة بالتوراة، كان هناك ما نسميه بالعالم السفلي، ولكن في الإنجيل نرى أن جهنم هي النار أو بحيرة النار، حيث يكون البكاء وصرير الأسنان. وجهنم في الوصف القرآن شيء مخيف. فمؤرخ الأديان ـ للأسف ـ من الصعب عليه أن يقول لا يوجد إلاّ دين واحد، لأن الأديان متعددة أو متنوعة.

❖ **كيف تقرأ مسألة الأصالة والمعاصرة؟ والتغريب والحداثة؟**

❖ ما من شك في أن هناك ظاهرة معروفة وكتب فيها بعض المفكرين المسلمين من أمثال الشيخ البهي رحمة الله عليه وغيره، وهي ظاهرة التغريب والحداثة، ولكن أنا أعتقد بأننا قد نغالي في هذا الموضوع، يعني الإسلام هو أيضا غربي ونحن المسلمبن ورثة النبي إبراهيم عليه السلام وأرسطو كما المسيحيون واليهود، فعندما كان للإسلام حضارة قوية ومتينة كانت هذه الحضارة أيضا مرنة، هي تلك الحضارة التي سمت أرسطو المعلم الأول ولم تتوانَ في قبول الفلسفة الإغريقية القديمة ولكنها صاغتها بصياغة إسلامية تلائم العصر الذي عاش فيه مثلاً ابن سينا أو ابن رشد وغيره.. لماذا نحن الآن نريد أن ننكر الواقع؟ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 140]

لا بد من أن نتعامل مع الأمور بحكمة ولا نتعامل مع الأمور بسلبية مطلقة

الآن الغرب هو المنطقة التي تملك التقنية والإمكانيات العلمية، فلا بأس أن نأخذ من أي مصدر، ولكن دون أن نضحي بشخصيتنا وهويتنا الإسلامية، وأنا دائما أقول ربما هو من باب الغرابة والسخرية أن يذهب إنسان إلى أميركا ليتخصص بالدراسات الإسلامية، ولكن أنا لا أنكر أن (جامعة برنستن) مثلا في أميركا لديها أفضل مكتبة في العالم في ما يتعلق بالدراسات الإسلامية، وليس فقط باللغة العربية ولكن بكل اللغات الإسلامية، أين نجد هذا في عالمنا الإسلامي؟ لذلك أنا أقول لطلابي أنا لا أريد أن تتعلموا الإسلام من الغرب ولا مني أنا أريد منكم أن تتعلموا مني منهجية البحث الغربية، وأنا أعتقد أنها

منهجية جيدة وصالحة، وأنا أوافق على خطورة التغريب والحداثة، ولكن أقول إن هذه الظاهرة ليست جديدة، فالمسلمون كانوا يأخذون الحكمة من كل مكان وكما جاء في الأثر (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) وفي اعتقادي أن هذه ليست المشكلة الأساسية. وإن الإسلام بخير هنا وحتى في الغرب، فمثلاً نحن عندما نذهب لصلاة العيد في أي مدينة في أميركا تكاد لا تجد مكاناً تجلس أو تقف فيه.. الحمد لله المسلمون كثر وما يزال الإسلام أكثر الأديان انتشاراً في العالم فالمشكلة ليست مشكلة الإسلام بل هي مشكلتنا نحن المسلمين الذين نحتاج إلى قيادات رشيدة وحكيمة ونحتاج إلى الوحدة والقوة وألا نتمزق كما نحن عليه الآن، هذه هي القضايا المهمة، وأنا أعتقد بأن من الأسباب المباشرة لتحسين صورة الإسلام هو قوة المسلمين، فعندما نكون أقوياء ينظر إلينا الناس بنظرة أخرى.

❖ وماذا عن المصطلحات والمفاهيم التي تأتي في ظل الغزو الفكري، حيث هناك مفاهيم ومصطلحات نرى أن لها معنى خاص في مفهومنا الإسلامي، ولكن الغرب يريد منا أن نفهم هذا الشيء وفق مفهومهم هم، مثلاً حرية المرأة أو حقوق المرأة... إلخ؟؟

❖ في ما يتعلق بالمصطلحات هذا موضوع مهم جداً، وفيما يتعلق بالمرأة أنا في نظري أرى أن حقوق المرأة ليست مصطلحاً ولكنها حقيقة، ونحن نعرف أن الفقه الإسلامي يرتكز باختصار على ثلاثة مصادر مهمة: المصدر الأول هو القرآن الكريم، والثاني هو السنة النبوية، والثالث هو العرف. والكثير من صور تعامل المجتمع الإسلامي مع المرأة نابع ليس من القرآن ولا من السنة ولكن من العرف. وأنا أعتقد بأن هناك مجالاً كبيراً لتحسين أوضاع المرأة في العالم الإسلامي. ونحن لا يمكن أن نستغل الإسلام لدعم سلطة الرجل المطلقة، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: الآية 21]

كيف تكون هذه المودة والرحمة إذا كانت المرأة سلعة أو عبداً؟. ولكن حقوق المرأة هذه لا تزال من القضايا التي لا بد للمجتمع الإسلامي أن يتعالى معها وأن تنبع هذه الحقوق ليس من الفكر الغربي ولكن من واقعنا نحن التاريخي والاجتماعي، وأنا أعتقد أن هناك الكثير التي يمكن أن يصنع في ما يتعلق بحقوق المرأة، وهنا لا بد من أن أشير إلى أن ما قامت به الجماهيرية الليبية خصوصاً بعد الثورة مهم جدا أعطى المرأة حقوقاً لم تكن تتمتع بها قبل الثورة.

وهناك مصطلحات أخرى قابلة للبحث أكثر والنقاش، مثلاً الجهاد، أنا أحاضر كثيراً وأكتب كثيرا في معنى الجهاد (جهاد النفس والجهاد في الله والجهاد في سبيل الله والجهاد الاجتماعي والجهاد في القرآن والجهاد المسلح وشروطه) وكل هذه الأمور، هذه تحتاج إلى توضيح، لأنهم دائماً ينظرون أو يفهمون الجهاد على أنه القتل والقتال والضرب والنهب ربما !! والأمر ليس كذلك.

هناك فرص كثيرة لنشأة إعلام إسلامي موضوعي ومتزن وشمولي التغطية

❖ باعتبارك أحد المثقفين المسلمين في أميركا، هل هناك من دور للمثقفين المسلمين هناك لتجميع كلمة المسلمين في مؤسسات اجتماعية وثقافية حتى يصبح في المستقبل قوة ضاغطة في المجتمع الأمريكي ومؤثرة على الأحزاب والقوة السياسية؟ أم أن واقع المسلمين لا يبشر بذلك؟

❖ أعتقد أن واقع المسلمين في أميركا يبشر بالخير الكثير، أنا من الناس الذين لا يحبون التشاؤم ودائما أتفاءل، لأنني هنا أنا أعتمد على الوعد الإلهي الذي لا يمكن لأحد منا أن ينكره:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر: الآية 9]

والذكر يعني القرآن هنا لا يعني حفظه في صدور الناس وفي الكتب والمصاحف والتسجيلات ولكن أيضا في حياة الناس، والإسلام ينتشر بسرعة في أميركا، وأنا أعتقد أنه في الانتخابات التي مرت قريبا والانتخابات قبل أربع سنوات كان هناك حضور إسلامي مهم، أنا لا أقول إن المسلمين أصبحوا أو وصلوا لدرجة ما يمكن أن نسميه كتلة قوة في أمريكا {POWER BLOCK} ولكن أنا أعتقد - إن شاء الله - أن هذا سيكون، وأنا عندي أيضا تفاؤل أبعد من هذا، وإذا رجعنا إلى التاريخ الإسلامي نرى أنه كل دولة إسلامية قوية بناها الغزاة فلما جاء المغول مثلا المنغول المغول إلى بلاد الإسلام وقضوا على كل شيء وأحرقوا بغداد وأنهوا الخلاف العباسي ثم أسلموا وبنوا دولا مهمة جدا حضاريا في منطقة إيران والعراق وأواسط آسيا، وكذلك الأتراك لم يكونوا مسلمين في بادئ الأمر ثم إنهم غزوا وأسسوا دولة إسلامية قوية دامت أربعة قرون، فربما هناك حديث (... في آخر الزمان تخرج الشمس من مغربها) الشمس ليست هي فقط الشمس التي تضيء لنا حياتنا ولكن أيضا شمس المعرفة، ولهذا فأنا أعتقد أنه في الغرب عندنا قدْرٌ من الحرية والحصول على التكنولوجيا التي يمكن أن تؤثر في نهاية الأمر على نهضة جديدة في العالم الإسلامي التي يمكن أن تنهض بالمسلمين إلى ما هو خير، وأنا مع كل الظلام الذي نعيشه الآن نتيجة أحداث 11 / 9 أنا لا أزال متفائلا بأن الإسلام سيبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلا تقنطوا من رحمة الله، وأنا أعتقد أن انتشار الإسلام في الغرب هو لحكمة إلهيه قد نراها أكثر وضوحا في ما بعد.

❖ في السنوات الأخيرة ظهرت فكرة الحوار بين الأجيال، وكان هناك تجاوب من عدد من العلماء والمثقفين المسلمين لهذه الفكرة، كيف تقيّم أنت تجاوب الغرب وأميركا بالخصوص مع هذه الفكرة وخاصة المفكرين ورجال الدين والساسة في ظل هذه الهجمات التي نراها؟

❖ أنا أعتقد أن الحوار ضروري وأنا متأكد أن هذا الحوار مع الآخر هو ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى حيث يقول:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [سورة العنكبوت: الآية 46]

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم - وحتى في السيرة النبوية - تحض على ذلك، خذ مثلا قضية نصارى نجران والسماح لهم بالصلاة في مسجد الرسول، وكثير من النصوص والأحداث تؤكد على أهمية الحوار.

وأهمية هذا الحوار - في ما يتعلق بالعصر الحاضر - أعتقد أنه مهم، على الأقل تأليف قلوب الناس بالتعاطف مع الإسلام. واسمح لي أن أشير إلى أنني ذهبت مرة إلى الكنيسة وتحدثت عن الإسلام وقد سُرُّوا كثيرة بما قلت، وكانت كنيسة بسيطة فأعطوني (50 دولاراً) فأنا قلت لا، هذه الـ (50 دولاراً) أريد أن أتبرع بها للكنيسة، وطبعاً هذا كان له وقع إيجابي جدا، وقلت لهم في أي وقت تريدون أن أعود وأتكلم فليست هناك مشكلة وأنا لا أريد مكافأة مالية على هذا.

الحوار الآن أصبح قضية مهمة جدا في العلاقات المسيحية - الإسلامية، والإسلامية - اليهودية أيضاً، وفي واقع الأمر نجد أن الإسلام في الكثير من مفاهيمه وطقوسه أقرب اليهودية منه إلى المسيحية، فأنا أعتقد أنه لا بد من حوار مع اليهود لإبراز حضارة غنية مشتركة بين اليهود والمسلمين، فأول من ترجم التوراة أو ما نسميه العهد القديم إلى اللغة العربية هو (سعدي الفيومي) وكان رأس اليهود في زمانه. فالحوار مهم جدا في نظري، وربما أصبح أكثر أهمية بعد أحداث 11 / 9 عندما نقم الناس على المسلمين، من دافع عنا؟ عدد من الكنائس، وخاصة الذين يعرفون جيرانهم المسلمين ويقيمون معهم حوارا بين المسجد والكنيسة أو بين المسجد والمجمع اليهودي، فالحوار مهم، ولا يمكن تقويم نتائج الحوار، أو قياس

مدى فعالية أو نفع الحوار، هذا شيء لا بد أن يستمر ومنافعه دائما تزداد وتتنامى على المدى البعيد.

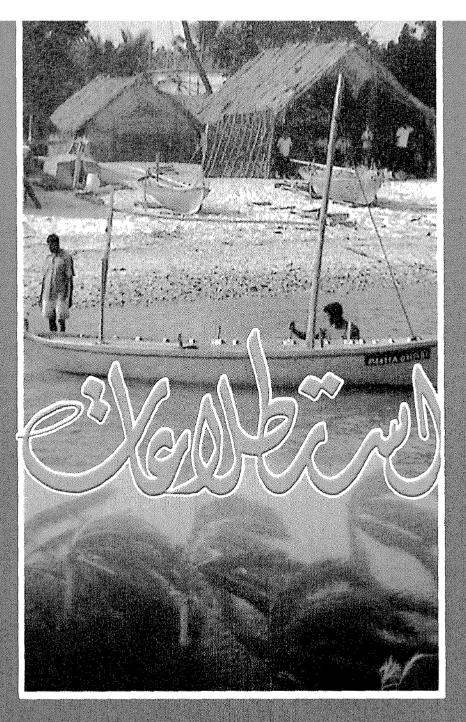
❖ **وماذا عن الصهيونية المسيحية، والصهيونية الإنجيلية التي تسيطر على مراكز القرار في الغرب وتوجهه وفق أيديولوجيتها؟**

❖ الصهيونية المسيحية هي تنقسم إلى قسمين، وأنا هنا سأتحدث باختصار شديد، القسم الأول ممكن أن نسميه بالصهيونية المسيحية المثقفة، هؤلاء الناس الذي يرون أن المسيح بالدرجة الأولى كان يهوديا وحاخاما يهودياً، وهذا تاريخياً بالنسبة للأناجيل صحيح، وأن اليهود لهم حق في بناء دولة ترعى حقوقهم لأنهم عانوا الكثير من الاضطهادات في العالم الغربي، وبالتالي نجد أن هؤلاء الناس يدعمون أحقية دولة إسرائيل في البقاء، وبعض هؤلاء يأخذون مواقف متشددة جدا، حيث يبيحون لإسرائيل أن تفعل أي شيء في سبيل الحفاظ على الكيان الصهيوني في إسرائيل.

النوع الثاني من الصهيونية المسيحية هو ما يمكن أن نسميه «الصهيونية الإنجيلية» وهؤلاء المسيحيون اليمينيون المتطرفون الذين ينتمي إليهم مثلاً (جورج بوش) و(فرانكلين غراهم) ابن بللي غراهام الذي أرسل المبشرين إلى العراق وأعتقد أنهم انسحبوا لأن المقاتلين أخافوهم وأرعبوهم وأجبروهم على الانسحاب. على كل حال الصهيونية الإنجيلية تدعم الكيان الإسرائيلي ولكن ليس حباً لليهود ولا تعاطفاً معهم، ولكن بقناعة أو ما نسميه (Eschatology اسكاتولوجيا) يعني قناعة في ما يتعلق بنهاية العالم، حيث يرون أنه لا بد من رجوع اليهود كلهم إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل حتى يأتي المسيح مرة أخرى، أو ما يسمونه المجيء الثاني للمسيح. ولهذا المجيء هناك علامات مهمة منها ما يطلق عليه معركة (هرمجيدون) أو معركة (سهل مجيدو) في فلسطين، وفي هذه المعركة يموت كل الناس إلا المسيحيين اليمينين الذين يُختطفون حتى يُلاقوا المسيح في الهواء، أو بعض اليهود الذين يعتنقون المسيحية في نهاية الأمر. فهذه (الصدقات اليهودية) بطريقة شنيعة جداً يستغلون سذاجة هؤلاء الناس وقراءتهم الحرفية للتوراة أو كتب العهد القديم، خصوصا كتاب (دانيال) لمصلحة إسرائيل على المدى القريب، وهؤلاء أقوياء جدا، وهم أنشأوا في إسرائيل شيئا سموه السفارة الدولية المسيحية في فلسطين، وهم يؤثرون على السياسات الأمريكية تأثيراً مباشرا، و ينفقوم الأموال الباهظة في سبيل دعم الكيان الإسرائيلي، ويشجعون الإسرائيليين على هدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وكنيسة القيامة المسيحية لإعادة بناء الهيكل اليهودي الذي دُمّر في سنة سبعين للميلاد.

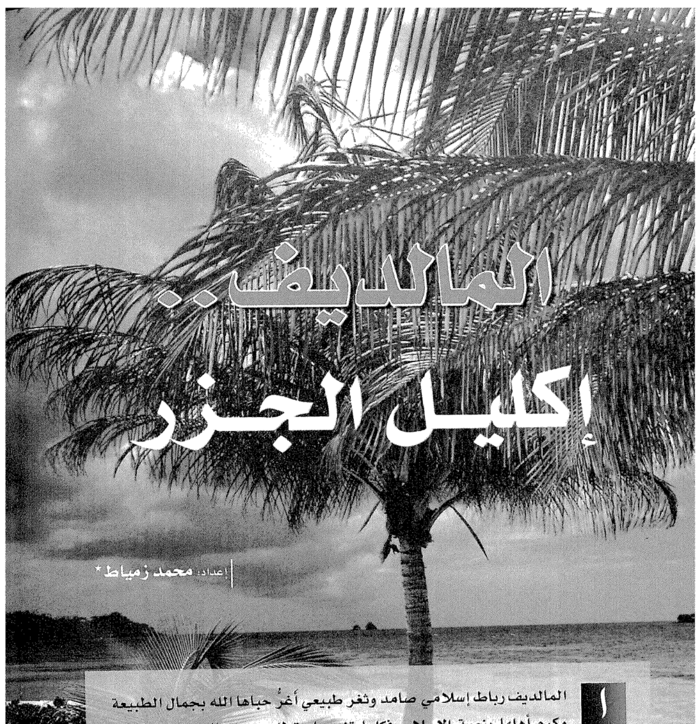
الهوية تصبح فقط هوية تاريخية وحضارية وليس لها معنى إن لم يكن لدى المسلم التزام إسلامي ومواظبة على ممارسة الفرائض والعبادات الإسلامية

وفي الحقيقية فإن الصهيونية المسيحية في كلا شكليها ـ في نظري ـ بشعة وقذرة وصعب التعامل معها، وهذه مشكلة، يعني أنا أعتبر نفسي مسلماً لبرالياً ولا أريد التطرف في أي شيء، ولذلك سياسياً وفيما يتعلق بالسياسة الأميركية أنا مع الحزب الديمقراطي أكثر من الحزب الجمهوري، ولكن إجمالاً الكثير من أعضاء الحزب الديموقراطي هم من هؤلاء المسيحيون الصهاينة (أو صهينة المسيحيين المثقفين) فماذا يفعل الإنسان؟ في الكثير من الأحيان أقول أنا ذهبت إلى أميركا كطالب سنة 1964ف، وأعطيت أميركا الكثير وأعطتني أميركا الكثير أيضاً، وأنا في بعض الأحيان أقول أنا سوف أترك أميركا وأعيش في كوخ صغير وبسيط في لبنان، أو في طرابلس الغرب أو في أي مكان أستمع إلى الأذان في كل صباح والحمد لله، ولكن ربما أفعل هذا في ما بعد ولكن الحياة ليست سهلة بالنسبة للمسلم المثقف في أميركا.



❖ المالديف .. إكليل الجزر

❖ تسونامي .. الموت الأزرق



المالديف.. إكليل الجزر

إعداد: محمد زمياط*

المالديف رباط إسلامي صامد وثغر طبيعي أغرُّ حباها الله بجمال الطبيعة وكرم أهلها بنعمة الإسلام، فكلما تزورها وتطل من الطائرة على جزرها الساحرة ويسعفك الحظ أو تراعى أن تحلق في أجوائها نهاراً، تكتحل عيناك بمشاهدة مناظر طبيعية أخاذة تشترك في تكوينها روعة الخضرة، وزرقة المياه، وبياض الرمال التي تتوشح بها جزرها الخلابة، وأفق رائق يمتد أمام ناظريك مرأى البصر ليتواصل مع زرقة السماء، فكأنَّ إرادة الله سبحانه وتعالى، وهو المنعم المفضال، أرادت أن تعوض هذه السعة اللامتناهية صغر حجم جزر هذا الأرخبيل حتى لا يشعر قاطنوها أو زائروها بالضيق والملل، فكلما ركنوا إلى أنفسهم وسبحوا ببصرهم وبصيرتهم في ملكوت الله، واستغرقوا وهم يستمتعون بجمال الكون، ويتأملون دقة المصنوع، ويتفكرون في عظمة

* كاتب / مندوب الجمعية في المالديف



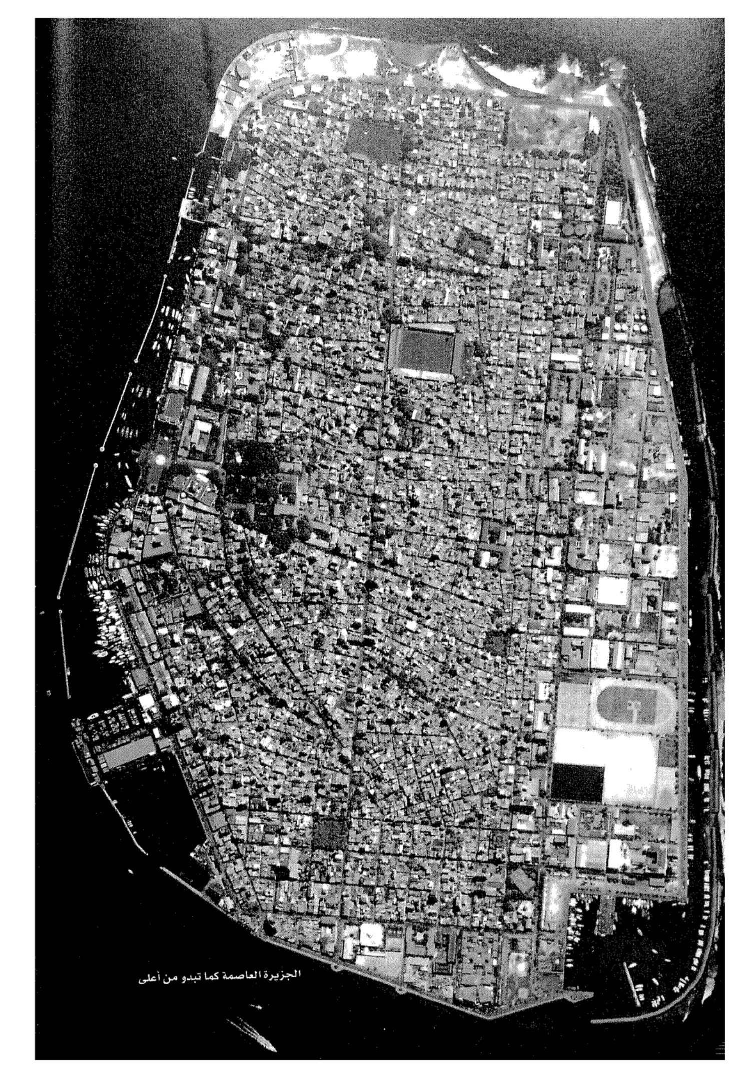
الطبيعة ومياه المحيط... هدوء وتناغم في المالديف

الصانع بارئ الوجود وفاطر السماوات والأرض، لا يقطع استغراقهم هذا إلا صوت أمواج المحيط الهندي وهي تداعب جُوديَّ تلك القطع السندسية المتناثرة بشكل منتظم على صفحة مياهه، فيجهرون بما كان يتردد في جنباتهم من تسبيح وذكر وشكر لله: سبحان الله ـ تبارك الله أحسن الخالقين، مردفين: لقد كان الرحالة العربي ابن بطوطة الذي مر بها في رحلته من الهند إلى الصين دقيقًا في وصفها بأنها: (إحدى عجائب الدنيا ولوحة عائمة بجمال الطبيعة الساحرة، وهي نحو ألفي جزيرة إذا وصل المركب إلى إحداها فلا بد له من دليل من أهلها ليسير به إلى سائرها)، وأصاب كبد الحقيقة الأديب الدكتور حسين فوزي عندما نعتها بأنها (جنة الله في الأرض)، ولم يبالغ زائروها حينما يتحدثون مشدوهين وهم ينقلون انطباعاتهم عنها، أنهم وجدوا فيها جنة للطيور البحرية ومشهداً رائعاً للحياة الطبيعية. في ظلال أشجارها الوارفة، ونغمات شقشقة طيورها الصداحة، ونعومة رمال شواطئها المنعشة، ورقة مياهها الصافية ـ المهربُ من ضجيج المدن وتلوثها، وصخب الحياة المعاصرة وتعقدها، للعيش أسعد اللحظات وامتعها في كنف طبيعة خلابة ساحرة لم تعبث بها يد الإنسان بعد.

المالديف: الاسم والموقع

المالديف أو كما ينطقها الافرنج اليوم (Maldives) نقل الرحالة العرب بأنها تسمى (ذئبة المهل) وقد يكون هذا تصرفاً منهم في اسمها باللغة المالديفية (مال ديب) نتيجة للاختلاف في نطق بعض الحروف والتقديم والتأخير في الكلمات بين اللغات.

وهذا الاسم يتكون من كلمتين: (مال) وتعني



الجزيرة العاصمة كما تبدو من أعلى

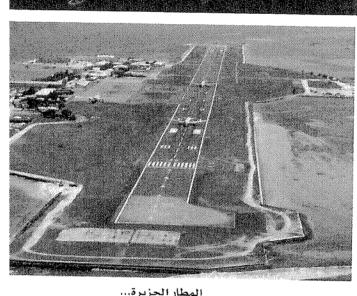
(إكليل) و(ديبَ) وتعني (جزر) فيكون اسمها:(إكليل الجزر).

وبالنظر إلى خارطة المالديف والتأمل في الشكل الذي يرسم موقع ارخابيلها على صفحة مياه المحيط الهندي فسنراه يمتد من الشمال إلى الجنوب في خطين منحنيين متجاورين شبه ملتقيين عند طرفيهما مع وجود بعض الجزر خارجهما عند الجنوب ليتكون شكل يشبه إكليلاً أو عقداً تتدلى منه ذرر، مما يوحي بأن هذا الاسم لا يعدو أن يكون وصفاً لهذا العقد الفريد من الجزر المرجانية الرائعة الجمال التي تسبح في الشمال الغربي من المحيط الهندي بامتداد 820 كيلو متر وبعرض 130 كيلو متر على بعد 570 كيلومتراً من الشاطي الغربي لجزيرة (سيلان)، بينما يفصلها عن الجنوب الغربي لشبه القارة الهندية 480 كيلو متراً، وتكاد تصل بين جزيرة (لاكاديف) شمالاً وجزيرة (شاكوس) جنوباً وهي بمثابة قنطرة تصل بين الجنوب الغربي من قارة آسيا والجنوب الشرقي من قارة أفريقيا، ويمر خط الاستواء في جنوب أرخبيلها الذي يمتد ليجتاز دائرة عرض 7 شمالاً مما جعل مناخها استوائياً رطباً معتدلاً غزير الامطار الصيفية.

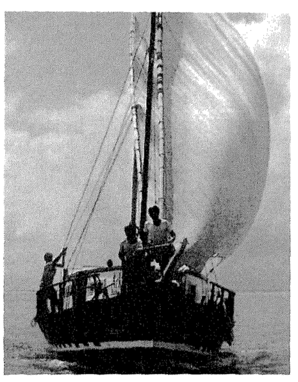
ويبلغ عدد جزر هذا الأرخبيل نحو (1198) جزيرة تذكر الدراسات الجيولوجية أنها تكونت من نمو حيوانات مرجانية على عتبة بحرية يفصل بينها خلجان سحيقة العمق، ومما يشاهد أن بعض هذه الجزر لا يزال في مرحلة التكوين بينما بعضها الآخر لايعدو أن يكون مجرد جسور تغطيها المياه.

ويبلغ متوسط ارتفاع جزر المالديف على سطح البحر (1,60) متراً وستين سنتيمترا، وهي جزر رملية


اكليل الجزر من الفضاء


المطار الجزيرة...

من شواطئ المالديف الهادئة


قارب شراعي لعله يحاكي القوارب التي استخدمها أوائل المسلمين

لايوجد فيها جبال ولا أنهار في حين يوجد في بعضها بحيرات ساحلية عذبة المياه.

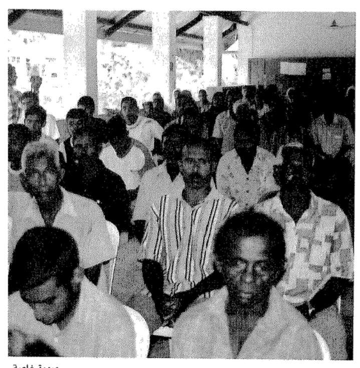
وهذه الجزر في مجموعها صغيرة الحجم بحيث لا نكاد نتبينها على خارطة العالم إذ لا تزيد مساحة أكبرها حجماً على 12 كيلومتراً طولاً، ولا يتجاوز عرضها 5 كيلومترات. وتبلغ المساحة الكلية للمالديف نحو (90,000) تسعين ألف كيلومتر مربع منها 298 كيلو متراً مربعاً فقط مساحة اليابسة، وتنقسم هذه الجزر طبيعياً إلى (26) مجموعة تسمى (أتول) وتنقسم إدارياً إلى (20) اقليماً ، ولا توجد بهذه الجزر معادن طبيعية وإنما تعتمد في اقتصادها على السياحة وصيد الأسماك، وإلى حد ما على الزراعة وبعض المصنوعات التقليدية.

صورة خاصة

قوارب واستراحات على الشاطئ

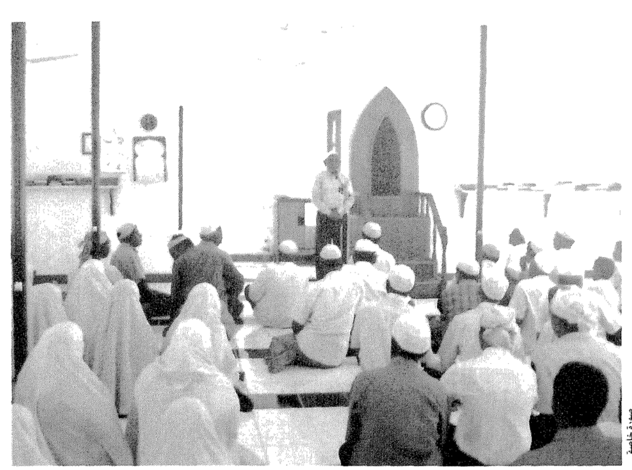
سكان المالديف

تذكر الدراسات الديمغرافية أن المالديفيين ينحدرون من الجماعات الآرية التي توجهت إلى هذه الجزر من شمال الهند قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ثم اختلطوا في المراحل التاريخية اللاحقة بالجنس العربي والجنس الأفريقي وبالهنود والسريلانكيين؛ فاختلط سكان الجزر الشمالية مع سكان جنوب غرب الهند، واختلط سكان الجزر الوسطى بالعرب القادمين من الجزيرة العربية وبالأفارقة الوافدين من زنجبار وبقية دول شرقي أفريقيا، بينما سكان الجزر الجنوبية كان اختلاطهم بغيرهم أقل لذا ظلوا يشبهون السهاليين.



صورة خاصة

سكان المالديف تنوع وتوحد



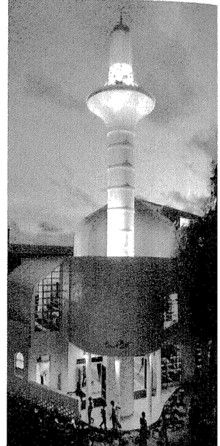
المسلمون في أحد المساجد

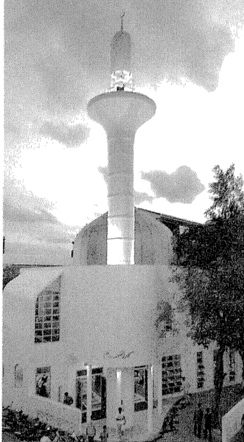
الإسلام والمالديف

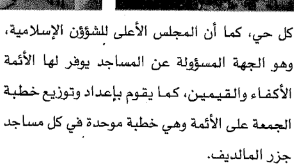
لقد عرف المالديفيون العرب الذين كانت قوافل سفنهم التجارية تذرع المحيط الهندي متنقلة بين مرافئ شبه جزيرة العرب وشرقي أفريقيا ومرافئ جزر المحيط الهندي وشواطئ جنوب وجنوب شرقي آسيا فاختلطوا بهم وصاهروهم قبل ظهور الإسلام، وما أن عم نور هذا الدين الجديد حتى حمل العرب معهم تباشيره إلى هذه الجزر النائية لتصافح شواطئَها أمواجُ المد الإسلامي الكاسحة وليَفسَحَ المجالُ أمام تعاليمه السمحة لتحاور العقول وتخاطب الوجدان وتمتزج بالمشاعر. كان ذلك مع بداية القرن التاسع الميلادي، فمنذ ذلك التاريخ وجد الإسلام له موقعاً في هذه الجزر وأحدث وقعاً في النفوس ولقي قبُولاً من القلوب واستحساناً من الناس، إلا أن البوذية ظلت هي الدين السائد فيها.

المساجد في المالديف

سبقت الإشارة إلى أن المساجد هي مكان العبادة الوحيد في جزر المالديف، ولقد توالى تشييد المساجد بها بعد بناء أول مسجد سنة «1153» مسيحي بالعاصمة (ماليه) والمعروف باسم (مسجد الجمعة) إلى أن أصبح عددها في الوقت الحالي يقدر بنحو «738» مسجداً منها 28 مسجداً بالعاصمة التي لا تزيد مساحتها عن 5 كيلومترات مربعة، ويلاحظ أن المساجد تفتح أبوابها طوال اليوم والليل وتحظى بالاهتمام الذي جعل منها المكان الأجمل والأنظف في



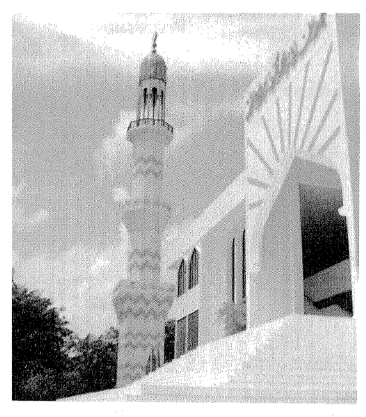




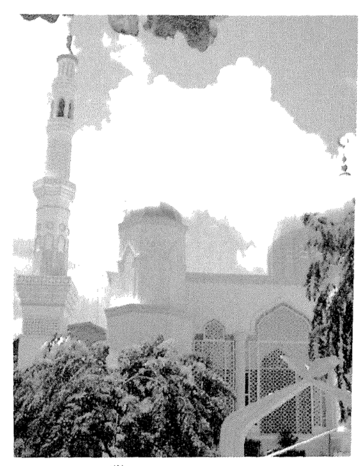
كل حي، كما أن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وهو الجهة المسؤولة عن المساجد يوفر لها الأئمة الأكفاء والقيمين، كما يقوم بإعداد وتوزيع خطبة الجمعة على الأئمة وهي خطبة موحدة في كل مساجد جزر المالديف.

معلم بارز بالعاصمة ماليه

إن البساطة المعمارية التي تطبع مساجد المالديف بوجه عام لم تخل دون تشييد عدد من المساجد خلال الثلث الأخير من القرن العشرين هي غاية في جمال الفن المعماري الإسلامي الذي يجمع بين الحداثة والأصالة ويغلب عليه الطابع المعماري الإسلامي الآسيوي. ومن أكبر وأجمل وأشهر هذه المساجد مسجد السلطان محمد تكروفان، وهو الرمز



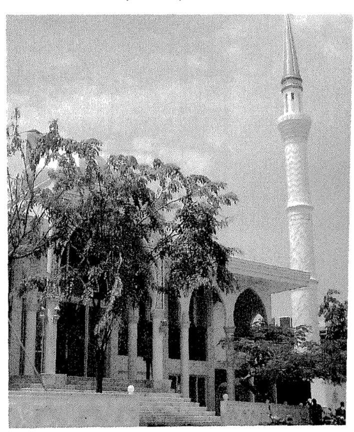
مسجد السلطان محمد تكروفان



مسجد محمد عبد الله



مسجد مين نارو وتبدو المئذنة ذات الطراز الفريد

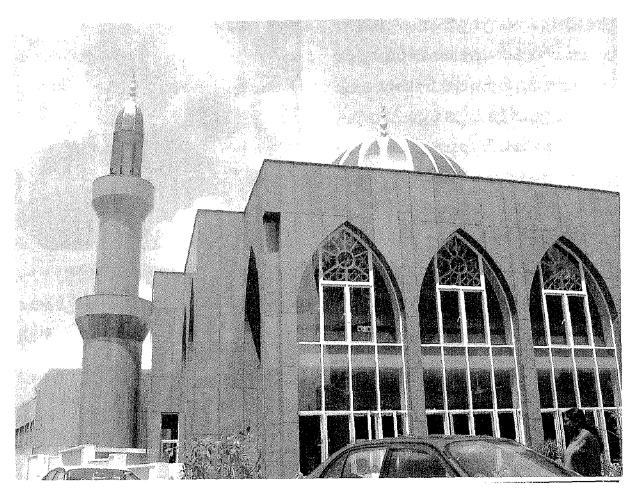


الوطني الذي قاد الشعب المالديفي في جهاده ضد الاستعمار البرتغالي.

ويسع هذا المسجد لنحو «10000» عشرة آلاف مصلٍ، وهو ضمن مرافق المركز الإسلامي إلى جانب المكتبة الإسلامية وقاعة المحاضرات والمرافق الإدارية التي يضمنها هذا المركز الذي افتتح سنة 1984 مسيحي وشارك في تشييده عدد من الدول الإسلامية ليكون صرحاً إسلامياً شامخاً ومعلماً من معالم البلاد التي تبرز هويتها الإسلامية لكل قادم من عرض المحيط.

الاستجابة الجماعية لداعي الله

كان منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد (سنة 1153 م)، على موعد ليخلّد الاستجابة الجماعية للشعب المالديفي لداعي الله، ويوثق دخوله

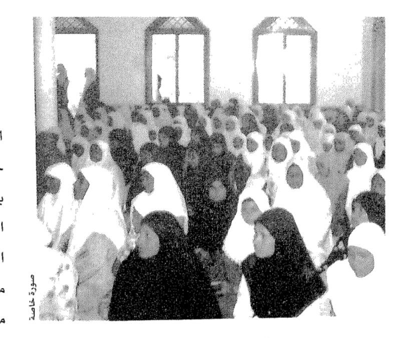


في دين الله أفواجا، و ليكون شاهدا على روعة انتشار الإسلام واقتحامه لعروش القلوب ومداخيل النفوس وهو يسجل هذا الحدث التاريخي الخالد الذي يعزز شهادة المستشرقة الإيطالية المنصفة (لورا فاغليري): (أيه قوة عجيبة تكمن في هذا الدين !!، وأية قوة داخلية من قوى الإقناع تنصهر به !!.، ومن أي غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداوة استجابة مزلزلة).

في هذا التاريخ يصل الداعية أبو البركات يوسف البربري إلى هذه الجزر النائية قادماً من أقصى الأرض منتقلاً من أطراف الصحراء الكبرى بأفريقيا إلى عرض المحيط الهندي قاطعاً هذه المسافات الطويلة من الفيافي والبحار والمحيطات في زمن كان الوصول إلى مثل هذه الجزر النائية ضرباً من المغامرة التي تحفها المكاره، ولم يدفع لخوض غمارها إلا الأمر العظيم والهدف السامي، ولا مَينٌ في أنه ليس هناك أسمى هدفاً ولا أعظم أمراً من الدعوة لدين الله الإسلام، لذا تضاءلت أمام داعيتنا المخلص المسافات واستهان بالمخاطر واستعذب المشاق وهو يحمل مشعل الهداية الذي أنار للمالديفيين طريقهم نحو دين الحق.

اخلاص وتضحية

هذا الداعية الفرد القادم من المغرب العربي لا تسانده جيوش فاتحة، ولا يحمل سوى كتاب الله وما أنعم الله عليه به من التفقه في الدين وما أسبغ عليه من صفات الورع والتقوى، وما يتحلى به من إخلاص النية والصدق في الدعوة لله، ولعلنا نتشوق إلى معرفة



ماالديفيات يحضرن إحدى اللقاءات العلمية

كيف تمكن هذا الداعية بمفرده من إهداء شعب بأكمله إلى الإسلام ؟؟.

يتناقل المالديفيون من خلال موروثهم الادبي الشعبي أقصوصة تختلط فيها الحقيقة المستندة إلى حيثيات ووقائع سجلها التاريخ ويشهد لها الواقع، بالخرافة الأسطورية التي يبدعها الخيال وتُسوِّغُها رقة المشاعر ومحض التسليم وبساطة التفكير.. تقول القصة ؛ ظل سكان المالديف لسنوات عديدة يعيشون مع بداية كل شهر محنة تكدر صفوهم وتنغص عليهم معيشتهم، فقد كان يتراءى لهم من عرض المحيط شبح أو عفريت من الجن ـ كما يعتقدون ـ يمتطي ظهر مركب تزينه القناديل، وكانوا رهبة منه واتقاء لشره أو طمعاً في رضاه، اعتادوا كلما حل موعد قدومه أن

(أبو البركات) و(أبو التركات) بين (ابن بطوطة) و(التازي)

في لقاء تمّ دون ترتيب، حالفني الحظ على غير المعتاد وحضرت حديثاً دار بين ثلة من العلماء وبعض من المهتمين بالعلم والثقافة والتاريخ، وكما جرت العادة لم يقتصر الحديث على قضية بعينها، كانت الذكريات تتوالى، والتعليقات تترى، بعضها يعود الى فترة لا تقل عن نصف قرن، وبعضها لم تمض عليه اكثر من بضعة ايام، وفجأة وجدتني على غير العادة أشارك في الحديث، والسبب كان (ابن بطوطة) رحمه الله، والذي يصفه الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي ـ والذي كان من بين الحاضرين ـ بأنه اعظم رحالة في التاريخ. لا ادري على وجه الدقة ما الذي شجعني على المشاركة في هذا الحوار الذي أبحرنا من خلاله جميعاً الى جزر المالديف، أما السبب فكان واضحاً بالنسبة لي، وهو أننا كنا نعد مواد العدد الخامس من هذه المجلة، ومن بينها استطلاع عن المالديف، أخبرت الحضور الكريم بذلك، والتقط الاستاذ التازي طرف الحديث ليقص علينا قصته مع (ابن بطوطة) و(أبي البركات) و(أبي التركات)...

ملخص ما تفضل به الأستاذ التازي ان الحسن الثاني ملك المغرب استدعاه ليستفسر منه عن شيء رآه جديراً بالاهتمام، وهو أن رواية (ابن بطوطة) عن دخول الاسلام الى المالديف كان عن طريق رجل يسمى (أبو البركات البربري)، لكنه سمع، أو نما إلى علمه، ان الأمر ينسب إلى (أبي التركات التبريزي)، والأستاذ التازي من المهتمين بابن بطوطة، فما عليه إلا أن يستجلي حقيقة هذا الأمر.

استقل الأستاذ التازي أكثر من طائرة من بلده المغرب الأقصى قاصداً جزر المالديف القصية ليقف بنفسه على حقيقة الأمر، فهو لن يقبل بسهولة أن يقع (ابن بطوطة) في خطأ تاريخي كهذا، وأظنه كان في قرارة نفسه منحازاً بشكل غير عادي الى (ابن بطوطة)، كيف لا، وهو كما اشرنا آنفاً يعتبره اشهر رحالة أنجبته البشرية. حط الاستاذ التازي عصا الترحال في (اكليل الجزر: المالديف)، وبدأت رحلة بحث من شأنها ان تضع حداً لهذا الخلط بين (التاء والباء) في (ابي التركات وابي البركات) والخلط بين (التبريزي والبربري)...

يقترعوا فيما بينهم لانتقاء فتاة بكر يقدمونها له، فيدخلونها (بدخانة) أي معبداً على ضفة المحيط لها كوّة ينظر منها إليه، لتمضي هناك ليلة وعندما يأتونها في الصباح يجدونها قضت نحبها. وبقيت هذه الحال حتى قدوم أبي البركات البربري، الذي لم يتردد عندما وقف على هذه المحنة في أن يعرض على أهل الجزيرة المبيت في المعبد بدلاً ممن وقعت عليها القرعة، ودخل أبو البركات (البدخانة) متوضئاً ثم أخذ يتلو القرآن الكريم ويصلي حتى الصباح، فلما جاء أهل الجزيرة ليحملوا جثمانه وجدوه حيًّا، فصحبوه إلى سلطانهم وكان يُسمَّى (مَاهَاكَلاَ مَنْجا) فرحين مستبشرين فتعجَّب السلطان وشكر أبا البركات على هذه التضحية، لم تفت المناسبة على هذا الداعية المخلص فأخذ يعرفه بالإسلام، فاستحسنه إلا أنه طلب من أبي البركات أن يعيد الكرة في الشهر القادم فإن نجا أسلم، ولكن الأسوة الحسنة المتمثلة في أبي البركات أثرت في السلطان الذي شرح الله صدره للإسلام، فأسلم هو وأهله قبل انقضاء الشهر ليحمل هذا السلطان في ما بعد اسم محمد بن عبدالله، ولكي يطمئن الناس بات أبو البركات في المعبد بداية الشهر المتفق عليه، ولما صبّحه السلطان والناس وجدوه على حاله من العبادة وتلاوة القرآن،

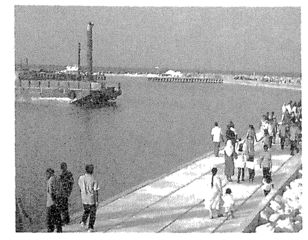
كان الأستاذ التازي يعلم أن لوحة تشير إلى أن أهل المالديف عرفوا الإسلام عن طريق (أبي البركات البربري) موجودة في هذا المسجد بالعاصمة المالديفية (ماليه) لكنه لم يجدها، وعوضاً عنها وجد لوحة تقول ان (ابا التركات التبريزي) هو صاحب الفضل ـ بعد الله ـ في اهتداء أهل هذه الجزر إلى الدين الحق!! حسناً، هل سقط في يديه؟ هل يسلم بما وجده مثبتاً في لوحة هذا المسجد؟ أم أنه سيعترض؟ وكيف له ذلك وهو ضيف على أهل المالديف الذين هم أدرى بجزرهم وتاريخها، مثلما ان اهل مكة أدرى بشعابها؟ ثم كيف له أن يقبل بأن يوصف صديقه التاريخي (ابن بطوطة) بعدم الدقة فيما ينقله من أخبار؟، وخطأ كهذا من شأنه أن يضع أكثر من علامة استفهام على ما تركه لنا من تراث تاريخي...

دار نقاش في المسجد، وإذا بأحد المواطنين المالديفيين والذي كان بالمسجد يتدخل بهدوء ليسأل عن سبب هذا الجدل، تمّ إخباره بالأمر، فما كان منه إلا أن قال: اللوحة التي كانت هنا تمّت إزالتها بعد أن لحقها بعض الضرر ووضعت في المتحف الوطني، وهذه اللوحة المثبتة في المسجد لوحة جديدة نسبياً. حسناً، هذه واحدة، وبعد تدقيق اكتشف الحاضرون أن تاريخ هذه اللوحة ليس هو التاريخ الذي كان في اللوحة السابقة. أعتقد جازماً أن الأستاذ التازي شد عبر الزمن على يد صديقه (ابن بطوطة)، لكنه ـ وحتى يطمئن قلبه ـ انتقل إلى المتحف، وهناك ـ وبعد أن قطع الشك باليقين ـ وجد ضالته. أعتقد أنه تنفس الصعداء، وأعتقد جازماً أنه عانق عبر الزمن صديقه (ابن بطوطة)...

بعد ذلك اللقاء دعينا إلى تناول وجبة غذاء تكريماً للأستاذ التازي وما أن أنهينا تناول الطعام حتى وجدتني أهرع إلى مقرّ مجلة التواصل، وعن طريق الهاتف اتصلت بصديقنا الأستاذ محمد زمياط الذي أعد الاستطلاع عن المالديف لأخبره بالأمر بشكل مختصر مفيد، فما كان منه إلا أن شد الرحال إلى عدد من علماء المالديف ليستوضح منهم قصة الخلط بين (أبي التركات وأبي البركات)، وأمدّنا بما هو منشور بهذا العدد الذي بين أيديكم...

لم يكن اتصالي بالأستاذ محمد زمياط لشك راودني في ما رواه الأستاذ التازي، حاشا لله، ولكن لأن الاستطلاع لم يتطرق لهذه الجزئية...

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل



مرفأ في إحدى الجزر

فعلا التهليل والتكبير وحطمت الأصنام وأسلم شعب المالديف بأكمله.

حقائق وواقع وقدوة

أياً كان الذي يتراءى للمالديفيين من عرض المحيط شبح أو عفريت أو قرصان مغامر محتال استغل طيبة الناس وبساطتهم، ومهما عصت على القناعة والاقتناع، أياً كان تصنيف هذه الاقصوصة المؤثرة حول إسلام شعب المالديف، فإن ذلك لا ينتقص من الحقائق التي أكدتها، ولا يقدم ولا يؤخر في الواقع الذي يمثل أمامنا، ولا يقلل من أهمية الدروس المستفادة منها.

فهي تثبت أن المالديف لم يصلها الإسلام في ركاب جيوش الفتح الإسلامي، وإنما انتشر فيها بالاقناع، و بالقدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي صنعه الإسلام في أبي البركات، مما يؤكد حقيقة طالما حاول المغرضون أو الجاهلون طمسها وهي أن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وغزا قلوب ملايين البشر بصحة ووضوح تعاليمه وانسجامها مع الفطرة السليمة، ولترسيخه قيم العدل والإحسان، ولم ينتشر بحد السيف. يقول الكونت هنري كاستري: - (لم يكره أحد على اعتناق الإسلام لا بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب بشوق واختيار، وذلك نتيجة ما أودع في

بين البربري والتبريزي

ذكرنا أن اسم الداعية الذي تحققت على يديه الاستجابة الجماعية لشعب المالديف الداعي لله هو الحافظ أبو البركات يوسف البربري معتمدين في ذلك على الرأي الذي يكاد يجمع عليه في المالديف اليوم وتأخذ به الدولة ومؤسساتها العلمية والثقافية ويزكيه الموروث الثقافي الشعبي المالديفي لولا ما يثار من أن هناك من يظن أن اسمه أبو البركات التبريزي أو أبو التركات التبريزي من إيران، وربما يرجع هذا الالتباس في الاسم إلى تقارب الحروف بين كلمات: «بركات» و«تركات» و«بربري» و«تبريزي» لا سيما إذا ما علمنا أن اللوحة القديمة التي تحمل هذا الاسم كانت مثبتة على جدار مسجد الجمعة الأول "1st. Hakuru Mikii" الذي شيّد سنة 1153 قد انشطرت وانمحى بعض أحرفها فقرئت من قوم لغتهم غير العربية وأكثر معرفة ببلاد تبريز من بلاد البربر «تبريزي» ولما شيد السلطان شهاب الدين مسجد الجمعة الثاني "2nd Hakuru Mikii" سنة 1337 أو 1338 مسيحي كتب في اللوحة الجديدة كلمة التبريزي بدل «البربري».

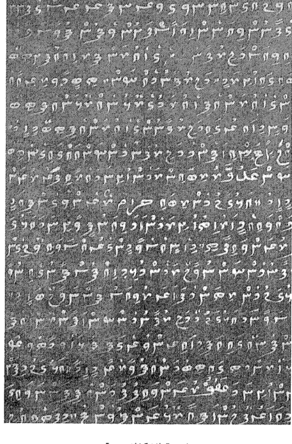
وعندما قدم الرحالة ابن بطوطة إلى المالديف عام 1343 مسيحي نبهه إلى أن الاسم الصحيح هو أبو البركات يوسف البربري.

القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب).

وفي هذه القصة أيضاً تفنيد للافتراءات التي يروج لها بعض المستشرقين (بأن سيف الإسلام أخضع شعوب أفريقيا وآسيا بالسيف شعباً بعد شعب) و(أن الإسلام لم يكن يصادف نجاحاً إلا عندما كان يهدف إلى الغزو).

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

والذي يمثل أمامنا اليوم أن الشعب المالديفي بكامل عدده الثلاثمئة ألف نسمة وفي كامل جزائره الألف والمئة والثمانية والتسعين جزيرة صار منذ ذلك التاريخ مسلماً 100 في المئة، فلا يدين المالديفيون بغير الإسلام، ولا يوجد على أرضهم معابد ولا كنائس ولابيع يذكر فيها اسم الله إلا المساجد التي ينبعث من مناراتها الأذان مذوياً في الآفاق بصوت الحق، لتبدي السبعمئة والثمانية والثلاثين مسجد المنتشرة في جزر المالديف للدنيا الطابع الإسلامي المميز لها،



لوحة للغة القديمة

وقد أثبت هذا في كتابه الذي نشر سنة 1921 مسيحي.

كما وردت كلمة التبريزي بدل كلمة «البربري» في اللوحة المثبتة في المسجد الذي بناه السلطان اسكندر اسكوفان سنة 1656.

أمام هذا الالتباس سألنا الشيخ محمد رشيد إبراهيم رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ورئيس المحكمة العليا وهو من العلماء المدققين، فأكد أن ا لرأي القاطع الذي ظل يتناوله الرواة والعلماء والمدققون أن اسم هذا الداعية الذي أنعم الله عليه على الشعب المالديفي بنعمة الإسلام على يديه هو الحافظ أبو البركات يوسف البربري من المغرب العربي وأما الرأي المخالف فهو مبني على ظنون وأوهام.



المسجد الذي يحمل اسم أبي البركات

أما الاستاذ إبراهيم رشيد موسى عميد كلية الدراسات الإسلامية، فقال: الرأي الذي عليه العلماء والباحثون المعتد برأيهم والذي تأخذ به الحكومة أن اسمه أبو البركات يوسف البربري وأما الذين يدعونه بالتبريزي فهم واهمون ويبنون رأيهم على مغالطة نجمت عن تصحيف في القراءة.



الصيد من أهم دعائم الاقتصاد المالديفي

وتعرفها بهوية شعبها الأصيل الذي يعتبر الإسلام قوام تماسكه القومي وأساس الارتباط الأسري والاجتماعي به، ومن هنا كان شديد التمسك بقيم دينه، وحريصاً على المحافظة على عاداته وتقاليده الإسلامية إلى يومنا هذا، يلاحظ ذلك في اكتظاظ المساجد بالمصليين من مختلف الأعمار وفي كل أوقات الصلوات الخمس، وفي اقبال المالديفيين على تلاوة القرآن الكريم من المصاحف تلاوة سليمة بالرغم من أن معظمهم لا يعرف معاني الكلمات العربية، وفي الحرص على إحياء ليالي شهر رمضان المبارك بصلاة القيام وحضور الدروس الدينية وعقد المسابقات القرآنية.

وأما ما يثير الإعجاب ويبعث على الاعتزاز ويشدُّ إلى الاقتداء في قصة اهتداء شعب المالديف إلى الإسلام، فهو ذلكم الداعية المخلص الذي قطع هذه المسافات الطويلة في زمن تتعذر فيه المواصلات، متسلحاً بإخلاصه لدينه وإيمانه برسالته وتفانيه في أدائها فأكرمه الله بأن هدى على يديه شعباً بأكمله... إنه أبو البركات يوسف البربري الذي لا تزال قصته تملأ الآفاق، ولا يزال رفاته الطاهر يحتضنه ثرى المالديف ليكون شاهداً على التضحية والإخلاص اللذين ظلاً يميزان الدعاة الأوائل فأثمرت جهودهم هذا العالم الإسلامي الذي نعيش فيه ممتداً عبر قارات العالم.

اللغة الديفهية

لا جدال في أن لكل شعب لغته القومية التي يتخاطب بها وترتكز عليها خصائص شخصيته الوطنية، بها يدون ميراثه الحضاري وتراثه الفكري وأدبه الشعبي، واللغة القومية للشعب المالديفي تسمى (الديفهية) وهي اللغة الرسمية للدولة، تستعمل في التخاطب اليومي والدراسة ودواوين الدولة.

تكتب هذه اللغة بأربعة وعشرين حرفاً يتم التمييز بين أصواتها بصور الحروف ونقاطها، وبين مدودها بعلامات تشبه الحركات التي تلحق بالحروف العربية. وترجع في أصولها إلى اللغتين: (السنسكريتية) و(السنهالية القديمة).

تطورها

المتتبع للغة الديفهية يلاحظ أنها اعتراها تطور ملحوظ عبّر العصور سواء من حيث إثراؤها بدخول بعض الكلمات من اللغات الأخرى وذلك نتيجة لتواصل الشعب المالديفي مع الشعوب المجاورة، أو من حيث تهذيب وتحسين حروفها.

فتعرف اللغة الديفيهية المكتوبة باسم (ديفهي كرو) أي كتابة أهل الجزيرة، وكانت الكتابة القديمة تعرف باسم (إيويلا كرو) الحروف القديمة، وهي تشبه إلى حد كبير اللغة السنهالية القديمة في شكل حروفها وفي كتابتها من اليسار إلى اليمين وفي احتوائها لبعض مفرداتها.

ولتواصل المالديفيين مع شعوب جنوب شرقي آسيا وشرقي أفريقيا جعل لغتهم تتأثر أيضاً باللغات: الملاوية والملاجاشية والسواحلية.

ومنذ نحو 600 سنة أي بعد رسوخ قدم الإسلام في المالديف الذي أتاح الفرصة لتواصل أكبر مع الشعوب العربية والإسلامية استقرت اللغة المالديفية المكتوبة التي تسمى (تانا الحديثة) Tena modern في شكلها الذي هي عليه الآن، ويبدو كما هو واضح في جدول المقارنة وفي نماذج الرسائل المكتوبة بها تأثرها الكبير باللغة العربية، فقد صارت مثلها تكتب من اليمين إلى اليسار، كما أن بعض حروفها يشبه الحروف العربية في النطق وبعضها يشبه الأرقام الحسابية من 1 حتى 9 المستعملة في المشرق العربي في الكتابة إضافة إلى تضمنها العديد من الكلمات العربية وخاصة تلك التي تتعلق بالمصطلحات الإسلامية.

الاهتمام باللغة الديفهية

وبما أن اللغة عنوان الشعوب وإحدى ركائز شخصيتها ولأنها ـ لتحقيقها وحدة الشعور والوجدان والفكر بين أفراد الجماعات البشرية ـ تعد من أهم عوامل تعزيز وحدتها الإجتماعية، لذلك كله تعرضت اللغات القومية في كثير من البلدان أثناء الاحتلال الأجنبي لها للإهمال والتهميش والحط من شأنها



نقش على الحجر

Tāna Alphabet- Tikijehi Tāna

Letter	Name	Transliteration	Equivalent Arabic letter	Approximate pronunciation
ޙ	ḥā	ḥ	ح	
ޚ	khā	kh	خ	Ger. Bu*ch*
ޢ	'ainu	ع	ع	
ޣ	ghainu	gh	غ	Fr. *r*ein
ޥ	wāvu	w	و	wall
ޛ	dhālu	dh	ذ	
ޘ	thā	th	ث	
ޠ	ṭā	ṭ	ط	
ޡ	ẓā	ẓ	ظ	
ޤ	qāfu	q	ق	
ޝ	sheenu	sh	ش	*shy* (retroflexed)
ޞ	ṣādu	ṣ	ص	
ޟ	ḍādu	ḍ	ض	
ޜ	zhā	zh	—	televi*si*on

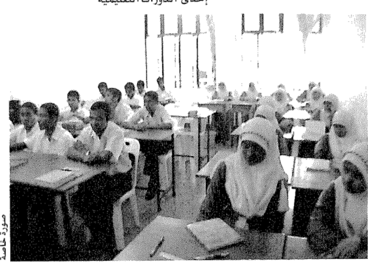
* Transliteration is taken from equivalents given in Encyclopedia Britannica, Chicago, 1993.

الأحرف العربية والأحرف الديفيهية

بغرض سلب هوية الشعوب وفرط عقد وحدتها الاجتماعية، وقد أدى ذلك إلى ضعف اللغة القومية وتخلفها وسيادة اللغة الأجنبية على تلك البلدان، ومن هنا تنبه كثير من الدول النامية إلى خطورة وجسامة هذه المشكلة فأخذت بعد استقلالها تهتم بلغتها القومية التاريخية، ومن هذه الدول المالديف، لقد أنشأت مركزاً مختصاً للتاريخ الوطني واللغة الديفهية، يتولى الإشراف على الترجمة والتأليف


صورة خاصة

إحدى الدورات التعليمية


صورة خاصة

فصل دراسي

وإعداد البحوث والدراسات وإقامة معارض الكتب الخاصة بهذه اللغة، وعملت على ترسيخها كلغة رسمية للبلاد بتعميمها في كل الادارات وتوفير برامج الحاسوب وآلات الرقن الخاصة بها، والحرص على استعمالها في الكلمات والأحاديث في الاحتفالات الرسمية.

استعمال اللغة الانكليزية

لقد تخلصت المالديف من اللغة الانكليزية التي فرضها عليها الاستعمار كلغة رسمية للدولة، كما تخلصت من وجود قواعده العسكرية، حيث أصبحت منذ الاستقلالها عنه اللغة الثانية التي يقتصر استعمالها على الاتصالات الخارجية، إذا ما استثنينا بعض المدارس التي لا تزال تدرس بها، وربما لضرورة الالتحاق بالجامعات الأوروبية للتخصص في المجالات العلمية، وتقاعص الدول العربية عن توفير المنح الدراسية الكافية، دعا الكثيرين إلى الاقبال على اللغة الانجليزية وإهمال اللغة العربية التي أخذت تتراجع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة.

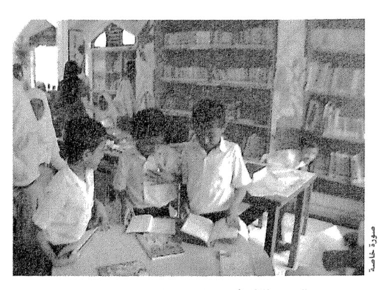
التعليم في المالديف

المالديف كمعظم بلدان العالم الإسلامي ظلت لقرون عديدة يسودها تعليم تقليدي بسيط يتم من خلال المساجد والفصول الصغيرة التي تنتشر في عدد من الجزر، ويتخد التعليم في هذه الأماكن الطابع الديني، فيتم فيها تحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والثقافة الإسلامية، وهو يعتمد على مجهودات فردية مما جعلته ينتظم ويزدهر حيناً ويتوقف ويتراجع أحياناً أخرى، ومع ذلك فقد استطاع هذا النوع من التعليم التقليدي البسيط أن يحفظ على الشعب المالديفي هويته وشخصيته الدينية والثقافية وأن يغرس في نفوس أبنائه حب الوطن وأن يزود الأجيال المتلاحقة بأساسات الحساب والقراءة والكتابة، مما أسهم في رفع نسبة القادرين على القراءة والكتابة إلى 19, 98 في المئة من مجموع سكان المالديف.

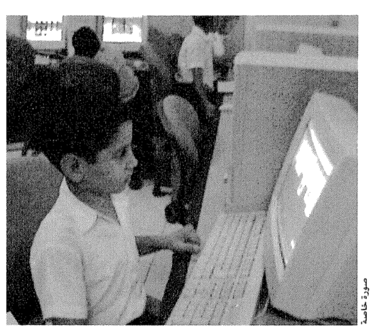
ولم تعرف المالديف المدارس النظامية إلا سنة 1950 م، بافتتاح بعض المداس لإعداد الأطر الوظيفية للدولة، وفي سنة 1960 م وكنتيجة لتأثير الاغتراب الثقافي في بعض المسؤولين في ذلك الوقت من ذوي الاتجاهات المنبهرة بالثقافة الغربية، فأحدثوا في

نظام التعليم بمدارس العاصمة المالديفية تغيرات جذرية، حيث أصبحت اللغة الانجليزية هي لغة التعليم فيها وفي نفس الوقت أهملوا التعليم في بقية الأقاليم الأخرى. الأمر الذي أحدث خللاً كبيراً وتفاوتاً ملحوظاً في مستوى التعليم بين الجزر المالديفية، بَيْد أنه منذ عام 1978م أخذت الدولة المالديفية تعمل في إطار التوجهات والأهداف التعليمية التي اعتمدتها، على تنمية النظام التعليمي بالبلاد وتطويره بما يحقق التغلب على المشاكل التعليمية الموروثة من الاستعمار، وتأسيس نظام تعليمي حديث وموحد يهتم بالقيم الإسلامية ويستجيب لمتطلبات البلاد العصرية، ويوفر فرص التعليم الأساسي لمواطني المالديف في جميع 198 جزيرة الآهلة بالسكان.

توجد الآن في المالديف 337 مدرسة ابتدائية وإعدادية و ثانوية، منها نحو 81 مدرسة حكومية تقوم الدولة بالصرف عليها، والدراسة فيها مجانية، أما بقية المدارس فالدراسة فيها بمقابل، وهي 176 مدرسة أهلية، و80 مدرسة لأفراد مستثمرين، ويبلغ مجموع الطلبة في المالديف 104214 تلميذا وتلميذة، أي ما يزيد على 35 في المئة من مجموع عدد السكان.


صورة خاصة

طلاب وطالبات في مكتبة إحدى المدارس


صورة خاصة

الأطفال يقبلون على تعلم الحاسوب

التعليم الجامعي:

لا توجد في المالديف جامعات، ولكن توجد فيها كليتان في مستوى الدراسات الجامعية هما:

❖ **كلية الدراسات الإسلامية:** أسست هذه الكلية مع بداية السنة القمرية الماضية الموافقة لسنة 1372 و.ر (2004 مسيحي) و كان تأسيسها تطويراً لما يقوم به معهد الدراسات الإسلامية من دورات تمنح دبلومات عليا في بعض التخصصات في الدراسات الإسلامية، وما تزال هذه الكلية في مرحلة التكوين واستكمال أطرها الفنية ولوائحها التنظيمية، وتوجد فيها الآن التخصصات التالية:

1 ـ الشريعة و القانون

2 ـ الدراسات الإسلامية

3 ـ إعداد و تدريب الأئمة

4 ـ القراءات وعلوم القرآن

التعليم العربي والإسلامي بالمالديف

بدأت صلة المالديفيين باللغة العربية مع وصول الدعاة والتجار العرب إليها وهم في طريقهم من وإلى بلاد الشرق، وازدادت صلتهم بها بانتشار الإسلام في ربوع ديارهم إلا أنهم ظلوا يكتبون ويقرأون القرآن ويحفظونه باللسان العربي من طريق التلقين دون أن يفهموا معنى ما يقرأون أو يحفظون.. ومع رسوخ قدم الإسلام في هذه الجزر وتشكيله لشخصية الشعب المالديفي برزت الحاجة إلى معرفة اللغة العربية للوصول إلى فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والتعمق في معانيهما والاطلاع على كنوز الفكر والثقافة العربية الإسلامية، فشد مئات الطلاب المالديفيين رحالهم إلى البلاد العربية طلباً للعلم وتفقها في الدين وتبحراً في اللغة العربية، وبعودتهم تواصل زخم تعلم العربية بجزر المالديف.

فقد ساهموا في التعليم كما شاركوا في وضع الأسس والأهداف لقاعدة التعليم العربي الإسلامي، وإذا كنا لا نرى في الجيل الجديد من هو متبحر في علوم اللغة العربية ويتحدث بها كما يتحدث بعض الجيل السابق بلغة عربية فصحى قد لايجاريه فيها الكثيرون من أبناء العروبة، فإننا نلاحظ أن قليلاً من الشعب المالديفي مُلم باللغة العربية قراءة وكتابة، وقد برز من بينهم من يتقن الخط العربي بأنواعه الكوفي والثلث والنسخ والرقعة والديواني والفارسي، لاتزال اللوحات التي تحمل روائعهم من الخط العربي تزين جدران المساجد شاهدة على براعة الانامل المالديفية وتعلقهم باللغة العربية.

مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي

لم تكتف الجهود المبذولة في جزائر المالديف لنشر الفكر والثقافة الإسلامية واللغة العربية بقيام


صورة خاصة

لقاء علمي

5 - إعداد و تدريب مدرسي التربية الإسلامية

❖ **كلية المالديف للتعليم العالي:**

Maldives college of higher education

وتضم هذه الكلية - التي تعد نواة جامعة متكاملة - عدة أقسام أنشئت في تواريخ متفاوتة، ولها الآن فروع في ست جزر بخمسة أقاليم، وهذه الأقسام هي:

- faculty of engineering technology العلوم الهندسية.
- faculty of health sciences العلوم الصحية وإعداد أطر المراكز الصحية.
- faculty of managment and computing الإدارة والحاسوب.
- faculty of shariah & Law قسم الشريعة والقانون .
- center for maritime studies مركز الملاحة البحرية.
- center for open learning مركز تطوير التعليم.
- faculty of education كلية التربية.
- faculty of hospitality and tourism studies الضيافة والسياحة .

المدارس بتدريس مادة التربية القرآنية بفروعها المختلفة في جميع السنوات المدرسية بمختلف المراحل التعليمية، من الصف الأول الإبتدائي وحتى الصف الثاني عشر الثانوي، وتدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، وإنما إدراكاً بأن التعمق في دراسة أصول الفكر الإسلامي والوقوف على مميزاته وعوامل حيويته وقدرته على التواصل مع الثقافات المتنوعة واستيعاب المضامين والتطورات الحضارية والتفاعل معها، هو العامل الأساس لتكوين أطر علمية متخصصة متسلحة بثقافة متميزة مرتبطة بروحها وتاريخها وأصولها الفكرية وقادرة على الصمود في وجه محاولات المسخ الفكري والاستلاب الحضاري، إدراكاً لذلك كله، تم إنشاء مؤسسات خاصّة للتعليم الإسلامي والعربي بالمالديف، ولكي تؤدي هذه المؤسسات دورها الايجابي في ما هو منوط بها تتطلب دعماً غير محدود من المؤسسات والجامعات العربية والإسلامية في وطننا العربي.

معهد الدراسات الإسلامية

يقع هذا المعهد بالعاصمة ماليه وهو أول المؤسسات التعليمية التي نيطت بها مهمة التعليم الإسلامي والعربي بالمالديف، أسس سنة 1980 م ليكون مركزاً للتعليم العربي والإسلامي، يضم المرحلتين الإعدادية والثانوية تطبق فيهما مناهج المعاهد الأزهرية، يتأهل بعدهما الطالب للالتحاق بالجامعات الإسلامية، وإضافة إلى ذلك يقوم المعهد بتنظيم دورات لإعداد وتدريب معلمي التربية الإسلامية وأئمة المساجد وقضاة المحاكم الإبتدائية، كما يتولى مهمة إعداد مناهج التربية الإسلامية واللغة العربية والاشراف على تدريسها بالمدارس



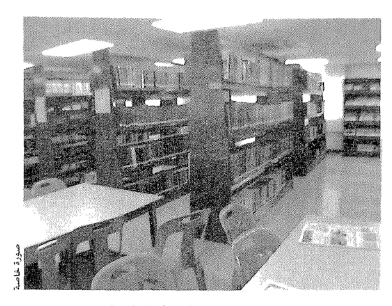
صورة خاصة

إحدى القاعات الدراسية في الكلية

المالديفية...وكما أسهمت الجماهيرية العظمى في تأسيس هذا المعهد فإنه لا يزال يحظى بالدعم المتواصل من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

كلية الدراسات الإسلامية:

ولما حققه معهد الدراسات الإسلامية من نتائج إيجابية خلال مسيرته التي تقترب من ربع قرن في مجال ترسيخ قدم هذا النوع من التعليم، اتخذت خطوة أخرى تجاه تطوير التعليم العربي والإسلامي بجمهورية المالديف، فقد تم مع إهلال العام القمري الجديد 1425 هـ الموافق لسنة 1372 من وفاة الرسول (2004 مسيحي) افتتاح كلية للدراسات الإسلامية وذلك في مقر المعهد بالعاصمة ماليه بهدف فتح المجال أمام الطلاب للدراسة الجامعية في التخصصات الإسلامية والعربية المختلفة وإتاحة الفرصة للتعمق في البحث والدراسة في المجالات اللغوية والدراسات الإسلامية والتربوية للنهوض بالحركة الثقافية والعلمية بالمالديف.



صورة خاصة

مكتبة الدراسات الجامعية

المدرسة العربية الإسلامية:

هي إحدى المؤسسات التي تقوم بالتعليم العربي بالمالديف أسست سنة 1985 م بمساهمة من الجماهيرية لتزويد المعهد بالطلاب الذين لهم قاعدة في التعليم العربي، ويقتصر التعليم فيها على المرحلتين الإبتدائية والإعدادية، وإلى جانب اللغة العربية تستخدم المدرسة في السنوات الخمس الأُول اللغة الديفيهية في تدريس بعض المواد، أما في بقية صفوف المرحلة الإبتدائية والمرحلة الإعدادية فتستخدم اللغة العربية في تدريس جميع المواد عدا دروس تعليم اللغتين الديفهية والانكليزية.

مركز القرآن الكريم في المالديف

مؤسسة لحماية القرآن الكريم ونشر تعاليمه

حرصُ الشعب المالديفي الشديد على تلاوة القرآن الكريم وحفظه نصاً وإتقانه رسماً وأداءً والتزامه به عملاً، جعله يواصل تلقين القرآن الكريم للنشء منذ نعومة أظفارهم، وكان الحفظة من كبار السن هم الذين يقومون بهذه المهمة في المساجد والكتاتيب ودور تحفيظ القرآن المنتشرة في كافة الجزر، ومع انتشار التعليم وتعدد وتطور وسائله كان لا بد من إيلاء هذا الجانب من التعليم الاهتمام الذي يتناسب وأهميته في تكوين هوية الشعب المالديفي والحفاظ عليها، فأنشئ مركز القرآن الكريم بالمالديف بموجب القرار الرئاسي الذي صدر بافتتاحه في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك الموافق ليوم 22 من شهر الكانون 1369 من وفاة الرسول ﷺ (2000 مسيحي).

ومما يهدف إليه هذا المركز التشجيع على دراسة القرآن الكريم وقراءته وحفظه، ونشر الفكر والثقافة الإسلامية، وتهيئة جو ملائم للبحوث والدراسات القرآنية للشعب المالديفي، وبخاصة الشباب منهم.

ويتكون المركز من:

1- أرشيف لعرض نماذج من المصاحف المكتوبة بخطوط متنوعة ومن عصور مختلفة.
2 - مكتبة إسلامية تحتوي على المصادر، والمراجع الأساسية للدراسات الإسلامية.
3- فصول دراسية لتحفيظ القرآن الكريم.
4- مكاتب إدارية.

ومن أبرز النشاطات التي يقوم بها المركز:

❖ الإشراف على فصول تدريس القرآن في مختلف الجزر، وتقديم المشورة والمساعدة المادية والمعنوية لها، كالإسهام في رواتب المعلمين، وتوزيع المصاحف للمتعلمين فيها وتقديم الجوائز والحوافز للمسابقات القرآنية.

❖ إجراء الامتحانات لمن أكمل حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وإعطاء الشهادات للناجحين منهم.

❖ تمكين الباحثين والدارسين من الاستفادة من خدمات المكتبة المقروءة بالاطلاع على المصادر

والمراجع الإسلامية والكتب الثقافية المتنوعة باللغات العربية والإنجليزية والديفيهية (اللغة المحلية) ومن الجناح الخاص بخدمات المكتبة الصوتية وخدمات الإنترنت.

وبالرغم من أن المركز يقوم بعدة نشاطات إلا أنه لا يزال يتطلع للأكمل، ومن أبرز ما يتطلع إليه:

أ- بناء المزيد من الفصول الدراسية حتى يستوعب كل من يرغب في الالتحاق بدورات القرآن الكريم.

ب- افتتاح فصول لتحفيظ القرآن في الجزر التي فيها كثافة سكانية.

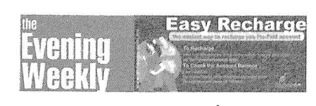
ج- إثراء المكتبة، وذلك بتزويدها بالمصادر المتنوعة بمختلف اللغات، وبالأخص اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها معظم المثقفين في البلاد.

الإعلام في المالديف

شهد القطاع الإعلامي في المالديف بمختلف وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية تطوراً ملحوظاً من حيث الكم والكيف، فقد ترسخت تلك الوسائل وتطورت وتعددت وتنوعت، واستمرت تواصل أداء رسالتها الإعلامية، المتمثلة في ترسيخ الهوية الإسلامية للشعب المالديفي، وتأكيد انتمائه الإسلامي. وتجذ ير لغته وثقافته وقيمه الإجتماعية، تأكيداً لشخصيته وكيانه.

الإعلام المقروء:

علمنا أن الشعب المالديفي يعد من شعوب العالم الثالث القليلة التي تزيد فيها نسبة المتعلمين على 98 في المئة.. فيكاد يكون كل الشعب المالديفي يقرأ ويكتب باللغة الديفهية، كما أن نسبة كبيرة من الشعب



المالديفي ملمة أوتجيد اللغة الإنكليزية، وخاصة بين الأجيال الجديدة، ومن هنا تعددت وتنوعت الصحف والمجلات بالمالديف، بالرغم من عدم صدور بوادرها إلا مع نهاية السبعينات من القرن العشرين.

ويوجد اليوم في المالديف نحو 56 وسيلة إعلام مقروءة، منها ثلاث صحف يومية إخبارية وثقافية وسياسية واجتماعية ورياضية، وهي جميعاً تصدر باللغة الديفهية ، ولها ملاحق باللغة الإنكليزية وهي:

1- صحيفة (هافيرو) وتعني (المساء) حيث تصدر مساء كل يوم باللغة الديفهية، وبها ملحق باللغة الإنكليزية، وتُعدّ أقدم الصحف وأكثرها قراءة، فقد تأسست سنة 1979 مسيحي، ويترأس تحريرها الدكتور محمد زاهر حسين عميد كلية التعليم العالي.

2- صحيفة (آفانتس) وتعني (الفجر الجديد)، وهي ثاني صحيفة تصدر باللغة الديفهية، وهي ثاني صحيفة من حيث تاريخ الصدور، فقد بدأت في الصدور سنة 1980 مسيحي، ويشرف على تحريرها الأستاذ عباس إبراهيم رئيس مركز اللغة الديفهية والدراسات التاريخية بالمالديف.

3- صحيفة (مبادو) وتعني (اليوم)، وهي ثالث صحيفة تصدر، حيث بدأت الصدور في سنة 1998 مسيحي، وهي تصدر باللغة الديفهية، ولها ملحق باللغة الإنجليزية، ويشرف عليها الأستاذ أحمد عبد الله وزير الإعلام.

وإلى جانب هذه الصحف توجد نحو ثلاث وخمسين مجلة ونشرة ما بين أسبوعية وشهرية وفصلية وحولية ، وهي متعددة الأغراض ومتنوعة

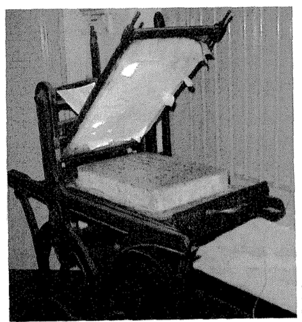
التخصص، وتصدر باللغة الديفيهية، ما عدا مجلة (الأسبوع المسائي) وهي مجلة أسبوعية تصدر عن وزارة الإعلام والفنون والثقافة.. فهاتان المجلتان فقط تصدران باللغة الإنجليزية.

ومعظم المجلات متخصصة تعبر عن شرائح المجتمع المختلفة، وتصدر عن مؤسسات ثقافية وتعليمية ورياضية واجتماعية.

وإن كان الإعلام المالديفي بمختلف قنواته يُعْنَى بالجانب الإسلامي ويخصص له مساحات في برامجه وصفحاته، فإن هذا لم يحل دون وجود مجلات ونشرات إسلامية متخصصة تصدر باللغة الديفهية بالمالديف وهي:

1ـ مجلة (المنبر) وهي مجلة شهرية تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

2 ـ نشرة (صراط الدين) وهى نشرة أسبوعية توزع مجانا على المصلين داخل المساجد يوم الجمعة، وهي تصدر عن هيئة المحافظة على الدين في المالديف.


صورة خاصة

مطبعة حجرية (متحف المالديف)

3ـ مجلة (المنهج) وهي مجلة أكاديمية حولية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية.

4 ـ مجلة (ذرما) أي (الثواب) وهي مجلة إسلامية متخصصة.

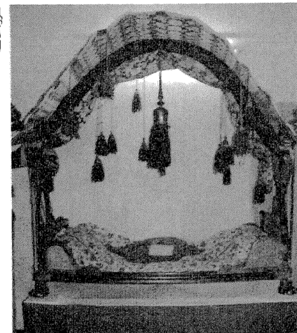
وبالنسبة للإعلام المرئي والمسموع فتوجد في المالديف إذاعة مسموعة وأخرى مرئية أرضية وفضائية، كما توجد شركتان لإعادة بث القنوات الفضائية، حيث تستقبل وتعيد إرسال البث المرئي الفضائي بما يتماشى وعادات ومشاعر الشعب المالديفي، وتوفر عدداً من القنوات الفضائية مقابل اشتراك شهري. ويلاحظ أن الإذاعة المرئية والمسموعة في المالديف تقدّم ـ بشكل مكثف ـ دروساً للتوجيه الديني، وتنقل شعائر صلاة الجمعة والأمسيات الرمضانية والاحتفالات الدينية المختلفة.

محطات في تاريخ المالديف

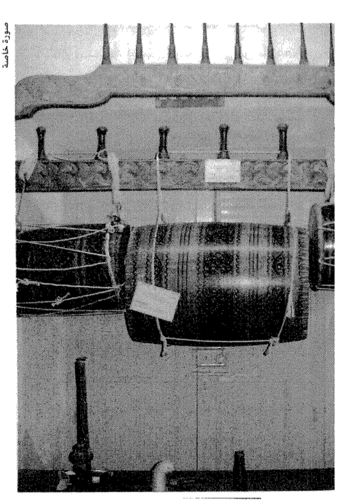
تاريخ المالديف قبل أن تصير بلداً إسلامياً يكاد يكون مجهولاً فلا يعرف منه إلا نزر يسير ورد في تاريخ الدول والجزر المجاورة والمرتبطة بها، وفي قلة من البحوث والدراسات التاريخية الحديثة، بعضها مستند إلى الحفريات المكتشفة بهذه الجزر، ومنها عرف أن الهجرات البشرية الجماعية الأولى للمالديف تمت منذ نحو ألفي سنة تقريباً، وأنها ظلت عبر العصور مملكة مستقلة إلا في بعض الفترات التاريخية، وأن البوذية هي الديانة السائدة بين سكانها، ولكن لم يعرف أسماء جميع الملوك والسلاطين الذين حكموها قبل الإسلام، بينما منذ أن عم الإسلام جزائر المالديف سنة 1153 م وغمر هديه قلوب أبنائها سجل التاريخ الكثير من أحداث هذه الدولة التي ظلت مسلمة متمسكة بدينها منافحة


صورة خاصة

مقتنيات محفوظة بالمتحف


صورة خاصة

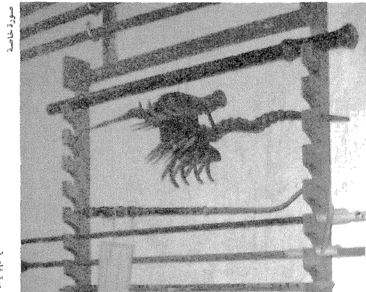
جزء من غرفة (متحف المالديف)

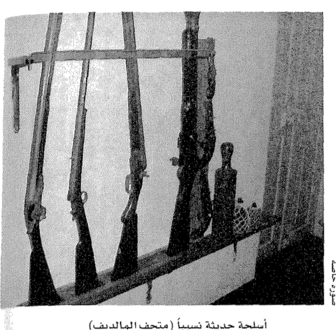

صورة خاصة

طبول قديمة (متحف المالديف)


صورة خاصة

نماذج من العملة المالديفية (متحف المالديف)


أسلحة قديمة (متحف المالديف)


أسلحة حديثة نسبياً (متحف المالديف)

صورة خاصة

عنه بما ملكت من مرتخص وغال، وحصر أعمال ملوكها وسلاطينها وسلطاناتها الذين حكموها عبر العصور الإسلامية.

موجات الغزو الاستعماري

انتشار الإسلام في جزائر المالديف واستقراره بها جعل هذه الجزر الهادئة الوادعة عرضة للغزو وللاستعمار الصليبي عبر أربعة قرون.

- ❖ فأغار عليها البرتغاليون عام 1553 م وتمكنوا من احتلالها عام 1558 م وجعلوها تابعة للحاكم البرتغالي المقيم في (جوا) بالهند وقد استطاعت المقاومة الشعبية بقيادة السلطان (محمد تاكوروفان المعظم) أن تنتصر على البرتغاليين وطردهم من البلاد عام 1574.
- ❖ وعندما سيطر الهولنديون على جزيرة سيلان في القرن السابع عشر فرضوا على سلطان المالديف معاهدة يدفع بموجبها أتاوة إلى الحاكم الهولندي بسيلان.
- ❖ في سنة 1752 م خضعت المالديف لحكم (الملاباريين) سكان غربي الهند لفترة أربعة أشهر ليتمكن الشعب المالديفي من طردهم بقيادة (السلطان حسن عزالدين).
- ❖ وفي سنة 1887 م، فرض الانجليز الذين حلوا محل الهولنديين في جزيرة سيلان على السلطان المالديفي محمد معين الدين معاهدة اعترف فيها بسيادة بريطانيا على المالديف وتسيير علاقاتها الخارجية ودفع إتاوة سنوية للحاكم البريطاني بسيلان مقابل تعهد بريطانيا بحماية الجزر من أي اعتداء خارجي.
- ❖ وبعد استقلال سيلان سنة 1948 م حصلت المالديف على الحكم الذاتي، إلا أنها عقدت اتفاقية جديدة مع بريطانيا ظلت بموجبها المالديف تحت الحماية البريطانية، بحيث تقوم بريطانيا بتسيير الشؤون الخارجية لها، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد مقابل الحصول على تسهيلات للقوات الانجليزية بها.

❖ في عام 1953 م تم إلغاء نظام السلطنة وإعلان النظام الجمهوري ولكن سرعان ما أعيد نظام السلطنة بناء على معارضة اللجنة الوطنية المالديفية.

❖ وفي عام 1965 م حصلت المالديف على استقلالها التام وانضمت للأمم المتحدة ولكن تمسكت بريطانيا باستمرار وجود قاعدتها الجوية في جزيرة (جان) بالمالديف.

❖ وتم إلغاء السلطنة مرة ثانية وإعلان الجمهورية سنة 1968 م وبقيت جمهورية إلى يومنا هذا.

❖ وفي سنة 1976 م تمكن الشعب المالديفي من إجلاء القاعدة البريطانية من جزيرة (جان) لتكتمل حريته وسيادته على أرضه.

نظام الدولة

واليوم المالديف جمهورية إسلامية مستقلة ذات سيادة حصلت على استقلالها في 26 يوليو 1956 مسيحي وأقر أول دستور مكتوب للبلاد عام 1972 مسيحي. وطبقاً للدستور فإن رئيس الجمهورية يتولى إلى جانب رئاسة الدولة رئاسة السلطة التنفيذية ويتم ترشيحه من مجلس الشعب في اقتراع سري، ثم يتم انتخابه من قبل الشعب لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد لعدة مرات. ويتكوّن مجلس الشعب من خمسين عضوًا منهم ثمانية يعينهم رئيس الجمهورية والباقون منتخبون.

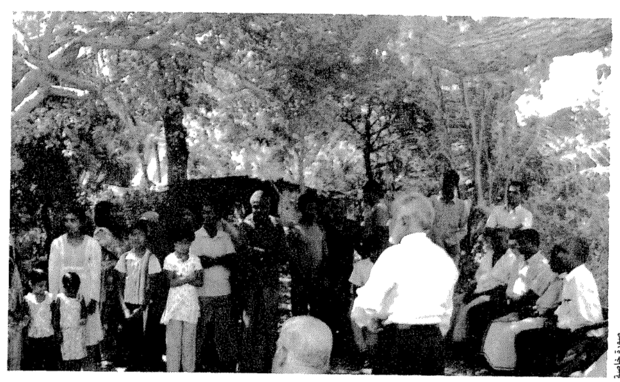
وإذا كان الاستعمار البرتغالي والهولندي والانكليزي رغم اندحاره أمام صمود المقاومة التي أبدتها الشعوب في جنوب وجنوب شرقي آسيا استطاع أن يجد موضع قدم للتبشير المسيحي فيها، فإنه أخفق في أن يجد ذلك في جزائر المالديف، لإصرار هذا الشعب المسلم الذي أخلص العبودية لله على التمسك بالإسلام ديناً واحداً منجياً رغم كل المحاولات والضغوطات التي تعرض ويتعرض لها.

علاقات وطيدة بالوطن العربي والعالم الإسلامي

سعت جمهورية المالديف منذ استقلالها إلى إعطاء شخصيتها الإسلامية المتميزة بعداً استراتيجياً في علاقاتها ومواقفها الدولية فنسجت مع بلدان العالم الإسلامي والوطن العربي علاقات متينة نتبين ملامحها في عشرات اتفاقيات التعاون وتعزيز الأخوة التي وقعتها مع العديد من الدول والمؤسسات الإسلامية، وفي تأكيدها في كل مناسبة انتماء الشعب المالديفي المسلم إلى أمته الإسلامية، وفي تواصل وقوفها وتأييدها بقوة وبلا توانٍ ولا وجل للقضايا العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضية الشعب الفلسطيني وحقه في العودة وتقرير المصير..

ومن جانبها لم تبخل عليها الدول العربية والإسلامية ومؤسساتها بتقديم الدعم والمساندة لمشاريعها الإنمائية والتعليمية.

وتأتي الجماهيرية في طليعة هذه الدول التي ارتبطت بعلاقات متميزة مع جمهورية المالديف ففتحت مكتبها الشعبي في عاصمتها ماليه عام 1976 م ليكون أول سفارة تفتح بها، ولم تقتصر على مبادرتها بتقديم الدعم والمساندة لها إبان انطلاقتها كجمهورية إسلامية فتية تقف شامخة في عرض المحيط الهندي كمنارة ترشد إلى سواء السبيل، بل واصلت الجماهيرية العظمى دعمها ومساعدتها لشعب وحكومة المالديف للتخلص من



ملتقى نظمته الجمعية

رواسب الماضي البغيض والنهوض بالمجتمع المالديفي، والانتقال به من الحياة البدائية إلى حياة عصرية، وذلك عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي بدأت تمارس نشاطها بالمالديف مع فتح المكتب الشعبي العربي الليبي بها سنة 1976 م ثم تطور بإبرام اتفاقية تعاون بينها وبين الحكومة المالديفية تم بموجبها فتح مكتب لها بالمالديف عام 1984 م الذي وجد في العمل الجاد الذي توليه حكومة المالديف لترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع المالديفي المجال مفتوحاً لانجاز أنشطة شملت مجالات الدعوة والإرشاد الديني، والتربية والتعليم، ونشر الثقافة والفكر الإسلامي النير.

المالديف تعتز بالجماهيرية وتكن لقائدها كل احترام وتقدير

وحول دعم الجماهيرية العظمى للمالديف وما يبدومنه من مظاهر وما يرمز له من معنى يقول الأستاذ / إبراهيم رشيد موسى عميد كلية الدراسات الإسلامية بجمهورية المالديف:-

ظلت الجماهيرية تحظى بمكانة مرموقة في نفوس المالديفيين في شتى جزر المالديف المسلمة التي تعتز بها وتكن لثورتها وقائدها كل الاحترام والتقدير لما تقدمه لها من دعم ومساندة في مختلف المجالات التنموية والثقافية والإسلامية، ولم تبخل عليها حتى في أشد أيام محنتها التي عانى منها شعب الجماهيرية العظمى بسبب رفضه الخنوع للاستعمار.

لقد بدأت الجماهيرية العظمى في تقديم دعمها للمالديف من طريق مكتبها الشعبي بها، ثم واصلته من طريق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي أدت دوراً ريادياً في مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في هذا البلد المسلم، تلمح أهم آثاره في الآتي:-

أ- قيامها منذ عام 1982 م بتقديم دعم سنوي للحكومة المالديفية لنشر الثقافة الإسلامية والعربية وحماية

الدين الإسلامي ولترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة المالديفية تحت إشراف رئاسة الجمهورية.

ب - المشاركة والمساهمة في إقامة برامج شهر رمضان المعظم التي تنظمها الحكومة المالديفية سنوياً لإحياء ليالي هذا الشهر الكريم.

ج - الإسهام في إرسال البعثات الدعوية إلى مختلف أقاليم المالديف بتنظيم من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وتعاون مع مكتب الجمعية لتبصير أهالي الجزر بأمور الدين الإسلامي وتوعيتهم.

د - توزيع مطبوعات ومنشورات الجمعية بالعربية والإنكليزية على المكتبات العامة والمؤسسات التعليمية.

هـ - الإسهام في تغطية نفقات بعض الحجيج المالديفيين الذين تساعدهم الحكومة لأداء فريضة الحج في بعض السنوات.

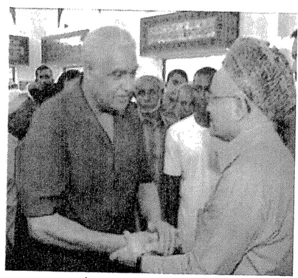
و- إلى جانب دعمها المتواصل لمعهد الدراسات الإسلامية قامت الجمعية بتقديم مساعدات مختلفة في مجال التعليم والتربية منها:-

1. الاسهام في بناء مدرسة جمال الدين في العاصمة.

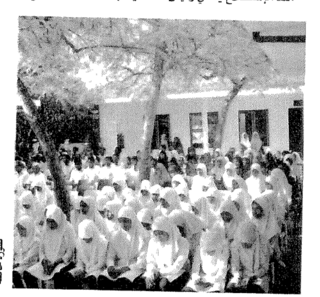
2. الاسهام في بناء المدرسة العربية الإسلامية التي أنشئت عام 1987 م.

3. تقديم مساعدات مالية لوزارة التربية والتعليم لإقامة دورة لتدريب وتأهيل المعلمين الوطنيين في إطار سياستها للاستغناء عن المعلمين الأجانب، ولإقامة مسابقة للقرآن الكريم بين مدارس البلاد.

4. تخصيص منح دراسية للطلاب المالديفيين حيث تخرج لفيف منهم من جامعات



معد الإستطلاع يلتقي رئيس المالديف بعد أحداث تسونامي



صورة خاصة

التعليم.. أحد أهم إسهامات الجمعية في المالديف

الجماهيرية العظمى، بعضهم الآن يعمل في مناصب مرموقة في الدولة.

5. المساهمة في بناء المقر الدائم لمعهد الدراسات الإسلامية، وتزويده بالمدرسين والكتب المنهجية وتقديم دعم سنوي لتطوير أنشطته وتوسيع خدماته.

ز - إقامة عدة ندوات وملتقيات إسلامية محلية وإقليمية ودولية في المالديف.

ح - وعلاوة على هذه الأنشطة أقامت جمعية الدعوة

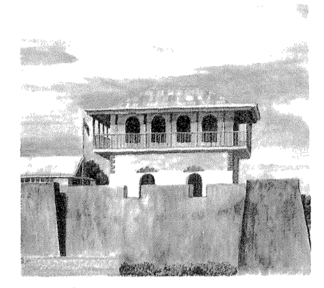
خاتمة

فشل المستعمرون الصليبيون، البرتغاليون، والهولنديون،والانكليز، في جزر المالديف في تحقيق ما أفلحوا في تحقيقه في مستعمراتهم الأخرى في جنوب وحنوب شرقي آسيا، والذي يلاحظ في عدم تمكنهم من بذر طائفة مسيحية بالمالديف تظل مرتبطة بهم، يتذرعون بها للتدخل والعودة لبسط نفوذهم من جديد، إضافة إلى حظر دستور جمهورية المالديف الإقامة الدائمة بها لغير المسلمين حفاظًا على وحدة المجتمع المالديفي الذي لا يحتمل عدده القليل التشتت والتفرق بإثنية عرقية أوطائفية، وإلى العناية المركزة من حكومة المالديف بتوجيه البلاد وجهة إسلامية واعية، وبالعمل على الحفاظ على التقاليد الإسلامية بها ورفع مستوى الوعي الديني في المجتمع المالديفي، كل ذلك أدى إلى أن تظل رسالة الإسلام هي الرسالة السماوية الوحيدة السائدة بالمالديف منذ ثمانية قرون ونصف القرن، فلا تزاحمها فيها رسالة سماوية أخرى أوأي معتقد آخر، وأن يبقى الشعب المالديفي المسلم شديد التمسك بدينه ملتزماً بقيمه ومعتقداته وسلوكياته، ولكن ذلك مع ما وهب الله هذه الجزائر من مميزات طبيعية واستراتيجية، جذب إليها الانتباه وشد لها العيون ووضعها في مركز الاهتمام وفي صلب مخطط الغزوالثقافي والتنصيري في إطار استهدافه العالم الإسلامي بأسره، فلم تنفك عنها حملات التغريب والتشكيك ونشر الأفكار المسمومة المضللة التي تروج بأن دين الغرب دين تقدم ورقي، يوصل إلى مستوى متميز وحضارة متطورة، وأن التقاليد الإسلامية حالت دون وصول المرأة المسلمة إلى مستوى الثقافة الراقية التي تظهر بها المرأة الغربية، في محاولة لخلخلة



صورة خاصة

داخل المدرسة العربية الإسلامية



«برج كوتي الجديد، في «مالية» وهو حصن بناه السلطان محمد غياث الدين في الفترة من 1767 إلى 1773 ميلادية وقد استعمل هذا الحصن كأول مقر لقيادة قوات الأمن المالديفية

الإسلامية العالمية في جمهورية المالديف معارض لمنشوراتها ومطبوعاتها وملصقات كما أرسلت قافلتين واحدة طبية وأخرى دعوية إلى المالديف.

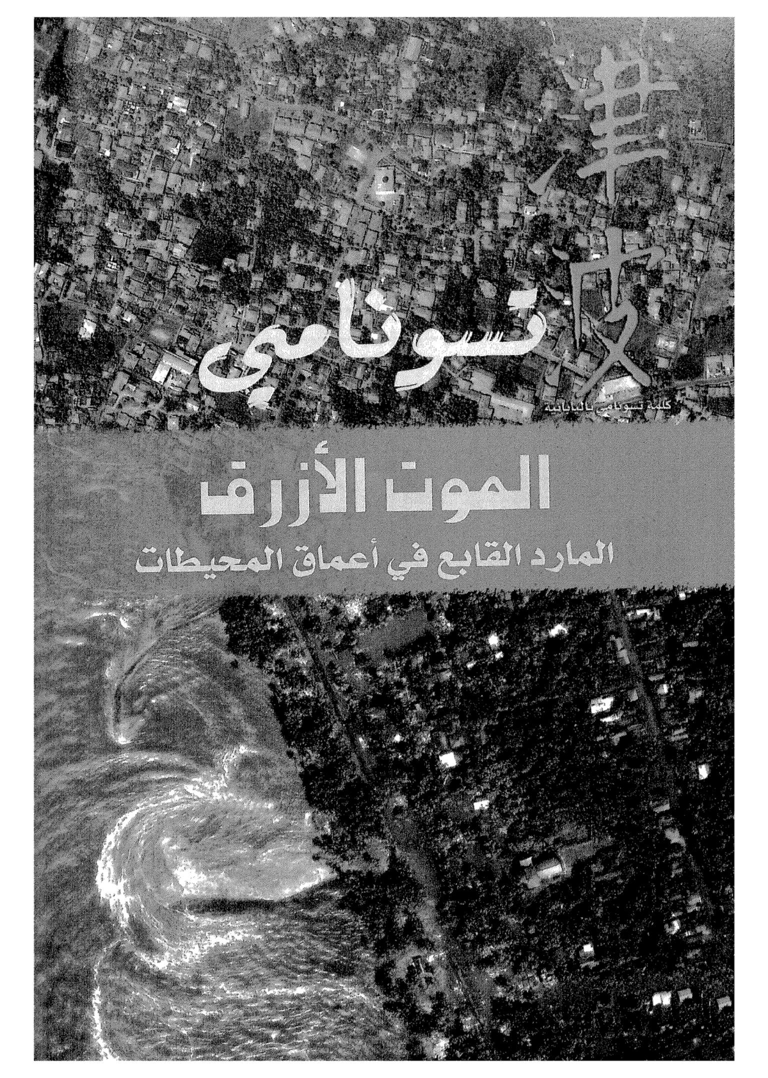
هذا غيض من فيض، ولا أستطيع أحصر وأحصي المساعدات التي قدمتها وتقدمها الجمعية والأنشطة التي تقوم بها والإنجازات التي تم إحرازها في هذه العجالة، لأن خدماتها ليست مقصورة على مجال واحد، ولا أبالغ إن قلت إن تعاون الجمعية مع جمهورية المالديف شمل جميع النواحي التي تحتاج إليها البلاد.

المجتمع المسلم وسلخه عن قيمه الروحية، بيد أن الشعب المالديفي بقى محافظاً على صموده في وجه هذه التحديات المتعددة ومقاومًا للمغريات المختلفة متسلحاً بقوة إيمانه ومتمسكًا بأهداب دينه، بيد أنه يخشى أمام الأحداث الدولية المعاصرة والتي بمعطياتها العامة تصب في مصلحة الجهود المبذولة لمنازعة الإسلام في أرضه، يخشى أن تنجح هذه المخططات التي سخرت لها كل الإمكانات المادية والمعنوية في تحقيق أهدافها وذلك بأن يجد ما تحمله من أفكار ودعوات هدامة هوى في نفوس بعض أفراد هذا المجتمع المسلم إذا لم تضاعف الجهود لتحصين هذا المجتمع بما يرسخ هويته ويحفظ له كيانه وانتماءه.

وإذا كان الدور الأساسي لحماية هذه الجزر المسلمة والتصدي لهذا المخطط التخريبي لكيان المجتمع المالديفي يقع على أبناء هذا البلد، وهم يقومون بذلك في حدود إمكاناتهم المتاحة، بما حفظ لهذا الشعب هويته وانتماءه الإسلامي إلى الآن، فإنه على الشعوب والدول العربية والإسلامية القادرة أن تتحمل مسؤولياتها تجاه عقيدتها وأمتها، فحماية الهوية الإسلامية من المؤثرات السالبة مسؤولية الأمة ككل، يحتمها الشعور بالانتماء إلى هذا الجسد الواحد، وإذا كان سمو العقيدة وقوة الإيمان والاعتزاز بهذا الدين قد حفظ لهذا الثغر الإسلامي هويته وجعله يقف صامدًا أمام التيارات العاصفة كمنارة تشع بنور الإيمان في عرض المحيط الهندي، فإن استمرارية صموده تتطلب مواصلة الجهود التي يبذلها بعض أشقائه ودفعًا قويًا من بقية الأشقاء، فالهجمة شرسة والمبتغى ثلم هذا الثغر ولن يقف في طريقه إلا تداعي سائر الأعضاء بالسّهر والحمى.



لحظة الغروب على أحد شواطئ المالديف..


تسونامي
كلمة تسونامي باليابانية
الموت الأزرق
المارد القابع في أعماق المحيطات

تسونامي Tsunami كلمة يابانية معناها: أمواج الميناء. وهي اصطلاح شاع ويراد به الآثار الناجمة عن ارتفاع الأمواج بسبب حدوث الزلازل في قاع المحيطات والبحار.

والزلزال Earthquake هو اهتزاز الأرض الناشئ عن التحرر السريع للطاقة الكامنة في جوف الأرض.

وتنطلق تلك الطاقة في جميع الاتجاهات في شكل موجات مشابهة لتلك التي تصدر عن جرسٍ عند هزّه.

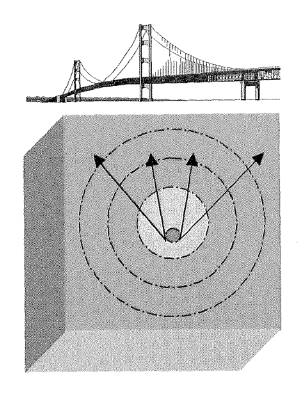
وتتلاشى الطاقة المتحررة كلما ابتعدت عن بؤرة الزلزال.

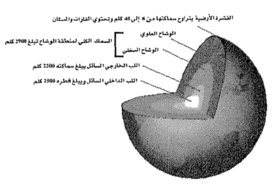
وتحدث الزلازل سواء في اليابسة أو في البحر بفعل الحركة التكتونية Tectonic Movement التي تحدث في باطن الأرض.

وقد بات معلوماً من الدراسات الجيولوجية، أن الأرض تنقسم إلى أربعة نطاقات أساسية، هي :

1. القشرة وهي نطاق خارجي رقيق، ويبلغ سمكها من 6 إلى 40 كلم، حيث يختلف سمك القشرة الأرضية من مكان إلى آخر.
2. الوشاح وهو نطاق صخري يقع تحت القشرة، ويبلغ سمكه حدّاً أقصى مقداره 2900 كلم.
3. اللب الخارجي، وهو نطاق يبلغ سمكه 2200 كلم. وله خصائص السائل المتحرّك .
4. اللب الداخلي وهو أشبه بالكرة المعدنية الصلبة يبلغ قطرها 2500 كلم. ويبلغ نصف قطر اللب الداخلي والخارجي نحو 3486 كلم.

وبفعل حركة الألواح الباطنية أفقياً أو رأسياً التي تتسبب فيها غالباً الانبعاجات داخل المناطق المرنة أو السائلة في منطقة اللب الخارجي أو منطقة الوشاح تتكوّن فوالق وتصدّعات Faults داخل طبقات الأرض، قد تصل إلى السطح محدثةً الزلزال.

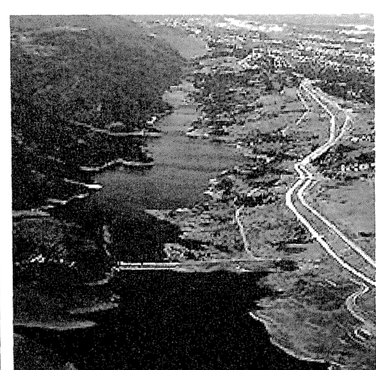


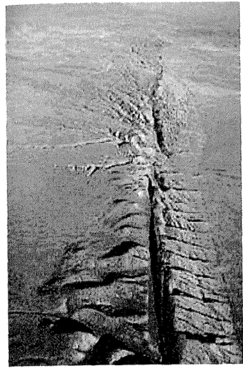


ومن أشهر الفوالق والتصدّعات السطحية فالق سان أندرز جنوب سان فرانسيسكو الذي امتلأ بالماء وتحوّل الآن إلى خزان ماء كبير يزوّد مدينة سان فرانسيسكو بالماء العذب.

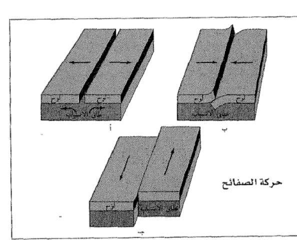
وعندما تتحرك الصفائح أو الألواح تحت قاع المحيطات بفعل تلك القوة الجبارة المهولة الكامنة يتأثر قاع المحيط فيتحوّل ذلك إلى موجات هائلة يزداد ارتفاعها كلما ابتعدت عن بؤرة الزلزال واقتربت من الشواطئ.

ومعظم أنواع التسونامي تنتج عن الإزاحة الرأسية





فالق سان اندرز جنوب سان فرانسيسكو

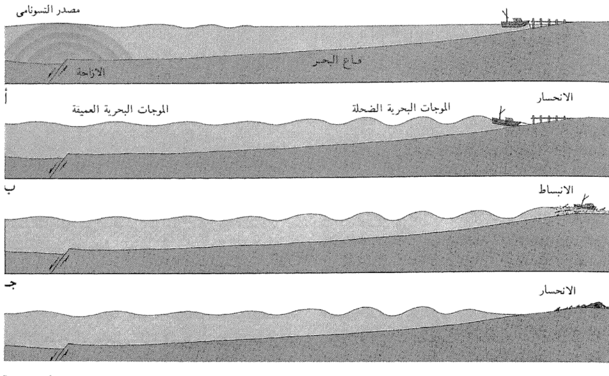


لقاع المحيطات. وتشبه أمواج تسونامي بالأمواج الناتجة عن رمي حصاة في بركة ماء. وتتحرّك أمواج تسونامي بسرعة تتراوح ما بين 500 إلى 800 كلم في الساعة.

وقد يمرّ تسونامي بعرض المحيط فلا يشعر به أحد لأن ارتفاع موجاته لا يزيد على المتر عادة، والمسافة بين ذروتي موجاته تتراوح بين 100 و700 كلم. وقد يصل ارتفاع موجات تسونامي عند الشواطئ إلى 30 متراً وقد يزيد على ذلك.

وأولى علامات تسونامي حدوث الانحسار السريع لمياه البحر بعيداً من الشواطئ. ولقد تعوّد السكان القاطنون بقرب الشواطئ على هذا التحذير حيث يستجيبون لذلك بمغادرة بيوتهم والابتعاد إلى الأماكن المرتفعة. وكثيراً ما يفاجئ تسونامي السكان لا سيّما عندما يحدث الزلزال ليلا. وتتكون بعد انحسار المياه بنحو 10 إلى 30 دقيقة موجة عالية تغطي مساحة شاسعة من اليابسة وتدمّر كلّ ما يعترض طريقها. وعقب كلّ موجة يحدث انحسار للمياه صوب المحيط أو البحر ثم لا تلبث أن تتجمع من جديد بعد فترة تتراوح من 10 إلى 60 دقيقة لتكوّن موجة جديدة هائلة تتجه نحو الشاطئ.

ويقطع تسونامي مسافات طويلة في غضون ساعات من مركز الهزّة. فالزلزال الذي ضرب هونولولو بجزر هاواي بالمحيط الهادي سنة 1946 وصلت أمواجه إلى الولايات المتحدة، وأميركا الجنوبية، واستراليا، والجزر الأندونيسية.

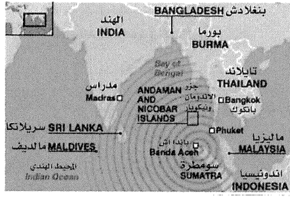


والزلزال الأخير الذي ضرب المحيط الهندي بالقرب من إقليم باندا أتشية بالجزر الأندونيسية وصلت أمواجه إلى الهند، وسيريلانكا، والمالديف، وتايلاند وماليزيا، وبورما، وبنغلاديش، والصومال.

تسونامي مارد عمره آلاف السنين

لم يهتم الناس العاديون بـ (تسونامي) إلا بعد الزلزال الأخير الذي ضرب المحيط الهندي على مقربة من الجزر الأندونيسية، وعند إقليم آتشيه الذي دمرته أمواج تسونامي، ثم انتقل مدّه ليضرب تايلاند، والهند مخلفاً وراءه الآلاف من القتلى. وفي عصر تحوّل فيه العالمُ إلى قرية اليكترونية صغيرة لعبت الاتصالات دوراً كبيراً في متابعة الناس لهذه الحادثة المروّعة، حيث تويعت ساعة بساعة. مع أن هذه ليست أوّل زيارة لتسونامي. فتسونامي جبار من جبابرة الأرض عمره آلاف السنين.

وعلماء الجيولوجيا يبحثون في التغيرات التي حدثت منذ آماد بعيدة في باطن البحار والمحيطات



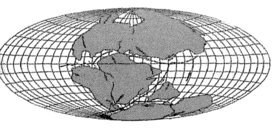
المنطقة التي ضربها تسونامي

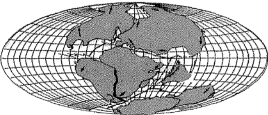
وعلى سطح اليابسة، وقد اكتشفوا أثاراً باقية عن تلك الزلازل في صورة فوالق وأخاديد عميقة وطويلة تغطي مساحات كبيرة من قاع البحار والمحيطات.

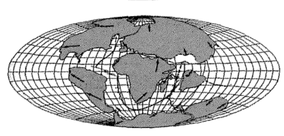
وقد أثبتت الدراسات الحديثة صحة نظريّة تكوّن القارات وانجرافها Continental Drift بعد أن كانت كتلة واحدة. وقد استطاع العلماء في العصر الحديث إعادة تركيب الكرة الأرضية كما يُخيّل أنها كانت.

كما تشير هذه الدراسات إلى حقيقة مذهلة وهي استمرار التغيّر في اليابسة بتباعد بعضها عن بعض من جهة، وتقارب أجزاء أخرى كانت متباعدة.

ولعلّ أقدم تسونامي عُرِفَ في التاريخ ذلك الذي ضرب الجزء الشمالي من بحر إيجه عام 479 قبل الميلاد. وقد شهد القرنان الماضيان نحو 300 تسونامي.





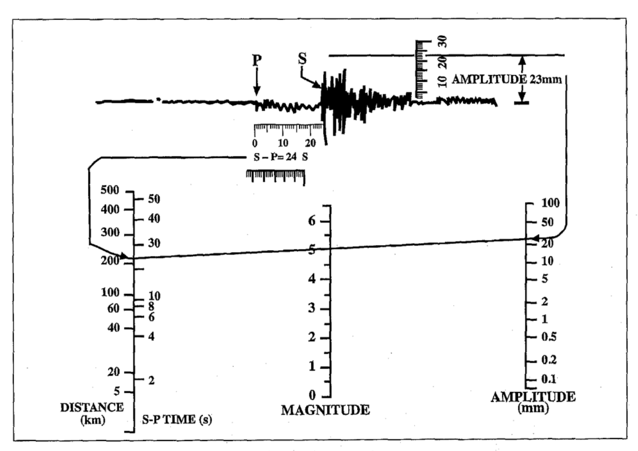


انجراف القارات في العصور الجيولوجية السحيقة

مقياس ريختر لحساب شدّة هزّة الزلزال

لكلّ هزّة زلزال مقدار محدّد من الطّاقة يختلف تأثيرها من زلزال إلى آخر بحسب المسافة، والظروف الأرضية، ومقاييس البناء. ولذلك فهنالك أنواع مختلفة من المقاييس لحساب قوّة الزلزال. ومن أشهر هذه المقاييس مقياس ريختر Richter Scale، وهو مقياسٌ طوّره العالم الأميركي تشارلز إف ريختر من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في سنة 1935 من القرن العشرين.

وهذا المقياس يحسب شدّة الهزّة الزلزالية فقط،



مقياس ريختر لقياس قوة الزلزال

أيّ مقدار الطاقة أو القوّة الناجمة عن تلك الهزّة دون حساب درجة تأثيرها على الأشياء الموجودة على سطح الأرض.

وهناك مقياس ميركاللي Scale Mercalli Intensity لحساب درجات تأثير الزلازل.

وتتراوح درجات مقياس ريختر من 1،0 إلى 10، وليس معنى ذلك أن 10 هي أعلى درجة على هذا المقياس، ولكنها الدرجة العليا التي لم تسجّل بعد. ويمكن أن تحدث زلازل بقوة أعلى من هذه الدرجة. والجدول المجاور يبيّن قوّة تأثير الهزّة حسب هذا المقياس:

قوة الهزة الزلزالية	آثار الزلزال
أقل من 3،5	تُسجل ولكن لا يُحسّ بها.
3،5 ـ 5،4	يُحسّ بها غالباً، ولكن قلما تحدث أضراراً.
تحت 6،0	تُحدث أثراً خفيفاً على المباني الجيدة التشييد، بينما تحدث أضراراً جسيمة على المباني الضعيفة البناء.
6،1 ـ 6،9	يمكن أن تحدث آثاراً قد يصل إلى مسافة 100 كلم.
7،0 ـ 7،9	زلزال قوي، يتسبب في دمار كبير. ويؤثر على مسافات كبيرة تتجاوز 100 كلم.
8،0 فأكثر	زلزال مدّمر قد يصل مداه إلى مئات الكيلومترات من مركزه

يبين الجدول الآتي قوّة الهزة الزلزالية بما يكافئها من مواد متفجّرة

قوة الهزة بمقياس ريختر	ما يكافئها من مواد متفجرة TNT	قوة الهزة بمقياس ريختر	ما يكافئها من مواد متفجرة TNT
1.0	30 رطلاً (باوند)	6.0	1 مليون طن
1.5	320 رطلاً (باوند)	6.5	5 مليون طن
2.0	1 طن	7.0	32 مليون طن
2.5	4،6 طن	7.5	160 مليون طن
3.0	29 طن	8.0	1 بليون طن
3.5	73 طن	8.5	5 بليون طن
4.0	1،000 طن	9.0	32 بليون طن
4.5	5،100 طن	10.0	1 تريليون طن
5.0	32،000 طن	12.0	160 تريليون طن
5.5	80،000 طن		

الزلازل خلال قرنٍ من الزمان

تاريخ الزلازل قديم قدم الأرض نفسها، والدراسات والبحوث الجيوفيزيقية لا تزال تقدّم من حين إلى آخر سلاسل متعاقبة من تواريخ الزلازل خلال حقب جيولوجية موغلة في القدم ساهمت في تشكل سطح الأرض قديما، فضلاً عن الزلازل التي حدثت في القرون الأخيرة.

والمتأمّل في تعاقب الزلازل خلال القرن الماضي (القرن العشرين) يدرك جسامة وضخامة تلك الهزّات المسجّلة في مراكز الرصد الزلزاليّ المنتشرة في أرجاء العالم، فضلاً عن تلك التي لم تُسجّل رسميًا. والجدول الآتي يوضّح الزلازل المدمّرة التي حدثت خلال القرن الماضي، وعدد القتلى وفقاً لـ Compton's Interactive Encyclopedia:

التاريخ	البلد/المدينة	الوفيات (تقريباً)	مقدار الهزّة بمقياس ريختر
1905	الهند	20.000	8.6
1906	أميركا/ سان فرانسيسكو	700	8.3
1906	تشيلي / فالبار	20.000	8.6
1907	طاجيكستان	40.000	–
1908	إيطاليا/مسينا، سيشيليا	75.000	7.5
1915	إيطاليا / أبروتسي	30.000	7.5
1918	الصين / ناناي	10.000	7.4
1920	الصين / إقليم جانسو	200.000	8.6
1923	اليابان / طوكيو / يوكوهاما	130.000	8.3
1927	الصين / نانشان	200.000	8.3
1932	الصين / إقليم جانسو	70.000	7.6
1935	الهند	50.000	7.5
1939	تركيا / ايرزنكان	30.000	8.0
1949	روسيا / أشخاباد / تركمان	20.000	7.3
1954	الجزائر / الأصنام	1657	–
1960	المغرب / أغادير	12.000	5.8
1960	تشيلي / بيرتو مونت	6.000	8.3
1962	إيران / الشمال الغربي	12.000	7.1

التاريخ	البلد/المدينة	الوفيات (تقريبا)	مقدار الهزة بمقياس ريختر
1964	الآسكا / وليام ساوند	130	8.5
1970	شمال بيرو	66.800	7.7
1972	نيكاراغوا	10.000	6.2
1976	غواتيمالا	23.000	7.5
1976	الصين / تانجشان	240.000	8.0
1977	رومانيا/ بوخارست	1500	7.5
1978	إيران / الشمال الشرقي	25.000	7.7
1980	الجزائر / الأصنام	4.500	7.3
1980	جنوب إيطاليا	4.800	7.2
1983	شرق تركيا	1.400	7.1
1985	مدينة المكسيك	4.200	8.1
1986	سان سالفادور	1.000	7.1
1987	إكوادور	4.000	7.0
1988	ارمينيا	30.000	6.9
1989	سان فرانسيسكو	70	7.1
1990	شمال غرب إيران	60.000	7.7
1991	أفغانستان	1200	6.8
1993	بحر اليابان	97	7.8
1993	الهند	30.000	6.5
		11.000	6.4
1994	سومطرة	184	7.2
1995	اليابان	5000	7.2
1995	روسيا	2100	7.5
1997	شمال غرب إيران	1000	5.0
1998	أفغانستان	4.000	؟

من عجائب مخلوقات الله

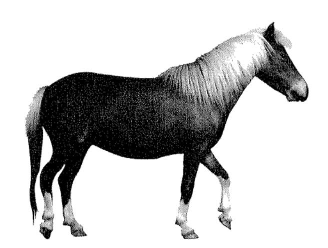
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

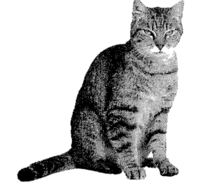
تشير بعض التقارير إلى أنّ الحيوانات في المناطق التي تعرضت مؤخراً لكارثة تسونامي قد أحسّت بوقوع الزلزال وحركة مدّ الأمواج قبل بلوغها الشواطئ. وإذا صحّ ذلك فإنه يمكن استخدام هذه الظاهرة كوسيلة للإنذار المبكّر. وقد ورد في تقرير لمراسلة الـ BBC للشؤون العلمية Sue Nilson في شهر يناير أن المسؤولين في الأراضي المخصصة للحياة البريّة في سريلانكا لم يلاحظوا وجود خسائر في حيوانات المحميّة بالرغم من العدد الهائل من الضحايا في صفوف البشر بالرغم من أن مد تسونامي قد توغل إلى عمق 3,5 كلم داخل أكبر محميّة في سريلانكا. لقد غرق عدد كبير من السيّاح، ولكن المثير أن فرق الإنقاذ لم تعثر على جثث للحيوانات. كما قالت دبي مارتر الموظفة ببرنامج حماية النمور بجزيرة سومطرة الأندونيسية إنها لم تستغرب عدم وجود حيوانات ميتة لأن «الحيوانات البريّة بالتحديد شديدة الحساسية.. إن للحيوانات حاسة سمع ممتازة، ولعلها سمعت حركة الأمواج القادمة عن بعد، أو أحست بتغير في الضغط الجوي مما دفعها إلى الانتقال إلى مكان مرتفع آمن».

هل الحيوانات أسرع إحساساً بالزلازل من مراصد البشر ؟

يتمّ التنبؤ بحدوث الزلازل حديثاً بواسطة أجهزة كشف الاهتزازات الأرضية، والأقمار الصناعية وسلوك الحيوانات قديماً. وكان ثمة اعتقاد بأن الحيوانات تمتلك حسّاً نافذاً يُنبئُها بحركة باطن الأرض قبل وقوع الزلزال، فينعكسُ ذلك على سلوك غير معتاد منها، فترى الخيلَ والكلابَ والقططَ وغيرها تجري بشكلٍ غير طبيعي، أو تقفز بشكلٍ جنونيٍّ وكأنّ مسّاً أصابها. وترى الطيور تغادر أعشاشها وترحل بعيداً وكأنها مهاجرة. غير أن هذه الملاحظات كانت إلى عهدٍ قريب مجرّد ظنون لا ترقى إلى درجة اليقين عند العلماء. ولكن تواتر هذه الملاحظات دفع في العقود الأخيرة بالعلماء والباحثين في مراكز بحثية كثيرة تُعنى بالزلازل والبراكين إلى إعادة النظر في هذا الموضوع لتفسير ذلك السلوك الغريب الذي يصدر عن الحيوان، ومدى إمكانية توظيفه للتنبؤ بحدوث الزلازل والبراكين، حتى وإن عجز الإنسان عن تفسير هذا السلوك.

وتحت عنوان (هل تشعر الحيوانات بقدوم تسونامي ؟) كتبت مجلة ناشيونال جيوغرافيك نيوز National Geographic News بتاريخ 4 / 1 / 2004 تقول :





«إن الاعتقاد بأن الحيوانات يمكنها التنبؤ بالزلازل كان سائداً لقرون. ففي سنة 373 قبل الميلاد سجّل المؤرخون أن الحيوانات بما فيها الأفاعي، والجرذان، وابن عُرس، هجرت في قطعان إحدى المدن الأغريقية في العصر الهيلليني قبل أن يدمّرها الزلزال بعدة أيام. وقد دُوّنت منذ قرون رواياتٌ مماثلة عن تنبؤات الحيوانات بالزلازل تحكي أنّ سمك السّلّور Catfish كان يتحرّك بعنف، وأن الدجاج توقّف عن البيض، وهجر النحل خلاياه في ذعر. وزعم عدد لا يحصى من أصحاب الحيوانات الأليفة أنهم شاهدوا قططهم، وكلابهم تتحرّك بشكل غريب قبل اهتزاز الأرض محدثةً نُباحاً أو مواءً بدون سبب ظاهر، أو تُصدِر علامات تعبّر عن التوتر والقلق.

ويمكن القول إن ما يشعر به الحيوان هو محض لغز، هذا إذا كان ثمة ما يحسّ به أصلا. وهناك نظرية تقول إن الحيوانات المتوحشة والأليفة تشعر باهتزاز الأرض قبل البشر. وآراء أخرى تقول إنّ الحيوانات تكتشف التغيرات الكهربائية في الجو، أو تحرر الغاز من باطن الأرض. والزلازل ظاهرة مفاجئة. وعلماء الزلازل لا يعرفون بالدّقة متى وأين تحدث الهزّة. وتُسجّل سنويّا نحو 500,000 هزّة زلزالية، لا يشعر البشر إلا بنحو 100,000 منها، وأن 100 فقط تُحدثُ دماراً.

وفي اليابان التي تُعد من أكثر الدول عُرضةً للزلازل المدمّرة والتي تخلّف وراءها عدداً كبيراً من القتلى والخسائر في الممتلكات، يدرس الباحثون منذ وقت بعيد سلوك الحيوانات على أمل اكتشاف ما تسمعه، أو تشعر به قبل اهتزاز الأرض، من أجل استخدام ذلك الإحساس وسيلةً للتنبؤ. ومن جهةٍ أخرى يشكك العلماء الأمريكيون في ذلك. وبالرغم من كلّ ذلك فإن هنالك حالاتٍ موثّقةً عن سلوك الحيوانات الغريب قبل حدوث الزلازل. ويقول أندي



مايكل من وكالة المسح الجيولوجي للولايات المتحدة United States Geological Survey (USGD)، وهي مؤسسة حكومية تقدم المعلومات العلمية عن الأرض:

«ما نسمعه هو كثير من الحكايات. فالحيوانات تتفاعل مع أشياء كثيرة، عند الجوع، وعند الدفاع عن أماكنها، وعند تزاوجها، وعند افتراسها. لذلك فإنه من العسير الحصول على دراسة منتظمة يمكن الاستفادة منها في الحصول على علامات للتنبؤ بحدوث الهزّات قبل وقوعها». ويستطرد مايكل قائلاً : «في السبعينيات من القرن العشرين أجرت USGS بضع دراسات عن تنبؤ الحيوانات، ولكنها لم تُسْفِر عن شيء. ومنذ ذلك الحين لم تجر الوكالة بحوثاً أخرى في هذا المجال.

وعن السلوك الشارد للكلاب كتبت ناشيونال جيوغرافيك نيوز: «استمر الباحثون في أنحاء العالم في تتبّع هذه الفكرة، ففي سبتمبر 2003 كتب طبيب ياباني دراسة تشير عناوينها إلى أنّ السلوك الشارد للكلاب مثل : النباح المتزايد والتلهف للعض يمكن أن يستعمل للتنبؤ بالهزّات.

كما أنّ هناك أمثلة صادرة عن سلطات حكومية رسمية نجحت في التنبؤ بوقوع الزلزال قبل وقوعه من خلال ملاحظة السلوك الشاذ للحيوانات. ففي سنة 1975 مثلاً أمرت السلطات الصينية سكان مدينة هايتشينغ بإخلائها قبيل أن يضربها الزلزال بأيام. وعدد سكان المدينة نحو مليون نسمة لم يتضرر منهم إلا عدد قليل جدّاً، ولولا عملية الإخلاء تلك لهلك نحو 150,000 نسمة لأن قوّة ذلك الزلزال كانت 7,3 على مقياس ريختر.

وحادثة هايتشينغ بعثت الأمل من جديد في نجاح التنبؤ بالزلزال مما دفع USGS إلى دراسة سلوك الحيوانات من جديد. وقد اكتُشِف مؤخّراً أن سلسلة من الهزّات الصغيرة حدثت قبل أن يضرب الزلزال الكبير المدينة. ويقول آندي مايكل : «لقد أمدّت تلك الهزّات الصغيرة المتعاقبة بمعلومات عن الزلزال الكبير. غير أن باحثاً من أشهر المعتنين بهذا الموضوع وهو البايولوجي روبرت شلدرك يقول في كتابه (الكلاب تعلم بقدوم أصحابها إلى البيت قبل وصولهم) :

«ثمة صلة واضحة بين السلوك الحيواني والزلازل يمكن استغلالها. وبالرغم من أن الصينيين قد اكتشفوا ذلك، إلا أنه ليست كلّ الزلازل تتسبب في السلوك غير المعتاد للحيوان. وبالبحث فقط يمكن أن نكتشف لماذا يمكن أن توجد تلك الاختلافات في الزلازل». لقد أجرى شلدرك دراسته متأملاً في ردود فعل الحيوانات قبل الارتجافات الكبيرة بما فيها هزّات نورثريدج - كاليفورنيا في سنة 1994، وزلزال اليونان وتركيا في سنة 1999. وفي جميع تلك الحالات يقول شلدرك إن هناك تقارير متميزة قُدّمت قبل حدوث تلك الهزّات تتحدث عن سلوك غريب للحيوانات يتمثّل في عواء للكلاب، وهيجان الطيور في أقفاصها، واختباء القطط المتوترة المذعورة. ولكن الجيولوجيين لا يعبأون بهذه التقارير ويعتبرونها نتاجاً للتأثيرات النفسية حيث يتذكر الناس السلوك الغريب فقط بعد وقوع الزلزال أو الكوارث الأخرى، ولولا ذلك ما تحدثوا عنها. ويرفض شيلدرك هذا المنطق ويرى أن أشكال السلوك الحيواني القابلة للمقارنة قبيل الزلزال قد دُوّنت بشكل مستقل من قبل أناس مختلفين في جميع أنحاء العالم. ويقول : «لا أستطيع أن أصدّق أنّ جميع أولئك قد اخترعوا تلك الحكايات، أو وقعوا تحت تأثير الخداع».

الموت المريع في باندا آتشي

إنّ أكثر البلدان الأسيوية تضرراً من أمواج تسونامي هي الجزر الأندونيسية حيث تخطى عدد القتلى 120,000 قتيل. وأكثر أقاليمها دمارا إقليم باندا آتشي Banda Aceh.

والمتأمّل في الصور الملتقطة لمدن الإقليم قبل الكارثة وبعدها يرى مبلغ الدمار المروّع الذي حاق به. لقد أصبح أثراً بعد عين. ومن يقرأ آيات الهلاك التي أرسلها الله على أمم وقرى سابقة لا يملك إلا أن يسأل الله العفو والعافية، وأن يجنّبنا غضبه وأن يشملنا برحمته. ويردّ سكان آتشي ما أصاب مدينتهم إلى غضب الله لأنها تحوّلت إلى مواخير فجور وفسق وعصيان. والله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل :

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾

[سورة القصص: الآية 59]

ويقول :

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [سورة الحج: الآية 45]

وأقلّ ما يتعظُ به المؤمنون من هذه الكوارث أن يؤوبوا إلى الله بتطهير النفوس والسرائر بالابتعاد عن الشرور والإقبال على الطاعة.

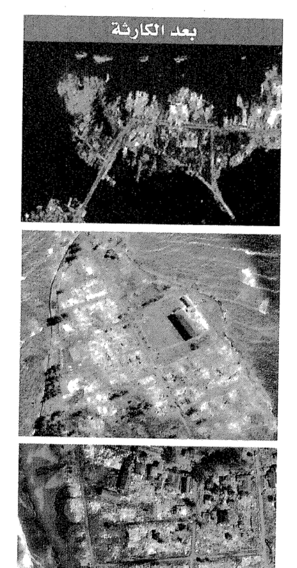
قبل الكارثة





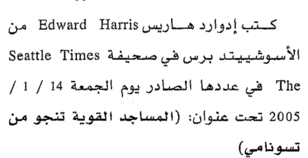


بعد الكارثة



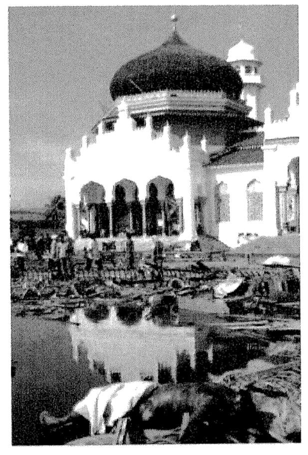
إدوارد هاريس

المساجد القوية تنجو من تسونامي...



كتب إدوارد هاريس Edward Harris من الأسوشييتد برس في صحيفة Seattle Times The في عددها الصادر يوم الجمعة 14 / 1 / 2005 تحت عنوان: **(المساجد القوية تنجو من تسونامي)**

« ظلّ مسجد أولي ليو U Lee Lheu الأبيض يلمع بشكلٍ واضح في المنطقة التي ضربها أسوأ زلزال في أندونيسيا. لقد ظلّ صامداً بالرغم من تلك الضربة القوية التي حوّلت قرى خلفه إلى ركام من الجثث والخشب المتناثر. ويرى السكان المسلمون أنّ ذلك شيء خارق حدث بأمر إلهي، لأن المساجد بيوت الله، والله لا يدمّر بيوته»، ويستطرد قائلاً : «لقد وقفت المساجد وحدها في مدينة باندا آتشي عاصمة إقليم آتشي الأندونيسي الذي قُتِلَ فيه وحده أكثر من 100,000 قتيل.



مسجد آخر سلم من الدمار



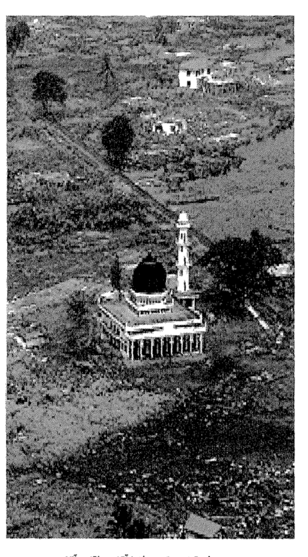
مسجد بمنطقة باندا أتشه بإقليم آتشي



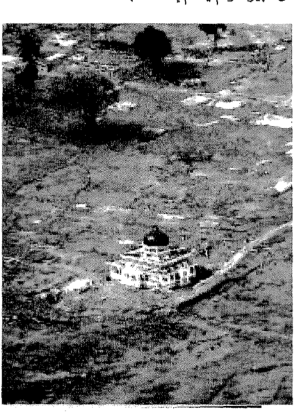
مسجد آخر في إقليم آتشي

وقفت صامدة في قلب أرضٍ يباب مملوءة بالجثث المتفسخة. وعلى طول شاطئ باندا آتشي تراكم الحطام حتى بلغ البوابة الخارجية لأحد المساجد، ولكن المسجد لم يمسّه شيء. وبالجوار تهدم قصر كبير وأصبح ركاماً بينما لم يحدث شيءٌ للمسجد القابع خلفه. ويعتقد الناجون أنّ ذلك تمّ بحماية إلهية وليس بفعل قوّة البنيان».

وتحدث تونكو كاوي علي Teungku Kaoy Ali، وهو زعيم ديني، لوكالات الأنباء أن مئات من المنازل دُمّرت، بينما أصيبت جدران مسجد القرية ببعض التصدعات. وفي قرية باسي لوك Pasi Ihok نجا مائة شخص باحتمائهم داخل المسجد بينما دُمّرت كُلّ المنازل في القرى الخمس المجاورة. وفي قرية ميوبولا Meubolah حيث بلغ مد تسونامي أشده تهدمت كلّ البيوت ولم يسلم إلا المسجد.



مسجد في تينوم بقرب باندا آتشي بإقليم آتشي



مسجد في مدينة مولابوه بإقليم اتشي



مسجد في كود تينوم بإقليم آتشي

من أيقظ تسونامي ؟

يذهب بعض المحللين إلى أن زلزال سومطرة الذي تسبب في حدوث تسونامي ناجمٌ عن تفجير نووي سري في المحيط الهندي، والمعلّقون على ذلك يدرجون هذا الرأي داخل دائرة «نظرية المؤآمرة».

قد يُعْوِزُ هذا الرأي الدليل القاطع على ذلك. ولكن المؤكّد قطعاً عند الخبراء الجيولوجيين أن التفجيرات النووية التي تجرى في باطن الأرض تساهم في تحريك الصفائح الباطنية التي تتسبب في الزلازل. ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى أخذت المقالات والدراسات تتوالى في مواقع مختلفة على شبكة المعلومات الدولية حول هذا الموضوع. ومن أشهر المقالات ما كتبه Michel Chossudovsky، وهو منشور بالإنكليزية على موقع مركز بحوث العولمة www.globalresearch.ca تاريخ 2004/12/29، تحت عنوان «واشنطن كانت تعلم بأمواج تسونامي القاتلة في المحيط الهندي». وقد جاء في مقدمة المقال جملة من التساؤلات :

«الجيش الأميركي ووزارة الخارجية أُعْطيا تحذيراً مبكّرا، كما أعلِمت القاعدة الأميركية في جزيرة دييغو غارسيا بالمحيط الهندي. لماذا لم يتمّ تحذير الصيادين في الهند، وسيريلانكا، وتايلاند مثلما تمّ تحذير البحرية الأميركية ووزارة الخارجية ؟ لماذا ظلّت وزارة الخارجية الأميركية صامتةً عن وجود كارثة متوقّعة ؟ مع وجود أنظمة اتصالات حديثة لماذا لم تُرسل تلك المعلومات إلى الخارج ؟ بواسطة البريد الإلكتروني، والهاتف، والفاكس، والقنوات الفضائية ؟

لو تمّ ذلك لأنقذت أرواح الآلاف من الناس. لقد بلغت شدة الزلزال 9,0 درجات بمقياس ريختر، وهذا يُعد أعلى درجة سُجّلت في التاريخ، ومع ذلك لم تُسجّل السلطات الأميركية إلا 8,0 درجات على المقياس نفسه.

لقد أكّدت تقارير كثيرة أن العلماء الأمريكيين في هاواي كانت لهم معرفة مسبقة بحدوث كارثة وشيكة، ولكنهم أخفقوا في الاتصال بنظرائهم الأسيويين لإعلامهم بذلك. قال Charles McCreery مدير مركز الإدارة القومية للمحيطات والغلاف الجوي في هونولولو (NOAA) Oceanic and Atmospheric Administration's Center in Honolulu في تقرير صادر عن هذا المركز: «لقد بذل الفريق ما وسعه للاتصال بالبلدان.. لقد بدأنا بالتفكير فيمن يمكننا الاتصال به. لقد تحدثنا مع مركز العمليات بوزارة الخارجية، والجيش. لقد اتصلنا بالسفارات، وتحدثنا مع البحرية في سيريلانكا، وموظفي الحكومة المحلية. لقد كنّا حذرين بشأن الذين اتصلنا بهم، وأردنا الاتصال بالأشخاص الذين يمكنهم تقديم العون».

ينقل كاتب المقال Michel Chossudovsky نصّ النشرة المقتضبة الصادرة عن NOAA, وفيها :

«نشرة معلومات عن تسونامي: هذه الرسالة للمعلومات فقط. ليس هناك تحذير من تسونامي أو تداعيات وتأثيرات منتظرة.

وقع زلزال ساعة 0059 يوم 26 ديسمبر 2004 على خط 3,4 شمالا، و 95,7 شرقاً من الساحل الغربي لشمال سومطرة بقوة 8 درجات.



بعض من ضحايا تسونامي

التقويم: هذا الزلزال واقع خارج المحيط الهادي. لا يوجد خطر من حدوث ارتفاع الأمواج (تسونامي) بناءً على معلومات سابقة عن الزلازل وتسونامي. هذه النشرة ستكون الوحيدة ما لم تتوفّر معلومات جديدة لدينا».

يقول كاتب المقال إن لغة النشرة قلّلت من قيمة كارثة وشيكة، كما ذكرت أن قوة الهزّة 8 درجات بينما هي 9 درجات كما ذكر ذلك المصدر نفسه في نشرات لاحقة. لقد فشلت النشرة في إدراك جدّية الموقف وخطورته مكتفيةً بذكر ذلك بصورة مستخفة «ليس هناك تحذير من تسونامي..». وكون أن هذا الزلزال بعيد عن المحيط الهادي فلا يعني عدم إبلاغ اندونيسيا وهي عضو في نظام تحذير المحيط الهادي من تسونامي إلى جانب تايلاند وسنغافورا.

يستطرد كاتب المقال : «ذكر مدير مركز هاواي للتحذير بأنهم لم يكونوا على علم بأنّ الهزّة الأرضية ستولّد موجات زلزالية مميتة إلا عندما ضربت سيريلانكا، وذلك بعد ساعة ونصف (2:30 بتوقيت غرينيتش). لكن من المستحيل القول بأنه لم تتم ملاحظة حركة الموجات الزلزالية التي تولّدت بعد التأثير المدمّر لموجات المدّ العارمة التي ضربت إقليم آتشي وشمال سومطرة بعد الساعة 1:00 بتوقيت غرينيتش... ولقد ضرب تسونامي شواطيء جزر المالديف عند الساعة الرابعة بتوقيت غرينيتش أي بعد ثلاث ساعات من وقوع الهزّة. وفي ذلك الوقت سمع كلّ العالم بما حدث.س يعلّق الكاتب على كلّ ذلك بقوله ردّاً على مدير مركز (NOAA):

«كم هو صعبٌ حقيقةً أن ترفع سمّاعة الهاتف وتتصل بسيريلانكا !! على رأي السيد Mccreery أنّ المانع كان عدم وجود أرقام هواتف في دفتر العناوين بالمركز لأشخاص في ذلك المكان من العالم.. ولكن الذي يكذّب ذلك أنّ العاملين في المركز وغيرهم في



طفل من المالديف محاط بالحطام... والسبب: تسونامي

هاواي كانوا بدأوا بالاتصال بالدبلوماسيين الأميركيين في مدغشقر وموريشيوس لتحذيرهم من الكارثة».

يقول الأستاذ تود مارتي من جامعة مانيتوبا : «لم يكن هناك من سبب لكي يُقتلَ أيّ شخص بتسونامي، خاصّةً أن معظم المناطق كان لديها من 25 دقيقة إلى أربع ساعات قبل أن تضربهم الموجة. ولكن بسبب الفساد واللامبالاة هلك آلاف الأبرياء من الناس بدون داعٍ».

يضع كاتب المقال عدداً من التساؤلات من أهمها:

- لماذا قام الجيش الأميركي في أعقاب الكارثة بلعب دور قياديّ بدلاً من المنظمات الدوليّة والإنسانية الدولية العاملة تحت غطاء الأمم المتحدة ؟

لقد عُيِّنت القيادة الأميركية في منطقة المحيط الهادي لتنسيق قنوات المساعدة الطارئة، فأرسلت ثلاث فرق إغاثة لتقييم الكوارث البحرية تحت قيادة البلاك مان إلى تايلاند وسيريلانكا وأندونيسيا، ومما

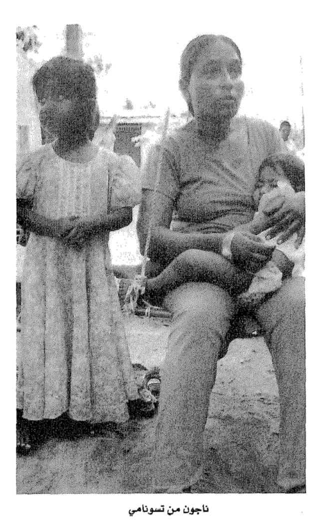
يدعو إلى السخرية أن جزءاً من هذه العملية قد تمّ تنسيقه من خارج قاعدة دييغو غارسيا الموجودة بالمنطقة والتي لم تُضرب بموجات تسونامي !!.

ـ ما هي حاجة الولايات المتحدة لتحريك كلّ هذه القطع الحربية وبشكلٍ لم يحصُل له مثيل؟ لقد تمّ تحريك حاملة الطائرات الأميركية إبراهام لنكولن بقوتها الضاربة، و12 طائرة مروحية إضافة إلى 25 طائرة مروحية على متن USS Bonhomme Richard المتجهة إلى خليج البنغال وما الذي جعل مجموعة الاستطلاع الضاربة الموجودة في غوام Guam لمستعمرة الأميركية الواقعة بمجموعة جزر ماريانا في البحر الباسيفيكي تتحوّل إلى خليج البنغال حيث يتوقّع وصولها في 7 / 1 / 2005 ، فضلاً عن مجموعة حربية أخرى تتكوّن من سبع سفن و2100 من أفراد المارينز؟

هل يمكن أن تتسبب الكويكبات والنيازك أو التفجيرات البشرية في حدوث تسونامي ؟

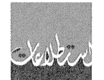
إجابةً عن هذا السؤال كتب International Tsunami Information Center, ITIS مركز معلومات تسونامي الدولي :

«من النادر جداً أن تنجح الكويكبات أو النيازك في اختراق الغلاف الجوي حيث تحترق قبل الوصول إلى الأرض. ولم يسجّل على مدى التاريخ المدوّن سقوط كويكب على الأرض، ولكن هناك إشارات على أن كويكبات قد ضربت سطح الأرض في الماضي السحيق. وأمكن معرفة ذلك من خلال الفوهات الكبيرة الموجودة في بقاع مختلفة من الأرض. ويمكن أن تكون هناك كويكبات نجحت في الوصول إلى سطح الأرض قبل التاريخ. ولعلّ آخرها قد سقط قبل نحو 65 مليون سنة في العصر الطباشيري. ولمّا كانت هناك أدلّة على سقوط الكويكبات والنيازك على سطح الأرض فلا يستبعد أن يكون بعضها قد سقط في باطن



ناجون من تسونامي

المحيطات لا سيّما و أنّ أربعة أخماس الأرض ماء. فسقوط الكويكبات أو النيازك في المحيطات له القدرة على توليد موجات تسونامي الهائلة. وقد استنتج العلماء الذين يدرسون هذا الإمكان أنّ تأثير كويكب متوسط الحجم (قطره 5 ـ 6 كلم) على وسط حوض محيط كبير مثل المحيط الأطلسي قد يتسبب في حدوث تسونامي ينتقل في جميع الاتجاهات إلى جبال ابلاشيا في الثلثين العلويين من الولايات المتحدة، فيغمر تسونامي المدن المحيطية والخليجية الواقعة على الجانبين. كما يمكن أن تتولّد أمواج تسونامي من تفجيرات نووية كبيرة، إلا أنه لا توجد دلائل ملموسة على حدوث أي تسونامي بفعل تفجير أسلحة نووية في الماضي، فضلاً عن أنّ هذه الاختبارات النووية محرّمة بموجب معاهدات نووية.



مسلمو العالم
يهرعون لإغاثة منكوبي تسونامي

تكثفت الجهود الإسلامية والعربية لتقديم مساعدات إغاثية عاجلة للمناطق المنكوبة جنوب شرق آسيا، فمنذ الساعات الأولى من كارثة جنوب شرقي آسيا تحركت مكاتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ودعاتها في اندونيسيا ومالديف وسريلانكا وباقي الدول المصابة لتقديم ما يمكن أن يخفف من وقع ما حدث على ابناء الجزر والبلدان التي طالها الفيضان الرهيب.

وقد تحرك العاملون في هذه المكاتب لفتح قنوات لتوصيل المعونات من خيام وأغطية ودواء إلى تلك المناطق حيث تحركت ارتال من السيارات المحملة بمختلف أنواع مواد الإغاثة إلى جزيرة سومطرة الشمالية حيث كان مركز المصيبة، وبالتحديد منطقة أتشيه..

وقد تعاملت المكاتب مع هذا الحدث الرهيب حسب ما تقتضيه الحياة الاجتماعية في تلك المناطق حيث تضمنت المعونات إلى جانب الطعام والادوية والاغطية ومياه الشرب والخيام، أنواعاً من الملابس التي تتلاءم مع التقاليد في تلك المناطق والخاصة بالرجال والنساء وقد بلغ عدد الشاحنات الاولية التي تم شحنها وسط هول المفاجأة إحدى عشرة شاحنة تم توجيهها إلى الموانئ لتوصيلها إلى تلك المناطق في أسرع وقت ممكن.

وقد لفتت سرعة تحرك جمعية الدعوة الإسلامية العالمية نظر رجال الحكومة في اندونيسيا حيث وجه المسؤولون في وزارة التنسيق لتحسين رفاهية المجتمع شكرهم وتقديرهم لهذه الاستجابة السريعة


صورة خاصة

جانب من مساعدات الجمعية



صورة خاصة

بعض المواطنين يتسلمون المساعدات



صورة خاصة

قوافل مساعدات الجمعية تتوجه إلى المناطق المنكوبة

التي تعكس روح الاخوة الإسلامية التي تتجلى بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

وكما حدث بالنسبة لاندونيسيا حدث ايضاً في المالديف حيث كان مكتب الجمعية هناك سباقاً لفعل الخير مساهمة في تخفيف وطأة المصيبة على أبناء المالديف فقد تم التنسيق السريع مع اللجنة العليا المكلفة بجمع مواد الإغاثة وارسالها إلى الجزر المصابة وتم تحديد المواد المطلوبة التي تعين الأحياء على مقاومة الواقع المترتب على هذه المصيبة.

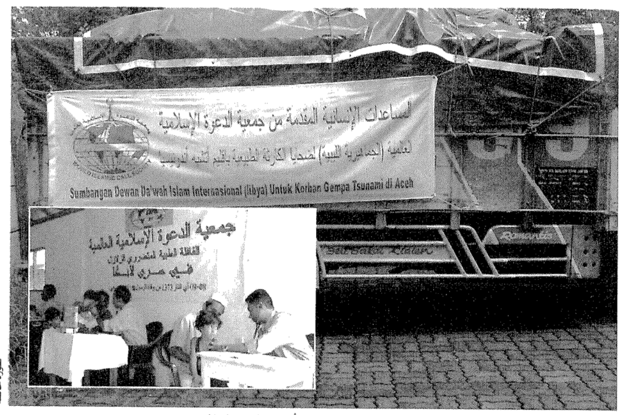
وفي سريلانكا ايضاً كان لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية تحرك سريع لمواجهة امتدادات الفيضانات الكبيرة، حيث أعد العاملون بالمكتب خطة سريعة بالتنسيق مع الجهات المعنية لنقل المعونات الغذائية إلى المراكز التي يتجمع فيها الذين بقوا دون مأوى والمستشفيات التي اكتظت بالمصابين.

وشملت هذه المعونات مدينة والاتشيني بمقاطعة باتيكلو ومدينة اكراباتو بمقاطعة أمباري شرق الجزيرة ومقاطعة «قول» جنوب الجزيرة.

وأعد المكتب قافلة طبية تضم فريقاً طبياً متكاملاً إلى منطقة مصابة بمدينة «كالموني» بمقاطعة إمباري وخصص المكتب ضمن هذه القافلة الطبية متخصصين في الامراض النفسية لمعالجة الحالات التي تعرضت لهزات نفسية نتيجة الاوضاع المأسوية التي وجد السكان أنفسهم وسطه.

وقد أطلق أئمة المساجد بإقليم كوسوفا حملة لجمع التبرعات وتقديم المساعدات الإنسانية العاجلة لضحايا زلزال آسيا كما قررت الحكومة الألبانية تخصيص مبلغ نصف مليون دولار لإغاثة المنكوبين.

وأعلن الأئمة في خطب الجمعة 2005/1/7



صورة خاصة

مساعدات الجمعية تتوزع بين أندونيسيا وسيريلانكا

مسيحي في إقليم كوسوفا عن فتح حساب في المصرف الوطني الكوسوفي لتلقي التبرعات استجابة لدعوة الشيخ «نعيم ترنافا» مسؤول المشيخة الإسلامية بكوسوفا.

وفي سياق متصل قرر مجلس الوزراء الكوسوفي برئاسة «راموش خير الدين»، تخصيص مبلغ 300 ألف يورو لضحايا زلزال آسيا كمشاركة منه في الحملة الدولية لجمع تبرعات لمنكوبي تسونامي.

وفي العاصمة الألبانية تيرانا ذكر موقع رئاسة الوزراء الألبانية الخميس 2005/1/6 مسيحي على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت أن الحكومة وبناء على الاقتراح المقدم من رئيس الوزراء «فاطوس نانو» قررت تقديم نصف مليون دولار لإغاثة منكوبي آسيا.

كما نقل موقع «أوربا ألير» على الإنترنت تصريحاً لنائب وزير الصحة الألباني «إدوارد هارشوفا» أنه في خلال الأيام المقبلة سوف يغادر وفد طبي ألباني مكون من 20 طبيباً للمساعدة في عمليات الإغاثة الطبية لجرحى تسونامي.

ومن جهته بدأ الصليب الأحمر الألباني أواخر الأسبوع الماضي في تنظيم حملة شعبية لجمع التبرعات لمنكوبي آسيا وخرج الأطباء الألبان بأنفسهم وهم يرتدون رداء أحمر لجمع التبرعات من المواطنين بميدان «إسكندر بك» وسط العاصمة تيرانا.

في السياق نفسه أعلن المصرف الإسلامي للتنمية عن تخصيصه 500 مليون دولار لمساعدة ضحايا زلزال آسيا.

وأشار الدكتور أمادو سيسي نائب رئيس المصرف إلى «إن هذا المبلغ سيتم استخدامه في عمليات الإغاثة وإعادة أعمار البنية التحتية المدمرة في الدول المنكوبة وتشمل مجالات التعليم والمياه والصحة والطاقة والنقل في كل من إندونيسيا والمالديف والصومال وتايلند والهند وسريلانكا».

وأضاف سيسي: «إن المصرف الإسلامي سيتخذ إجراءات عاجلة لضمان التنفيذ بالتنسيق مع مؤسسات التمويل الدولية لتقويم المناطق المنكوبة وصياغة مشروعات مناسبة لمواجهة احتياجات المناطق المتضررة».

كما سيعيد المصرف صياغة برامج العمل الحالية في الدول المتضررة بما يتماشى والاحتياجات الملحة لإعادة البناء في تلك الدول موضحاً أن المصرف سيقوم بإيفاد بعثات إلى كل من إندونيسيا والمالديف وسريلانكا بهدف تقديم المعونة العاجلة تتبعها زيارات ميدانية لإعادة التقويم الشامل لمشروعات إعادة البناء.

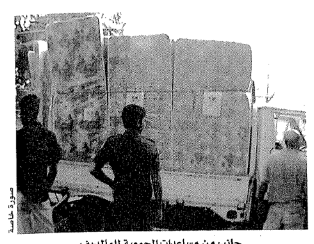
وفي الولايات المتحدة الأميركية كما في بريطانيا دشنت منظمات إسلامية حملة على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» وجهت من خلالها نداءات إلى كل سكان البشرية للمسارعة إلى تقديم تبرعات عاجلة للمناطق المنكوبة.

وقد أخذ مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية «كير» وهيئة الإغاثة الإسلامية البريطانية بزمام المبادرة حيث ناشدا مواطني العالم عبر الشبكة إلى تقديم المساعدات الإنسانية العاجلة إلى ضحايا الكارثة والدعاء من أجلهم.

وفي بريطانيا تم توجيه نداء لجمع مليون جنيه إسترليني للسكان المتضررين في آسيا.

وأفاد بيان لـ «هيئة الإغاثة الإسلامية البريطانية» أنها خصصت 200 ألف جنيه إسترليني بشكل مبدئي لعمليات الإغاثة في المنطقة، إضافة إلى أنه سيتم إرسال 20 ألفاً أخرى كمساعدات إغاثية عاجلة إلى المتضررين في سريلانكا التي تعد أكثر المناطق تضررا في جنوب آسيا.

وفي بريطانيا أيضاً دعت الرابطة الإسلامية



صورة خاصة

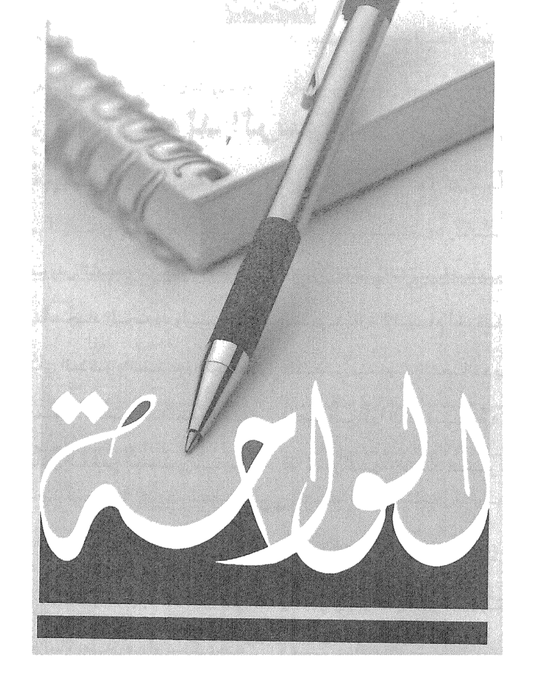
جانب من مساعدات الجمعية للمالديف

هناك أفراد الأقلية المسلمة في البلاد وغير المسلمين إلى المساهمة في الجهود الإغاثية المطلوبة لمواجهة هذه الكارثة.

أما في كندا فقد تلقت الجمعيات الخيرية الإسلامية وغير الإسلامية بالبلاد طوفاناً من المكالمات الهاتفية خلال الأيام القليلة الماضية من أشخاص يعرضون تبرعات مالية ومستلزمات لعمليات الإغاثة.

وكانت منظمة «أوكسفام» الدولية للتنمية والمساعدات قد حذرت من أن التبرعات التي تعهدت الحكومات الغربية بتقديمها لضحايا زلزال آسيا قد لا تصل كلها إلى المنكوبين مشيرة إلى أن هذه الدول اعتادت على التراجع عن الوفاء بوعودها بعد زوال التغطية والاهتمام الإعلامي بالكوارث مؤكدة أن الدول الكبرى تربط تقديم المعونات في الغالب بمصالحها السياسية.

وأوضحت المنظمة في بيان لها أنه أصبح للدول الصناعية الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا نمط من التعهدات العلنية أثناء الاهتمام الإعلامي بالكوارث التي تضرب بعض المناطق والدول، لكن تلك التعهدات لا تنفذ إلا في حالة وجود ضرورة سياسية أو اهتمام يرتبط بمصالح تلك الدول.



❖ حليم دمّوس: تغنّي عروس الشعر بإسم محمدﷺ

❖ الاستبداد .. آفة الحضارات ..

من جان جاك روسو إلى عبد الرحمن الكواكبي

❖ عظمة النبي محمد ﷺ كما يراها توماس كارلايل

شعر

مولد الرسول ﷺ *

حليم دموس **

تغنَّيْ عروسَ الشعرِ باسم محمدِ ... وهُزِّي بني الدنيا بسيرة أحمدِ

تغنَّيْ بأمجاد الجُدودِ وأيقظي ... بقيثارةِ الإلهامِ أجفانَ هُجَّدِ

تغنَّيْ بآيِ الذكرِ والفتحِ والهدى ... تغنّيْ بعهدِ الخالدين وردِّدي

تغنَّيْ بمجدِ العُرْبِ فالعربُ أُمَّةٌ ... لها في ذُرا العَلْياءِ أرفعُ سُؤْدد

تغنَّيْ فأُذنُ الدهرِ تُصْغي لشاعرٍ ... إذا كان في الإنشادِ غيرَ مُقلِّدِ

❖❖❖

عليَّ حقوقٌ للعروبة جَمَّةٌ ... فيا قلمي اسْعِفْ ويا شِعْرُ أسْعِدِ

وحسبي بَناني وهْوَ وَقْفٌ لأُمّتي ... وحسبي يَراعي وهْوَ ما مَلَكَتْ يدي

ومَنْ هامَ بالأوطانِ هامَ بِذِكْرِها ... وغنَّى بأمسِ العُرْبِ واليومِ والغدِ

عَرَضْتُ صفوفَ المجدِ فيها فأقبلتْ ... مواكبُ أبطالٍ طوَتْ كلَّ فَرْقَدِ

فكبَّرَ مَنْ يأبى الحياةَ بِذِلّةٍ ... وهلَّلَ مَنْ يهوى الخُلُودَ كسيِّدِ

وهَمَّتْ بروحي نغْمَةٌ يَعْرُبِيّةٌ ... عرفْتُ بها غسانَ من قبلِ مولدِ

---

* ألقيت في جامع يلبغا بدمشق بتاريخ 1949/5/5 مسيحي بمناسبة المولد النبوي الشريف.

** شاعر لبناني مسيحي

ومرَّتْ جيوشُ الصالحين وهَمْهَمَتْ جِيادٌ على الدُّنيا تروحُ وتغتدي

وفي كلِّ أرضٍ فَيْلَقٌ إثر فَيْلَقٍ وفي كل أُفْقٍ فَرْقَدٌ إثر فرقدِ

ونِسْرُ قريشٍ في مسارح جَوِّهِ يَمُدُّ جناحَيْهِ لأشْرَفِ سُؤْددِ

يُحَلِّقُ في الآفاقِ غيرَ مُرَوَّعٍ بطَرْفٍ إلى وَكْرِ النجومِ مُصَعِّدِ

يقول لنفس بين جَنْبَيْهِ حُرَّةٍ سبيلُكِ صعبٌ والمنايا بِمَرْصَدِ

فلا كنتُ منكِ اليومَ إن عُدْتُ خائباً ولا كُنتِ مني إن تجاهلْتِ مَقْصِدي

❖❖❖

صراعٌ رمى جيشَ الضلالةِ بالهدى كما يتهاوى كوكبٌ فوق جَلْمَدِ

فيا لَذّةَ الآلامِ في غَمْرَةِ المُنى ويا بَسْمَةَ الأحلام في ثَغْرِهِ الندي

ويا ليَتيمٍ كان كالشمس في الضحى وكالبدرِ في لَمَعانِهِ المتوقِّدِ

تحمَّلَ من دُنْياه أعباءَ أمّةٍ بهمّةِ جبّارٍ وجَفْنٍ مُسَهَّدِ

وفاجأه الرُّوحُ الأمينُ بهمّةٍ فردَّدها آياتِ وحْيٍ مُخَلَّدِ

❖❖❖

أذانٌ من الصحراء في قلب مكّةٍ يَرُنُّ صداه في وهادٍ وأنجُدِ

فلستَ ترى أنَّى تجلّى كتابُه سوى رُكَّعٍ منهم لديْهِ وسُجَّدِ

وأُقْسِمُ لو يدري الورى كُنْهَ دينِهِمْ لَما فرَّقوا ما بين عيسى وأحمدِ

❖❖❖

ولا أطلقوا يوماً قنابلَ مِدْفَعٍ ... ولا صَقلُوا للحرب حَدَّ مُهَنَّدِ

فأنتَ أخي ما دامتِ الأرضُ أُمَّنا ... وأنت أخي بالروح قبلَ التجسُّدِ

❖❖❖

لَعَمْرُكَ ما الأديانُ إلا نوافذٌ ... ترى اللَّه منها مُقْلَةُ المُتَعَبِّدِ

تعاليمُ إصلاحٍ وعدلٍ ورحمةٍ ... فلا تجعلوا منها سلاحاً لِمُفْسِدِ

ولو شاء ربُّ الكون توحيدَ خَلْقِهِ ... لقال لهاتيكَ الشعوبِ تَوَحَّدي

ولكنه أوصى الجميعَ على الهُدى ... بعيشٍ على صَخْرِ الإخاءِ مَوَطَّدِ

❖❖❖

نَظَمْتُ لقومي من روائعِ مَجْدِهِمْ ... قصائدَ إنْ يَسْعَدْ بها العُرْبُ أَسْعَدِ

ولي هَدَفٌ سامٍ إذا ما بَلَغْتُهُ ... فلستُ أُبالي ما يُرَدِّدُ حُسَّدي

سأنْشُرُها في الخافِقَيْنِ مَلاحِماً ... على نَهْجِ حسانٍ ونَغْمَةِ مَعْبَدِ

فأُنْشِدُ ألحانَ السلامِ لِمَوطنٍ ... مُثَلَّثُ أقوامٍ بِهِ كالمُوَحِّدِ

وأُلْقي بذورَ الحُبِّ في كلِّ بيعةٍ ... وأُلْقي بذور الحُبِّ في كلِّ مسجدِ

فألْمَسُ في القرآن عيسى ابنَ مريمٍ ... وألْمَحُ في الإنجيلِ روحَ محمدِ

❖❖❖

يقول حليم دموس: وقد نَظَمْتُها منذ سنوات حين خُيِّلَ إليَّ أنني مع إخواني المؤمنين وعروسُ الشِّعْر في مركب الهواء فوق الصحراء، أصبَحْنَا بين مِنى وعرفات، وهناك بَعْدَ رمي الجمرات وقفتُ فوق هاتيك المرتفعات وأنشدتُ هذه الأبيات.



الاستبداد.. آفة الحضارات..

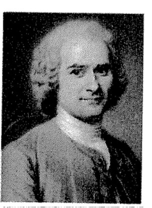
من جان جاك روسو إلى عبد الرحمن الكواكبي

يقول الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (1712ـ 1778) في كتابه (العَقْد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي:

DU CONTRACT SOCIAL OU PRINCIPES DU DROIT POLITIQUE

«وُلد الإنسان حُرّاً طليقاً، ومع ذلك فهو مُثقلٌ بالقيود في كلّ مكان. وَلَرُبَّ رجل يتوهّمُ أنه سيّد الآخرين وهو لا ينـي يرسف في أغلالٍ من العبوديّة هي أثقل من أغلالهم ...

الأقوى لا يكون أبداً قويّاً بما فيه الكفاية لأن يكون دائماً سيّدا، إلا أن يُحوّل قوّته إلى حق، والطاعةَ التي يفرضُها إلى واجب.



جان جاك روسو

من هذا نتجَ حقُّ الأقوى، هذا الحقُّ الذي يُتَلقّى بسُخريّة تلقّياً ظاهريّاً، والذي تقرّرت حقيقتُه تقرّراً مبدئيا. ولكن، أليس من سبيلٍ فيفسّر لنا مُفسِّرٌ هذه الكلمة؟.

إنّ القوّة سلطةٌ طبيعيّة، ولا أرى أيَّ حكمة أدبية يمكن أن تنجُمَ عن نتائجها. والإذعان للقوّة عَمَلُ ضرورة، لا عمل إرادة.

إنه لا يعدو أن يكونَ عملَ فِطنة، ففي أيّ معنىً يمكنُ أن يكونَ واجباً ؟ ليس لإنسانٍ ما سُلطانٌ طبيعيٌ على مثله، والقوّةُ لا تُخوّل أيَّ حقٍّ كان. ولذلك فإنّ العهودَ تظلّ أُسّاً لكلّ سلطة شرعيّة بين الناس... وقد يقولُ قائلٌ : إنّ الملكَ المُستبدَّ يضمن لرعاياه الهدوء والطمأنينة، فإذا كان ذلك كذلك، فما الذي يجنونه من كسب إذا ما أنزل بهم من الخراب والدّمار، أكثر جدّاً مما تُنْزِلُه بهم التّفرقة، تلك الحروب التي يجرّها عليهم طمعُه، وجَشَعُه الذي لا يشبع، ومظالم وزرائه وعمّاله؟ بل ما الذي يجنونه من هذا السكون إذا كان هذا السكونُ هو نفسُه سبباً من أسبابِ بؤسهم وشقائهم ؟ إنّ حياةَ الهدوء قد تُسلخُ أيضاً في مُظلِمَاتِ السّجون، ولكن أيكفي هذا الهدوء ليعيش السجين فيها ناعمَ العيش ؟ إنّ الإغريق الذين زُجّوا في غار سيكلوب كانوا يعيشون عيشةً هادئةً في انتظار الساعةِ التي يجيء فيها دورُهم فَيُفتَرَسون.

ومَن قال إنّ إنساناً ما قد يَهَبُ نفسَه دون مُقَابِل، فقد قال ما لا يُعقَل، وما لا يُمكنُ تصوّرُه.

إنّ عقداً كهذا هو عقدٌ باطلٌ وغير شرعيّ لمجرّد صدوره عن شخص غير رشيد، وقول ذلك عن شعب بأكمله هو افتراض شعب من المجانين، والجنون لا يُنشئُ حقّا...

ولن يخطو الدّعاةُ المحرّضون على الاستبداد خطوةً واحدةً إلى الأمام.. وسيظلّ هناك فرق كبير بين إخضاع جماعة وإدارة مجتمع. وإذا ما استُعبِدَ أفرادٌ من النّاس متفرّقين، الواحد بعد الآخر، بالغاً عددُهم ما بَلَغ، من رجلٍ واحد، رأيتَ هناك سيّداً وعبيداً ولم أر شعباً ورئيسا».

يقول عبد الرحمن الكواكبي (1848 ـ 1902) في كتابه الشهير (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد):

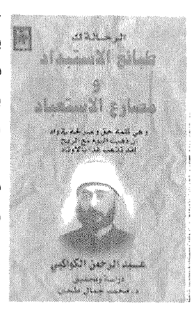
❖ «المستبدّ عدو الحق، عدو الحريّة وقاتلهما. والحقّ أبو البشر، والحريّة أمهم. والعوام صِبيةٌ أيتام نيامٌ لا يعلمون شيئا، والعلماء هم أخوتهم الراشدون، إن أيقظوهم هبّوا، وإن دَعَوهم لبّوا. المستبدّ يتجاوز الحدّ لأنه لا يرى حاجزا. فلو رأى الظالم على جنبِ المظلوم سيفاً لما أقدم على الظلم.

المستبدّ إنسان، والإنسان أكثرُ ما يألفُ الغنمَ والكلاب.

فالمستبدّ يودّ أن تكون رعيّتُه كالغنم ذلاً وطاعة، وكالكلابِ تذللاً وتملّقا. وعلى الرّعية أن تكونَ كالخيل إن خُدِمَت خدَمَتْ وإن ضُرِبَت شرست، بل عليها أن تعرفَ مقامها هل خُلِقت خادمة للمستبدّ؟ أم هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها؟ والرّعية العاقلة تُقيّدُ وحش الاستبداد بزمام تستميتُ دون بقائه في يدها لتأمنَ من بطْشِه، فإن شمخ هزّت به الزمام، وإن صال ربطته».

❖ «ما أشبهَ المستبدَّ في نسبته إلى رعيته بالوصيّ الخائن القويّ على أيتامٍ أغنياء، يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوى ما داموا قاصرين. فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلُغَ الأيتامُ رُشدَهم، كذلك ليس من غرض المستبدّ أن تتنوّر الرعيّةُ بالعلم. ولا يخفى على المستبدّ أن لا استعباد ولا اعتساف ما لم تكن الرّعية حمقاء تتخبّط في ظلامة جهل وتيه عماء. ولو كان المستبدّ طيراً لكان خفّاشاً يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، ولو كان وحشاً لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل.

❖ المستبدّ كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته، لأن للعلم سُلطاناً أقوى من كلّ سلطان، فلا بدّ للمستبدّ من أن يستحقرَ نفسه كلا وقعت عينه على كلّ من هو أرقى منه علماً. ولذا لا يحب المستبدّ أن يرى وجه عالمٍ ذكي. فإذا اضطُرّ لمثل الطبيبِ والمهندسِ يختار المتصاغرَ المتملّق. وعلى هذا بنى ابن خلدون قوله: «فاز المتملّقون».



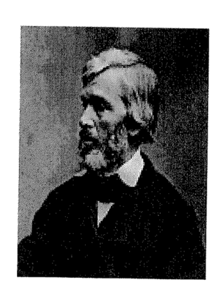
❖ من الحكمة البالغة للمتأخرين قولهم: «الاستبداد أصلٌ لكل فساد». ومبنى ذلك أن المبحثَ المُدقّقَ في أحوال البشر وطبائع الاجتماع كشف أن للاستبداد أثراً سيئاً في كلّ واد.

❖ تفعلُ العدالة في أخلاقِ البشر ما تفعله العناية في إنماء الشجر. فالأقوام كالآجام إن تُركت مُهملةً تزاحمت أشجارها، وسَقُم أكثرُها، وتغلّب قويّها على ضعيفها فأهلكه، وهذا مثل القبائل المتوحّشة. وإن صادفت بستانيّاً يهمّه بقاؤها وزهوُها، فدبّرَها بحسب ما تطلبه طباعُها قويَت وأينعَت وحسُنت ثمارُها، وهذا مثل الحكومة العادلة. وإذا بُليت بحطّابٍ لا يعنيه إلا عاجلُ الاكتسابِ أفسدها وخرّبها، وهذا مثل الحكومة المستبدّة.

عظمة النبي محمد ﷺ كما يراها توماس كارلايل

توماس كارلايل (1795-1881 Thomas Carlyle)

مؤرخ وفيلسوف اسكتلندي، من أوائل المفكرين الغربيين الأحرار الذين أنصفوا نبيَّ الإسلام محمداً ﷺ في كتابه الشهير« الأبطال، وعبادة البطل». ولعلّ كلامه عن البطل باعتباره نبيّاً كان أجرأ صرخة إنصاف تصدر عن فيلسوف حرّ في القرن التاسع عشر.



يقول كارلايل:

❖ « لقد أصبح من أكبر العار على أيّ فرد متديّن من أبناء هذا العصر أن يُصغي إلى ما يُظنّ من أنّ دين الإسلام كذبٌ، وأنّ محمّداً خدّاعٌ مزوّر. وآن لنا أن نحاربَ ما يُشاعُ من مثل هذه الأقوالِ السّخيفةِ المُخجلَة، فإنّ الرسالةَ التي أدّاها ما زالت السّراجَ المنيرَ مدى اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من النّاس أمثالنا، خلقهم اللهُ الذي خلَقَنَا. أفكان أحدُكم يظنُّ أنّ هذه الرسالة التي عاشت بها وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبةٌ وخدعة؟

أمّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرّأيَ أبداً. ولو أن الكذبَ والغشَّ يروجان عند خلق الله هذا الرّواج ويصادفان منهم مثل هذا التصديق والقبول، فما النّاسُ إلا بُلْهٌ ومجانين، وما الحياةُ إلا سُخْفٌ وعبثٌ وأضلولةٌ كان الأولى بها ألا تخلق.

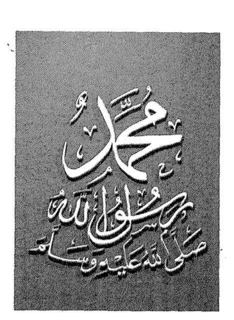
فوا أسفاه ما أسوأ مثلَ هذا الزّعمِ ، وما أضعفَ أهلَهُ ، وأحقّهم بالرثاء والمرحمة. وبَعْدُ، فعلى من يريد أن يبلُغَ منزلةَ ما في علومِ الكائنات ، ألا يُصدّق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء! فإنها نتائجُ جيلِ كفرٍ وعصر جحود وإلحاد. وهي دليلٌ على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح في حياة الأبدان. وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوحّد ديناً وينشره ؟

عجباً والله، إنّ الرجلَ الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجصّ والتراب وما شاكل ذلك، فما الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تلّ من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد. نعم، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جديرٌ أن تنهارَ أركانُه فينهدمَ كأنه لم يكن.

❖ وعلى ذلك فلسنا نعدّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرّع بالحيل والوسائل إلى بغية، أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر. وما الرسالة التي أدّاها إلا حقٌّ صُراحٌ، وما كلمته إلّا صوتٌ صادق صادر من العالم المجهول. كلا! ما محمد بالكاذب ولا الملفق، وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطّر عنها قلبُ الطبيعة، فإذا هي شهابٌ قد أضاء العالم أجمع.

❖ ويزعم المتعصبون والملحدون أنّ محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان. كلا وأيْمُ اللهِ، لقد كان فؤاد ذلك الرجل الكبير، ابن القفار والفلوات، المتوقّد المقلتين، العظيم النفس، مملوءاً رحمةً وخيراً وحناناً وبرّاً، وحكمةً وحجىً، وإربةً ونُهى.

❖ وما كان محمد بعابث قط، ولا شاب شيئاً من قوله شائبةُ لعبٍ ولهو. بل كان الأمر عنده أمرَ خُسْرانٍ وفلاحٍ، ومسألةَ فناء وبقاء. ولم يك منه إزاءها إلا الإخلاص الشديد والجد المر. فأمّا التلاعبُ بالأقوال والقضايا المنطقيّة، والعبثُ بالحقائقِ فما كان من شأنه قط.



❖ لقد أخرج الله العربَ بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به من العربِ أمةً هامدةً وأرضاً خامدة. وهل كانت إلا فئة من جوّالة الأعراب، خاملةً فقيرةً تجوب الفلاة منذ بدء العالم، لا يُسمع لها صوتٌ، ولا تنبجسُ منها حركةٌ، فأرسل الله لهم نبيّاً بكلمة من لدنه ورسالة من قِبَلِه، فإذا الخمولُ قد استحال شُهرةً، والغموضُ نباهةً، والضّعَةُ رِفْعةً، والضّعفُ قوّةً، والشرارة حريقاً وَسِعَ نورُه الأنحاء، وعمّ ضوؤُه الأرجاء، وعقد شُعاعُه الشمالَ بالجنوب، والمشرق بالمغرب. وما هو إلا قرنٌ بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجلٌ في الهند ورجلٌ في الأندلس، وأشرقت دولةُ الإسلام حِقَباً عديدةً، ودهوراً مديدة، بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة. وما زال للأمة رقي في درج الفضل، وتعريج إلى ذُرَى المجدِ، ما دام مذهبها اليقين ومنهاجها الإيمان..

(من ترجمة الأستاذ الشاعر محمد السباعي)



- من نحن ؟ التحديات التي تواجه الهوية القومية الأمريكية
- لم نكن نحن
- الأحمدية .. عقائد وأحداث
- المكتبة



من نحن ؟

التحدّيات التي تواجه الهُويّة القومية الأمريكية

عرض: الصديق بشير نصر *

البروفيسور صاموئيل هنتينغتون

عمل البروفيسور صاموئيل بهارفارد مديراً لمركز الشؤون الدولية، ورئيساً لأكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية.

وقد شغل خلال السنتين 1986 ـ 1987 منصب رئيس الرابطة الأميركية للعلوم السياسية، كما عَمِلَ قبل ذلك بالبيت الأبيض حيث شغل خلال السنتين 1977 ـ 1978 منصب منسّق التخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي. كما أسس صحيفة (السياسة الخارجية) وعمل بها سبع سنوات محرّرا. ومن أشهر مؤلفاته:

- ❖ الجندي والدولة (1957)
- ❖ الدفاع المشترك : برامج استراتيجية في السياسات القومية (1961)
- ❖ النظام السياسي في تغيير المجتمعات (1968)
- ❖ السياسات الأميركية : وعد
- ❖ الموجة الثالثة: التحوّل الديمقراطي (الديمقرطة) في أواخر القرن العشرين (1991)
- ❖ صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي (1996)

يرى كثير من النقّاد أن كتاب هنتينغتون (من نحن؟) ليس إلا نسخة منقّحة من كتابه الذائع الصيت (صدام الحضارات)، وأنّ الأطروحات التي جاءت فيه تكاد تكون هي نفسها في كتابه الأخير، مع تغيير شكلي في طريقة العرض، واختلاف طفيف في منهجيّة البحث.

إن كتاب (من نحن ؟) يدور في الفلك نفسه الذي يدور فيه كتاب (صدام الحضارات)، وهو حتمية الصدام الحضاري. ويمكن القول إن الفرق بين الكتابين هو أن الأوّل صدام حضارات خارج الولايات المتحدة بين الغرب المتفوق والمهيمن اقتصادياً وعسكرياً، والآخر المستضعف الذي يتوق إلى استرداد ماضيه المشرق. وأن الثاني صدام حضارات داخل الولايات المتحدة نفسها، صدام داخل النسيج الأميركي الذي يزعم هنتينغتون أنه واحد. ولو كان واحداً حقاً لانتفى هذا الصراع.

إنّ أطروحة (البحث عن عدو) تُعَلّقُ عليه نجاحات الغرب (أميركا / أوروبا) وإخفاقاته والتي تظهر من حين إلى آخر في كتاب (من نحن ؟)، هي عينها في كتاب (صدام الحضارات).

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

ويتميّز هذا الكتاب عن سابقه بصراحة مؤلفه الفائقة التي تحاول أن تصوّر لنا العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الإثنيّات داخل الولايات المتحدة ذات طبيعة مؤثّرة بين شدّ وطرد. ولمّا كان المجتمع الأميركي ليس نسيجاً واحداً بل أنسجة مختلفة تعبّر عن هويّات وثقافات مختلفة فإن من الضروريّ صهر كل تلك الأنسجة لتظهر في لحمة واحدة وسدى واحد، أو التخلّص منها للإبقاء على نقاء النسيج الاجتماعي الأميركي المزعوم، بالرغم من أنه لا يخفى على أحد أنّ أمريكا نشأت على أساس التنوّع العرقي والثقافي.

ويوغل هنتينغتون في تصوّره أنّ المجتمع الأميركي ليس مجرّد مجتمع مكوّن من مهاجرين رمت بهم الأقدار من بلاد قصيّة فراراً من ظلم أو بحثاً عن رزق في العالم الجديد، حاملين بين جوانحهم ثقافات مختلفة، بل هم مجموعة متجانسة من المستوطنين البريطانيين البروتستانت، وأنّ هؤلاء هم الذين أسسوا المجتمع الأميركي على الثقافة الأنكلو ـ بروتستانتية.

هل تشكّل أي هوية يقوم على معاداة الآخر؟ وهل الإحساس بمعاداة الآخرين يُثبت الهوية؟

ولذلك فإن لأميركا هويّةً واحدةً يجب المحافظة عليها، وهي هويّة هؤلاء المستوطنين. وهذه الهويّة تقوم على أسس أربعة :

العرق الأبيض، الإثنية الإنكليزية، الدين المسيحي البروتستانتي، الثقافة الإنكليزية البروتستانتية. وقد انصهر المهاجرون من مختلف أنحاء العالم إلى أمريكا في هذه الهويّة.

ومن أخطر ما جاء في هذا الكتاب زعم مؤلفه أنّ تشكّلَ أي هويّة لأي جماعة يقوم على معاداة الآخر، وأن الإحساس بمعاداة الآخر يُثبّت الهُويّة. ولذا لا بدّ لأمريكا من البحث عن عدو في كلّ مرحلة، حتى تقوى هويتها وتشتد ويتنامى إحساس مواطنيها بالانتماء إليها.

ويحذّر المؤلف من تراخي الهُويّة الأميركية، وتناقص الشعور بالانتماء إليها في العقود الأخيرة بسبب التحديات الكبرى التي تواجهها. ومن أهم تلك التحديات :

ـ ثورة الاتصالات وتحوّل العالم إلى قرية صغيرة ساهم في ربط المهاجرين إلى أمريكا بأصولهم، مما أيقظ فيهم الإحساس بالانتماء إلى أصول وثقافات غير تلك التي يعيشون بينها. وهذا أيضاً دعاهم إلى البحث عن جذورهم للتشبع من ثقافة الأسلاف، وإحياء لغاتهم الأصلية وتعليمها للنشء الجديد بعد أن اندرست وفقدت طريقها إلى ألسنتهم. كلّ هذا ولّد هويّات جديدة داخل الهوية الأميركية الأم، مثل : الهويّة اللاتينية الأميركية التي تتنامى ثقافياً واقتصادياً ولغوياً بشكل ملحوظ مما يشكّل خطراً على الهويّة الأميركية.

ـ دعوة الليبراليين في أمريكا إلى الانفتاح على الآخر، والدعوة إلى التعددية. وهذا يحدث حرجاً شديداً للسياسة الأميركية التي تبحث عن سبل لتقوية الهوية القوميّة من خلال بعث الحياة في العقيدة البروتستانتية المهجورة باعتبار أن الدين من مقومات الهويّة. والليبراليون يدعون إلى قيم علمانية وفصل الدين عن الدولة. وشجّع على تنامي الهويات الفرعية داخل المجتمع الأميركي باسم الحريّة، كما هو الحال مع الهويّة الأفرو ـ أمريكية، والهوية اللاتينية ـ أمريكية.

ـ السياسات الأميركية المتبعة بشأن الهجرة. وهذه السياسات مهدت للملايين من المهاجرين من دخول أمريكا منذ الستينات، دون وضع برامج منظمة لدمج المهاجرين الجدد في النسيج الاجتماعي الأميركي. ويوجه هنتينغتون انتقاداً للسياسة الأميركية بسبب موافقتها على جعل اللغة الأسبانية اللغة الثانية في بعض الولايات من أجل تعاظم عدد المهاجرين اللاتين إليها. وهذا في نظر هنتينغتون

يسبب خطراً في المستقبل على الهويّة الأميركية لا سيما بعد أن بلغ عدد هؤلاء 12 في المئة من سكان الولايات المتحدة، فضلاً عن قرب بلدانهم الأصلية (المكسيك، البرازيل، الارجنتين، الخ) من الحدود الجنوبية للولايات المتحدة الأميركية.

ـ انهيار الاتحاد السوفياتي، وتفكك المعسكر الشرقي قلل من الهواجس الأميركية، وبذا أخذ يقل الاكتراث بالوحدة الوطنية.

وهذه التحديات قد تفضي إلى واحد من أربعة احتمالات تتعلق بمستقبل أمريكا :

الأول: تفكك الهوية الأميركية الواحدة إلى عدّة هويات داخلها. وهذا احتمال يستبعده هنتينغتون.

الثاني: تحوّل أميركا إلى ثنائية عرقية إنكليزية ـ أسبانية بفعل تنامي عدد القادمين من أميركا اللاتينية.

الثالث : قمع الأميركان البيض للإثنيات الأخرى. وهذا احتمال وارد في رأي هنتينغتون.

الرابع: إعادة تأكيد الهوية الأميركية من قبل الجميع والنظر لأمريكا كبلد مسيحي تعيش فيه أقليات أخرى تتبع القيم الأنكلو ـ بروتستانتينية والتراث الأوروبي والعقيدة السياسية الأميركية كأساس لوحدة الأمريكيين جميعهم.

ويرى المؤلف أنه لا بد من اتخاذ تدابير وإجراءات لتأكيد الهويّة الأميركية، ولمعالجة ذلك لا بد من القيام بأمرين :

الأول : إعادة الروح الدينية للمجتمع الأميركي.

الثاني: توظيف الإسلام، باعتباره عدواً جديداً لأمريكا.

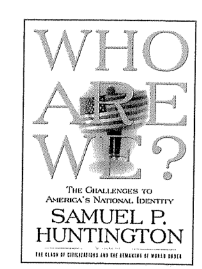
ويؤكد هنتينغتون أن المجتمع الأميركي هو أكثر المجتمعات تديناً (11). وهذه نغمة بدأنا نسمعها من صنّاع القرار السياسي الأمريكيين بعد أحداث 11 سبتمبر، بالرغم من أن هذا الادعاء يتنافى مع البحوث والدراسات التي تؤكد أن المجتمع الأميركي من أكثر المجتمعات تفسخاً وانحلالاً وشذوذاً وجريمةً وبعداً عن الدين. وما يسميه هنتينغتون صحوة دينية في أمريكا من خلال ما يراه من أنشطة بعض الكنسيين من أمثال: بات روبرتسون، وجيري فالويل، ودانيال بابيس وآخرين لا يدلّ على عودة إلى الدين بقدر ما يدلّ على استعداء الأمريكيين على المسلمين، والإمعان في نعتهم بأنهم متوحشون وإرهابيون وحاقدون على أمريكا لأنها أكثر تحضراً منهم.

ما التحديات الكبرى التي تواجه الهوية الأميركية؟!

ويقول هنتينغتون إن المسلمين دخلوا في العقود الأخيرة حروبا طالت البروتستانت والكاثوليك ومسلمين آخرين وهندوساً ويهوداً وصينيين، وأن المسلمين حاربوا في كوسوفا والبوسنة والشيشان وكشمير وفلسطين والفيليبين، وأن مشاعر المسلمين السلبية تجاه أمريكا زادت في التسعينات، وأن الشعوب الإسلامية لم تتعاطف مع الأمريكيين بعد الحادي عشر من سبتمبر، وأن عداوة الشعوب الإسلامية لأمريكا عميقة، وليست بسبب إسرائيل فهي مدفونة في الحقد على الثروة الأميركية والسيطرة الأميركية والعداء للثقافة الأميركية في شقيها العلماني والديني.

وينهي هنتينغتون أطروحته الجديدة بتوقع دخول أمريكا حروباً مع دول وجماعات مسلمة في السنوات القادمة مما يرشح الإسلام بشكل واضح للعب دور العدو الأساسي والكبير الذي يوحد الأمريكيين ضده.

الكتاب إذاً دعوة صريحة لاستعداء الأمريكيين على الإسلام من جهة، واستعداء الحكومة الأميركية على المهاجرين من جهة أخرى بحجة المحافظة على الهويّة الأميركية التي ليس لها وجود في الواقع العملي إلا في ذهن هنتينغتون، وعقول المحافظين اليمينيين المتطرفين، دعاة الحرب والدمار.



(من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية القومية الأميركية) صدر في مايو سنة 2004 عن دار نشر Simon & Schuster. ويقع الكتاب في نحو 480 صفحة. ويتكون الكتاب من ثلاثة أبواب وثمانية فصول.

الباب الأول : (مسائل الهويّة)

ـ الفصل الأول : أزمة الهويّة القومية

❖ أما زالت الرايات تخفق هناك ؟

❖ من نحن ؟

❖ أزمة الهوية الكونية

❖ توقعات الهويّة الأميركية

ـ الفصل الثاني : الهويّات، القومي والآخر

❖ مفهوم الهويّة

❖ آخرون وأعداء

❖ مصادر الهويّة

❖ الثنائية الباطلة

الباب الثاني : (الهويّة الأميركية)

ـ الفصل الثالث : مكوّنات الهويّة الأميركية

❖ استمرارية التغيير والحقائق الجزئية

❖ المستوطنون قبل المهاجرين

❖ أكثر من العقيدة

❖ لا ارتباط بالمكان

❖ الجنس والعرق

ـ الفصل الرابع : ثقافة الأنجلو ـ بروتستانت

❖ جوهر الثقافة

❖ اختلاف المخالف

❖ العقيدة الأميركية

❖ المذهب الفردي وأخلاقيات العمل

❖ المذهب الخلقي وأخلاقيات الإصلاح

ـ الفصل الخامس : الدين والمسيحية

❖ الله والصليب وأمريكا

❖ شعب متدين

❖ أمريكا البروتستانتية والمذهب الكاثوليكي

❖ شعب مسيحي

❖ الدين المدني

ـ الفصل السادس : الانبعاث، النصر، التآكل

❖ هشاشة الشعوب

❖ خلق هويّة أميركية

❖ القوميّة في مواجهة الهويات الأخرى

❖ الأمة والمواطنة

❖ الاضمحلال والقومية

الباب الثالث: (التحديات التي تواجه الهويّة الأميركية)

ـ الفصل السابع : تفكيك أمريكا

❖ ظهور الهويات تحت القومية

❖ الحركة التفكيكية

❖ تحدي العقيدة

❖ تحدي اللغة الإنجليزية

❖ تحدي الثقافة الأساسية

ـ الفصل الثامن : الاستيعاب : المهتدون وتفسخ المواطنة

❖ الهجرة مع الاندماج وبدونه

❖ الاندماج : أما زال ناجحاً ؟

❖ مصادر الاندماج

❖ المهاجرون

❖ عملية الهجرة

❖ المجتمع الأمريكي : الأمركة غير أمريكية

❖ الازدواجية وثنائية المواطنة

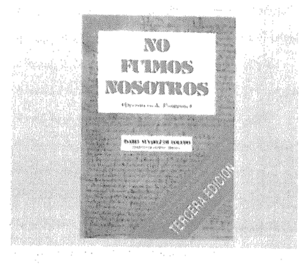
❖ مواطنون وغير مواطنين

❖ بدائل الأمركة



لم نكن نحن

عرض: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل*



الكتاب: لم نكن نحن: طريق الغرب .

تأليف: الدوقة ايزابيل ألباريث دي توليدو

اللغة: الإسبانية .

عدد الصفحات: 232 حجم متوسط .

الطبعة الأولى: 1992 .

عدد الطبعات: 3 .

المحتويات: مدخل، البحث عن الرياح، من بحر إلى بحر، استرداد جزر الكناري، الحدود، البالاس سنة 1463، الحرب في هذه الجهة، محنة حاكم اجوار، البحث عن مينا، الفترة الكولومبية، اتفاق توردسيياس، حرب البربر، جماعة امريكا، البيت التجاري، المرحلة الانتقالية، اتفاقية شنترا، تجارة الرقيق، الكولومبية، مصادر، وثائق، فهرس .

هل هذا الكتاب قراءة جديدة لتاريخ مسلم بوقائعه إلى عهد قريب؟ أم هو من قبيل الكتب التي تحاول لفت الأنظار بما تحويه من معطيات جديدة لا تقبل بسهولة؟ هل هو كتاب يحاول أن يتصدر قائمة المبيعات من خلال إقدام مؤلفته الإسبانية على محاولة تغيير التاريخ الإسباني الخاص بمرحلة الكشوفات الجغرافية التي شكلت تحولاً تاريخياً مهماً على المستوى العالمي؟ كيف يمكن أن تقدم هذه المؤرخة الإسبانية ذات الوضع الاجتماعي والسياسي والتاريخي المتميز على التصادم وبلا هوادة مع تاريخها وتاريخ بلدها، وتتصادم في الوقت ذاته مع معظم المؤرخين إن لم يكن جميعهم من أجل أن تثبت أن ما يفخر به الإسبان ليس إلا مجرد تزوير للتاريخ؟!

لم يكن «كولون»[1] هو المكتشف، لكنه كان مبتكر أو مخترع أرض الهنود، مثله في ذلك مثل أي مروج سياحي، ألف ـ دون اكتراث ـ بين مجموعة من الناس في أرض مطروقة، تم ارتيادها قبله من عدة أقليات، مع احتمال كبير أنهم كانوا نخبة أو صفوة، أي بحار بإمكانه أن يصبح من الصفوة أو النخبة إذا ما استطاع أن يدرك علم الأخلاق ويطبقه في سلوكه ...

... وحتى تتحول أكذوبة الاكتشاف إلى حقيقة فإن الملكة الكاثوليكية [2] بددت ثروة الصناعة والصيد والتجارة عبر البحار خاصة في الأندلس، حتى تكمل الشروط التي

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا

(1) كريستوبال كولون / يعرف باسم :كريستوفر كولومبوس.

(2) الملكة الكاثوليكية: إيزابيل زوج فيرديناند، وفي عهدها تم تسليم مفاتيح قصور الحمراء بغرناطة.

وضعها (البابا) ويتم الإعلان وبشكل لافت للنظر أنه تم تعميد عشرة ملايين من الهنود في خمسة عشر عاماً، كما تم قتل ستة عشر من دعاة الحرية النشطين في عدة أماكن من أميركا الجنوبية...

لقد عمل (المبشرون) على تغيير مبادئ التقوى والورع والإخلاص، وحتى ينسوا (أصنام الفخار) استبدلوها بأصنام من ذهب وفضة دون مراعاة لمراقبة الله، لقد غيروا (الكهنوت) واستفادوا من إعانة (الجماعات العسكرية المسلحة) الذين كانوا يصحبونهم في (جلسات التعميد)، والتي كانت مراحل سلب بحجة (التعميد) ...

هذه بعض فقرات من كتاب بعنوان (لم نكن نحن) أثار جدلاً واسعاً على المستويين الإسباني والأوروبي، ومنذ صدوره لا يمكن لأحد يهتم بتاريخ الاكتشافات وتاريخ القارة الأميركية وتاريخ شعوبها تجاهله، لا لأنه كتاب يحاول أن يقدم قراءة جديدة لتاريخ فحسب، بل وإضافة إلى ذلك فهو كتاب يقلب الطاولة، وينسف وبشكل تصادمي عدة أمور ظلت من المسلمات إلى عهد قريب ...

المشكلة تكمن في أن وجهات النظر التي يتضمنها هذا الكتاب ربما لا يمكن قبولها لو أنها صدرت من مؤرخ غير إسباني أو غير أميركي، لكنها وجهات نظر أقامت الدنيا ولم تقعدها، أولاً: لأنه صدر من مؤرخة إسبانية تتمتع بمكانة اجتماعية وعلمية أقر لها بها المجتمع الإسبان وغيرهم، وثانياً: لأنه خطوة أولى في اتجاه مطالبة بإعادة كتابة تاريخ اسبانيا وما اصطلح على تسميته بـ(العالم الجديد) ...

اعتقادنا باكتشاف أمريكا هوس يشبه إلى حد كبير من يسعى إلى حبس مياه البحر في إناء من الرمال...

سمعت عن هذا الكتاب (لم نكن نحن) في النصف الأول من تسعينات القرن الماضي، بحثت عنه كثيراً دون جدوى، وأخيراً استطعت تصوير نسخة منه وجدتها في إحدى المكتبات الخاصة في مدريد، ولم أكن أتوقع أن ألتقي مؤلفته السيدة ايزابيل ألباريث دي توليدو، إلا أن الرياح تجري أحياناً بما تشتهي السفن، حيث التقيتها أكثر من مرة، في مدريد وقرطبة وفي منزلها الصيفي في منطقة قادش، وفي اشبيلية التي كان لي فيها حوار مطول معها، شمل كتابيها (لم نكن نحن) و(أفريقيا الوجه الآخر لأميركا)، وقضايا أخرى تتعلق بمجريات الأحداث على المستويين العربي الإسلامي والأوروبي، ومدى ارتباط هذه الأحداث بالتاريخ القديم والحديث ...

تقول المؤلفة «نحن نعتقد في اكتشاف أميركا كعقيدة تشبه إيمان الكاثوليكي بغموض سر الثالوث المقدس»، وترتب على ذلك أنه من الصعب التسليم بمعطيات لمجرد أن الهوس بها يفرض علينا ذلك، وإذا ما سرنا خلف هذا الهوس فإننا كمن يسعى إلى حبس مياه البحر في إناء من الرمال...

«الإسلام وصل أميركا منذ القرن السادس على الأقل» هذا ما أعلنته السيدة إيزابيل ألباريث دي توليدو، دوقة مدينة سيدونيا، وهو رأي لم يكن مجرد ادعاء أعلنته هذه المؤرخة المثيرة للجدل على المستوى الأوروبي، لقد أكد هذا الأمر عدد لا بأس به من المؤرخين [3].

الكتاب إثر صدوره أثار ردود فعل كثيرة، لعل أهمها هو موقف المؤرخين الذي تصفهم المؤلفة بـ(الرسميين)، والذين رأوا فيه مجرد تهويمات لا تسندها أية وثائق، بيد أن حجم المعارضة من قبل أولئك المؤرخين لفت الأنظار إليه، ودفع بالمؤلفة إلى أن تصدر كتابا آخر زودته بمصورات عن وثائق مخطوطة تمتلكها تسند ما ذهبت إليه، إضافة إلى جملة من الخرائط التي تثبت من وجهة نظرها ما قررته حول عدم صحة نسبة اكتشاف أميركا لكريستوبال كولون الذي طلب في إحدى رحلاته فريقاً من المترجمين الذين يجيدون اللغة العربية ! مما تراه أمرا لافتا للنظر، وفي هذا الصدد تورد أسماء عدة أماكن تحمل أسماء عربية لمدن وأنهار وأودية في أميركا الجنوبية والوسطى.

الدوقة ايزابيل ألباريث دي توليدو



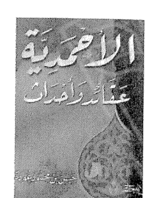
المؤلفة: لويسا ايزابيل الباريث دي توليدو، دوقة مدينة سيدونيا الإسبانية، ولدت لأبوين إسبانيين بايستوريال / البرتغال في 18 / 8 / 1936.
تعرف بـ(الدوقة الحمراء) وبسبب مناهضتها لفرانكو تعرضت للسجن والنفي.
1990 اسست جمعية بيت مدينة سندونيا للمحافظة على مجموعتها الوثائقية التي تعتبر أهم وأكبر مجموعة وثائقية في أوروبا.

وهذه واحدة من الوقائع التاريخية التي حاولت من خلالها إثبات صحة ما ذهبت إليه من أن الوجود الإسلامي سبق بكثير رحلة (كولون) إلى أميركا، تقول: «قديما وفي 31 من شهر يوليو 1502 يمكننا أن نشير إلى اكتشاف رائع، كان ذلك في جزيرة جامايكا، حيث التقى كولون جمعا غريبا من الناس في مركب بحري غير عادي، كان المؤرخون يطلقون عليهم: هنود المايا، ذلك المركب البحري بطول أربعين قدما، وعرضه ثمانية أقدام تتوسطه خيمة لحماية راكبيه من أشعة الشمس المحرقة، أحس (كولون) أن ما رآه يشبه وبشكل كبير السفن الشراعية العربية التي كان يراها تمخر عباب البحر الابيض المتوسط، كان بالمركب ما يقرب من أربعين رجلا وامرأة، لم يكونوا يشبهون البتة هنود المايا، كانوا على العكس منهم تماما، يرتدون قمصانا ذات ألوان وخطوط ورسوم رائعة مثل تلك التي كان (كولون) قد رآها في البحر الأبيض المتوسط وفي غرناطة...»

قالت عن الطبعة الثالثة من كتابها «صدر هذا الكتاب سنة 1992، لم أفكر في إعادة طباعته، ولكن هناك من لديه الرغبة في الاطلاع عليه، وعندما كتبته تجاهلت الوثائق الموجودة التي اكتشفت مؤخرا، وعدم الاشارة إليها من شأنه أن يوقعنا في أخطاء مألوفة، مثل تحديد موقع الرحلة الثالثة لكولون سنة 1498 وحمله إلى بيرال [4]»، أو افتراض إقامة أساقفة فينلاندا في جالدار [5] بينما هم في جزيرة غرينلاند، كان من المهم تصحيح كل ذلك، النص كان سيفقد قيمته مع اكتشاف أمر مهم في وثيقة - ليس من شأنه أن يغير التاريخ - يخرجنا من دائرة الخطأ، يغير تصورنا للتاريخ ...

(3) من بينهم الأميركيان: بيرنت كنيدي وروبين تاوغان في كتابهما (انبعاث شعب فخور بنفسه)...
(4) جزر في خليج بنما.
(5) مدينة في جزر الكناري.





الأحمدية ... عقائد وأحداث

أوّل دراسة عن القاديانية من الداخل

عرض: الصديق بشير نصر *

تكمن قيمة هذا الكتاب في كونه أوّل دراسة نقدية عن القاديانية من داخل القاديانية. لقد كُتِبَ عن القاديانية عدد كبير من الكتب بالعربية والأردية والانجليزية واللغات الأخرى. ومعظم تلك الكتب النقدية جاءت من خارج القاديانية التي تسمت في ما بعد بـ(الأحمدية) بعد أن تلوّث ذلك الاسم وصار مذموماً بفعل كتابات الفقهاء المسلمين الذين ما فتئوا يفضحون هذه النحلة الفاسدة صنيعة الاستعمار الإنكليزي في بلاد الهند. ومع أن تلك المؤلفات اعتمدت على مؤلفات مؤسس القاديانية ميرزا غلام أحمد في بيان فساد معتقداته وتتبعها بشكل تفصيلي كما فعل إحسان إلهي ظهير وآخرون قبله من علماء الهند ومصر، إلا أن الهيكل الداخلي لهذه الفرقة ظلّ محجوباً ومستوراً عن غير أتباعها حتى ظهر هذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ الباحث حسن بن محمود عودة.

والكتاب يحكي قصّة مؤلّفه مع «الأحمدية» وقد تسنّى له معرفة هذه الطائفة عن قرب، فقد وُلِدَ لأبوين أحمديين، ونشأ على الأحمدية، وترعرع فيها، حتى تسنّم فيها منصبَ مدير عام دائرة الشؤون العربية، والمترجم الخاص لرئيسها «خليفة المسيح»، ورئيس مجلتها «التقوى».

قصة المؤلف مع الكتاب:

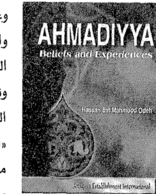


حسن محمود عودة

يقول المؤلف حسن محمود عودة في أول كتابه: «ولدت في حيفا يوم الأحد العاشر من جمادى الأولى عام 1375هـ، الموافق 25 / 12 / 1955، لأبوين عربيين أحمديين، وكان جدي لأمي - ويُدعى عبد القادر بن صالح العودة - أولَ من صدّق دعوة القادياني في «الكبابير» معقل الأحمدية اليوم في الشرق الأوسط وذلك عام 1928 من طريق أحد دعاة هذه الطائفة من الهنود. وكان جدّي لأبي - ويُدعى الحاج أحمد بن عبد القادر العودة - هو المصدّق الثاني لها. وهكذا نشأتُ كما نشأ والداي على العقيدة الأحمدية القائلة بصدق ميرزا غلام أحمد ونجاة طائفته، وكذب من لم يُصدّقه وهلاكه».

لقد احتلّت عائلة «عودة» منذ اعتناقها للقاديانية مركزاً مهماً في سلّم الدعاية الأحمدية حتى وصفتها صحيفة «التقوى» لسان حال القاديانية بالعربية (8 / 1989) بأنها: «شجرة مباركة أنجبت للأحمدية عشرات

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا



الغلاف الأجنبي للكتاب

وعشرات من الرجال والنساء والأطفال.. بارك الله في فروعها وأوراقها وثمارها. وبفضل هذه الشجرة أصبحت «الكبابير»، وهي ضاحية من ضواحي مدينة حيفا، معقلاً للإسلام الحقّ في البلاد العربية، وبايع كلّ أهلها الأحمدية. لقد كانوا حقّاً متشبهين بالأنصار، رضي الله عنهم، ومكّنوا للحقّ أن يُرْسِلَ جذوره مطمئنةً في أرضهم».

تلقى المؤلف تعاليم الأحمدية على يد أبيه في حيفا حتى نهاية المرحلة الثانوية، ثم سافر إلى السويد لإتمام دراسته الجامعية سنة 1976. وفي هذا العام يلتقي في السويد بخليفة المسيح الثالث ميرزا ناصر بمناسبة افتتاح مسجد للأحمدية بمدينة جوتنبرغ . لقد أحدث هذا اللقاء أثراً قوياً في نفس حسن عودة الطالب الشاب ابن العشرين الذي ترعرع في كنف القاديانية في «الكابابير» بحيفا في فلسطين. إنّ لقاء خليفة المسيح الموعود كان يُعد عند أتباع هذه الطائفة من البركات والكرامات الإلهية التي لا ينعم بها إلا من كان مُباركاً محموداً. وقد عبّر المؤلّف عن هذا اللقاء بقوله: «وقد كان لقاؤه بالنسبة لي ولأخي ولوالدي حدثاً مهماً جدّاً، وحظّاً كبيراً لا يتحقّق إلا للسعداء من الأحمديين» ص 11. وفي سنة يجتمع المؤلف بميرزا ناصر مرّة ثانية في السويد وتلتقي عائلة خليفة المسيح الموعود بعائلة عودة فيقرر إثرها حسن عودة أن يتفرغ لدراسة الأحمدية، وأن يَقِفَ حياته على خدمة تعاليمها ونشرها. وفي ذلك يقول المؤلّف: «كنت أرى أننا بحاجة إلى رجالٍ يقفون حياتهم لخدمة الدين ونشر تعاليمه السّامية. وبعد لقاء الخليفة تشجّعت لدراسة مذهبي الأحمدي بعمقٍ أكثر يمكّنني من الدّعوة إليه. فقررت بعد اللقاء الثاني بالخليفة عام 1978 مغادرة السويد والسفر إلى (قاديان) معقل الأحمديّة، ومركزها الأوّل مولد «المسيح والمهدي» ميرزا غلام رسول آخر الزمان. لم يكن همي الأوّل دعوة غير الأحمديين إلى الأحمديّة فحسب، بل انصرفتُ إلى إصلاح المجتمع الأحمديّ ليقيني أنّه بحاجة إلى إصلاح شأنه شأن المجتمعات الأخرى» ص 14.

وهكذا رحل حسن عودة إلى قاديان، فكان أوّلَ شاب عربيّ يأتي لدراسة الأحمديّة بعد تقسيم الهند عام 1948، وربما كان الثاني أو الثالث منذ ظهور القاديانية قبل مائة عام. وفي دار المسيح اجتمع بأكابر الأحمديين مثل ميرزا وسيم حفيد ميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية وآخرين. وفي قاديان رأى مسجداً يسمونه المسجد الأقصى، ويقول الأحمديون إنه المسجد المشار إليه في القرآن في سورة الإسراء بقوله تعالى:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [سورة الإسراء: الآية 1]

وفي قاديان يتحصّل المؤلف على شهادة الوصيّة، وهي شهادة تمنح لمن أراد من الأحمديين أن يُدفن في مقبرةٍ بقاديان تسمى «مقبرة أهل الجنة» نظير أن يدفع نسبةً من أمواله وممتلكاته، وفي ذلك يقول:

« في 17 / 11 / 1979 قرّرت الانضمام إلى حزب «الموصين» الذين يتعهدون بدفع عشر مدخولهم على الأقل إلى النظام الأحمدي، ويوصون بترك عشر ممتلكاتهم على الأقلّ لهذا النظام. وأعلنت في الجرائد المحليّة ـ كما هو مطلوبٌ من كلّ موصٍ ـ بأنني أقبل الشروط التي وضعها ميرزا غلام لمن يريد أن يُدفنَ في مقبرة أهل الجنّة، ولم أحصل على هذه شهادة «الوصية»


ميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس القاديانية 1835 ـ 1908


الخليفة الأول
حكيم نور الدين 1841 ـ 1914

التي تؤهلني للدفن في مقبرة ميرزا غلام إلا بعد حوالي ست سنوات، كنت حريصاً خلالها على دفع عشر ما أكسبه على الأقل، وكانت فرحتي باستلامها عظيما، ولا زلت حتى الآن أذكر الرقم الذي جاء فيها وهو 14407 للوصية، و 1154 للشهادة. لقد شجّع ميرزا غلام أتباعه في كتابه «الوصيّة» على الانضمام لهذا المشروع حتى إنه وصف بالنفاق الذين لا يقبلونه. ووضع عشرين شرطاً يجب على الأحمدي العمل بها ليستحقّ الدفن في تلك المقبرة في قاديان» ص 26.

قفل حسن عودة عائداً من الهند إلى حيفا في فلسطين سنة 1982 ليعمل فيها داعية بعد أن درس تعاليم القاديانية وتعلّم الأردية. وبعد عمل متواصل في خدمة الأحمديّة انتخب في سنة 1984 رئيساً لخدّام الأحمدية في حيفا، كما انتخبت زوجته بعد نحو شهرين لتكون رئيسة للجنة «إماء الله»، وهي سيدة هندية فاضلة من أصول قاديانية، تخلّت عن هذه النحلة الفاسدة مع زوجها.

وفي أواخر سنة 1985 عُيّن حسن عودة مبشراً أحمدياً في بريطانيا التي تحوّلت إلى أحد أهم معاقل القاديانية حيث يقيم فيها الخليفة الرابع للمسيح الموعود ميرزا طاهر، ومن بعده الخليفة الخامس ميرزا مسرور أحمد. وفي تلفورد بمقاطعة ساري Surry اشترت الجماعة الأحمدية مدرسة داخلية تحتوي على أكثر من عشرة ميانٍ تحيط بها مساحة واسعة تستعمل ملاعب رياضية، وأُطلق على هذا الموقع اسم «إسلام آباد». وإسلام آباد اليوم هي مقر خليفة المسيح



الخليفة الثاني
ميرزا بشير الدين محمود أحمد
1965 ـ 1889



الخليفة الثالث
ميرزا ناصر أحمد
1982 ـ 1909

والمقربين منه. وفي هذا المكان سكن حسن عودة وعائلته، وفيها أسس الخليفة الرابع ميرزا طاهر القسم العربي للجماعة الإسلامية الأحمدية، وجُعِلَ حسن عودة مديراً عاماً له. يقول المؤلف: «ومن أهم أهداف هذا القسم الاتصال بالأحمديين العرب وتقديم ما يحتاجون إليه من مساعداتٍ لنشر العقائد الأحمدية داخل البلاد العربية وخارجها». وتتلخص الأعمال التي قام بها المؤلف باعتباره مدير الشؤون العربية في الجماعة الأحمدية في الاتصال بالأحمديين العرب، والاهتمام الخاص بالجدد منهم، وإصدار مجلة شهرية عالمية باللغة العربية تحمل اسم (التقوى)، والقيام بترجمة الرسائل العربية التي تصل إلى الخليفة، وإعداد الردود عليها، وتحرير الرسائل الخاصة بالخليفة الموجّهة إلى علماء العرب وساستهم، ومراجعة الكتب المعدّة للطباعة بالعربية، وتلبية احتياجات المراكز الأحمدية في البلاد العربية، واستضافة الوفود العربية القادمة إلى بريطانيا، وإعداد الردود على ما يكتب ضد الأحمدية في الصحف العربية.

وهذا النشاط الواسع للمؤلف يعكس قيمة كتابه (الأحمدية: عقائد وأحداث).

الأحمدية في الميزان

تحت هذا العنوان كتب المؤلف يقول (ص 80):

«.. فأخذت أقرأ كتب ميرزا غلام ووحيه من جديد، وهذه المرة بعين ناقدة وقلبٍ واعٍ مستعيناً بالله، لأجد أنّ ما يجادلنا المسلمون به في شخص ميرزا غلام ودعوته، ليس كله خطأً كما كنت اعتقد، وأن التفاسير والتأويلات التي طالما اعتمد دعاة الأحمدية عليها في نشر دعوتهم بعيدةٌ عن الحقّ والصواب، وهذا نموذجٌ منها:

❖ علاقة ميرزا غلام أحمد (النبي) بالإنكليز لم تكن مجرد علاقة بين مسلم أراد أن يشكر من أحسن إليه كما كنت أبين ذلك لغير الأحمديين، بل هي أقرب إلى علاقة خادم بمخدوم. يقول ميرزا غلام: «لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها» (خزائن 15 ص 155)، ويقول: «ولا يخفى على

هذه الدولة المباركة (بريطانيا) أني من خدّامها ونصحائها، ودواعي خيرها من قديم، وجئناها في كلّ وقت بقلب صميم» (خزائن 8،ص 36)، ويقول: «يجب على كلّ مسلم طاعة هذه الحكومة طاعة صادقة» (خزائن 15 ص 114).

❖ إلغاء الجهاد لم يكن فيه مصلحة قط إلا لبريطانيا، وليس وحياً تنزّل على المهديّ كما كنّا ندّعي. يقول ميرزا غلام: «لقد ألغي اليوم حكم الجهاد بالسيف، فلا جهاد بعد هذا اليوم. فمن يرفع السلاح على الكفّار يكون مخالفاً لرسول الله.. إني أنا المسيح الموعود، ولا جهاد بالسلاح بعد ظهوري الآن» (خزائن 16، ص 28).

❖ التناقض في دعاوى ميرزا غلام القادياني وأقواله واضحٌ جداً مهما حاولنا تأويلها، إذ أنه يقول: «وليكن واضحاً أننا نلعن كلَّ مَن يدّعي النبوة» (اشتهارات 2، ص 297)، ثم يدّعي النبوّةَ قائلا: «لقد جعلني الله نبيّاً وخاطبني بهذا اللقب بكلّ صراحة» (خزائن 22، ص 154)، ويصرّح في مكانٍ آخرَ قائلا: «إننا نُكذّبُ ونكفّر كلّ من يدّعي النبوّةَ والرسالةَ بعد الرسول محمد خاتم المرسلين». (اشتهارات 1، ص230)، ثم يدّعي الرسالة قائلا: «صدق الله الذي أرسل رسول في القاديان» (خزائن 18، ص 231).

لقد أحدث خروج حسن عودة عن الأحمديّة، وإصداره لنشرة (التقوى) في شكلها الجديد زلزالاً داخل هذه الطائفة حيث نجم عن ذلك خروج عدد من أتباعها وأولهما شقيقاه صالح وأحمد عودة وهما من كبار دعاة القاديانية في فلسطين وفي استوكهولم،



الخليفة الرابع
ميرزا طاهر أحمد
1928 - 2003



الخليفة الخامس
ميرزا مسرور أحمد 1955

وآخرون غيرهم مما دفع ميرزا طاهر خليفة المسيح الرابع أن يوزّع منشورات على أتباع الطائفة يحذرهم من حسن عودة باعتباره مرتداً وآبقاً ومشوهاً للأحمدية. ولا ريب أنّ نشرة (التقوى) الجديدة بيانٌ خطير يفضح حقيقة هذه النحلة المشبوهة، ودعوة صريحة للتأمّل في كتابات ميرزا غلام أحمد وخلفائه لكشف ما فيها من زيغ وانحراف عن عقيدة الإسلام السويّة.

المسيح عيسى بن مريم
كما يراه ميرزا غلام المسيح الموعود

يزعم أتباع الأحمدية تبعاً لمزاعم ميرزا غلام أحمد أن المسيح عيسى بن مريم مدفون في مدينة سرينجر بكشمير، وله قبر هناك يُزار. ومع ذلك الغلوّ في ادّعاء محبّة المسيح فإن لميرزا غلام كلاماً قبيحاً في شخص المسيح عليه السلام. وتحت عنوان (ابن مريم والجماعة الأحمديّة) كتب المؤلف يقول: «الجماعة الأحمديّة أو كما تُعرفُ أيضاً بالقاديانية، هي حركةٌ تدّعي الانتماء إلى الإسلام، تأسّست في الهند سنة 1889. وفيما يلي بعض تصريحات مؤسسها حول عقيدته في عيسى عليه السلام (والتي تبيّن بوضوح شذوذ القادياني عن جادّة الإسلام وعقائده السليمة. يقول ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي: «أجل، لقد اعتاد عيسى الفحش وسلاطة اللسان، وكان يغضب لأتفه الأسباب، ولم يكن يتحكّم في أهوائه وشهواته النفسية.. كما يجب أن نذكر أنه تعوّد شيئاً من الكذب أيضا، فكل الأنباء التي ادّعى أنها تذكره في التوراة ليست موجودة على الإطلاق» (خزائن 11 ص 289)، ويقول:

«لقد كتب النصارى حول الكثير من معجزاته، ولكن في الحقيقة لم تكن له أي معجزة». (خزائن 11 ص 290).

ويقول ميرزا متهكما: «وأمّا عائلته فكانت طاهرةً وشريفةً. ثلاث من جدّاته من طرف الأم، وثلاث من طرف الأب كُنَّ زانيات. ومن دم هؤلاء الزانيات ظهر عيسى وتكوّن وجوده.. وفي هذا ما يُفسّر ميله للمومسات.» (خزائن 11 ص 291)، ويقول ميرزا في حق

السيد المسيح: «لم يكن عيسى ليقدر أن يدّعي الصلاح لأنه كان يعلم أنّ الناسَ يعرفونه مدمناً على الخمر» (خزائن 10 ص 286)، ويقول أيضا: «اتركوا ذكر ابن مريم فغلام أحمد أفضل منه» (خزائن 18 ص 240).

آيات مضحكات وأخر مخجلات مما أوحي لميرزا غلام من السفاهات:

- ❖ «رأيت في المنام ملكاً بهيئة شخص جاء أمامي وأعطاني نقوداً كثيرةً ألقاها في حِجْري، فسألته عن اسمه، فقال: ليس لي اسم. فقلت: لا بدّ أن يكون لك اسم. فقال: اسمي تيتشي تيتشي» (خزائن 22 ص 346).
- ❖ «بريشن عمر براطوس يا بلاطوس» (التذكرة ص 119).
- ❖ «إن الله مع الخائفين». (التذكرة ص 328).
- ❖ «يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنّة» (التذكرة ص 727).
- ❖ «قل هو الله عجيب» (التذكرة ص 654).
- ❖ «كلّ العقل في لبس النظيف وأكل اللطيف» (التذكرة ص 776).
- ❖ «إن العذاب مربّع ومدوّر» (التذكرة ص 790).
- ❖ «ما أنا إلا كالقرآن وسيظهر على يدي ما ظهر من الفرقان» (التذكرة ص 668).
- ❖ «يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة» (التذكرة ص 628).
- ❖ «الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم» (التذكرة ص 622).
- ❖ «زلزلة آيا، زلزلة آيا» (أي جاءت الزلزلة، جاءت الزلزلة) (التذكرة ص 602)
- ❖ I Love You (التذكرة ص 64- 65)
- ❖ I am with you
- ❖ I Shall Help You
- ❖ I Can what I Will do
- ❖ «اعملوا ما شئتم إني غفرت لكم» (التذكرة ص 524).
- ❖ «أنت قابل يأتيك وابل» (التذكرة ص 403).
- ❖ «آريون كا بادشاه أيا» (أي: جاء ملك الآرية) (التذكرة ص 392).
- ❖ «رأيتُني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو.. وكانت الألوهية نفذت في عروقي.. وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول إنّا نريد نظاماً جديدا، سماءً جديدة، وأرضاً جديدة، فخلقتُ السماوات والأرض» (التذكرة ص 195 – 197).
- ❖ «هوشعنا نعسا» يقول ميرزا: «لا أدري بأي لغة هذا الإلهام» (التذكرة ص 120).
- ❖ «إنها سيجعل ثيبة، ويموت بعلها وأبوها إلى ثلاث سنة من يوم النكاح، ثم نردّها إليك بعد موتها ولا يكون أحدهما من العاصمين» (التذكرة ص 166).

يقول حسن عودة المؤلف عند هذا الخبل: «كذا جاء إليه الوحيُ بلغة عربية ركيكة، ويريد الفتاة محمدي بيجم التي أراد أن يتزوجها فلم تقبله، وقد تزوّجت من غيره، وبقيت مسلمة وزوجها، وقد مات ميرزا ولم يتحقق وحيه». (الأحمدية: عقائد وأحداث ص 140).

- ❖ «فجاءه المخاض إلى جذع النخلة، قال: يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّا» (التذكرة ص 73)

يقول حسن عودة هنا: «هذا عندما أصبح هو مريم، وجاءه المخاض أثناء ولادة عيسى منه ليصبح هو عيسى بن مريم» ص 140.

- ❖ «جعلني الله مريم لسنتين.. ثم نفخ فيّ روح عيسى كما نفخ في مريم، فأصبحت حاملاً في صورة استعارية، وبعد عدّة أشهر لم تتجاوز العشرة تحوّلتُ من كوني مريم، وصرتُ عيسى، وهكذا أصبحتُ أنا عيسى بن مريم» (الخزائن الروحانية 19 ص 50).

دعوة القادياني إلى وجوب طاعة المستعمر الإنكليزي

يقول ميرزا غلام أحمد القادياني في كتبه ورسائله:

- ❖ «لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألّفتُ في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي الأمر من الكتب والإعلانات

والنشرات ما لو جُمع لملأ خمسين خزانة» (الخزائن الروحانية 15 ص 155).

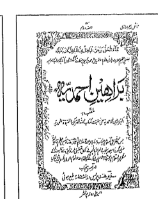
«لقد نشرتُ خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان(1) في هذه البلاد، وفي البلاد الإسلاميّة تفيد أنّ الحكومة الإنجليزية هي صاحبة الفضل والمنّة على المسلمين، وأنه يجب على كلّ مسلم أن يطيع هذه الحكومة طاعة صادقة». (الخزائن الروحانية 15 ص 114).

- «فُرِضَ علينا وعلى ذرّيتنا شكر الحكومة البريطانية المباركة». (الخزائن 3 ص 166).
- «لقد ظللتُ منذ حداثة سنّي وقد ناهزتُ اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها» (اشتهارات 3 ص 11).
- «ولا يخفى على هذه الدولة المباركة (بريطانيا) أني من خدّامها ونصحائها ودواعي خيرها (1) من قديم، وجئناها في كلّ وقت بقلب صميم»(11). (الخزائن الروحانية 8 ص 36).
- «إني أعلم أنّ الله تعالى جعل الحكومة البريطانية حمىً وملجأً ليَ ولجماعتي بفضله الخاص. وهذا الأمْنُ الذي حصل لنا تحت ظلّ هذه الحكومة لا يمكن أنْ يحصلَ في مكّة المكرّمة ولا المدينة المنوّرة» (الخزائن الروحانية 15 ص 156).

القيمة العلمية للكتاب

يكتسب كتاب (الأحمدية: عقائد وأحداث) قيمته العلمية والتاريخية من عدّة أسباب:

- **السبب الأوّل:** أنه أوّل كتابة عن القاديانية من داخل القاديانية.
- **السبب الثاني:** الرجوع إلى أصول القاديانية في مؤلفات مؤسسها ميرزا غلام أحمد، وهي:
- (روحاني خزائن) وهي مجموعة مؤلفات ميرزا غلام باللغات الأردية والفارسية والعربية وتقع في 23 مجلدا.





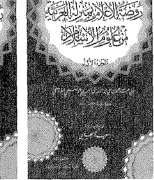
- (التذكرة: مجموعة وحي وكشوفات ورؤى ميرزا غلام).
- (سيرة المهدي) وهي سيرة ميرزا غلام من تأليف ابنه بشير أحمد خليفته الثاني الملقّب بقمر الأنبياء . وتقع في ثلاثة أجزاء. والجدير بالذكر أن هذه الكتب قليلة الانتشار حتى لا يطّلع عليها إلا النخبة من أتباع الأحمدية،

ولم يجدد طبعها حتى تظلّ مقصورة على أولئك، فأصبحت بذلك أشبه بالكتب السرّية للحركات الباطنية. ومؤخراً نُشرت صورة من بعض تلك المؤلفات على الشبكة الدوليّة للمعلومات مع طمس بعض الأسطر في بعض الصفحات التي يكره أتباع القاديانية أن يُطّلعَ عليها، ربما لأنها تسيء لمسيحهم الموعود ميرزا غلام أحمد.

- **السبب الثالث:** ذلك العدد الكبير من الوثائق والصور التي تضمنها الكتاب. غير أن تلك الوثائق جاءت موزّعة على صفحات الكتاب وبين أسطره ما استوجب تصغير حجمها حتى تعذّرت الاستفادة منها، وربما كان من الأفضل لو جُمِعَت كلّها في آخر الكتاب تحت عنوان (وثائق وشهادات وصور)، وفي حجم يمكّن الباحثين من الاستفادة منها بحيث يتسع نطاق نشرها حتى يعمّ النفع بها.

وأخيراً ..

هنيئاً للمكتبة العربية، والإنكليزية، والماليزية بصدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب عن مؤسسة التقوى العالمية بالمملكة المتحدة سنة 2000 م.

روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام

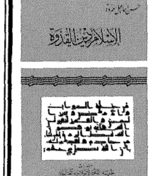
تأليف : محمد بن علي بن الأزرق الغرناطي

تقديم وتحقيق : سعيدة العلمي

منشورات : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

جزءآن / طبعة أولى / قطع متوسط / 1191 صفحة

ظلت آثار ابن الأزرق بعيدة عن الساحة الأدبية والفكرية قرونا عديدة، ولم يتح لها أن ترى النور إلا في السنوات الأخيرة، وقيمة هذا الكتاب ليست باعتباره عملاً إبداعياً، بل لأنه سجل لما وصلت إليه الثقافة العربية الإسلامية في الأندلس. والموضوع الأساسي للكتاب هو التعريف بمكانة اللغة العربية من سائر العلوم الإسلامية، حيث يجعلها المؤلف نقطة المركز ومحيط الدائرة، منطلقا من أن العربية هي الوسيلة لفهم الكتاب والسنة، فبها يقيّم زيغ الكلام أحسن تقويم، ويعصم صاحبها من آفة الفهم السقيم، ومن ثم فهي تستحق رتبة البداية والتقديم، ويعرض المؤلف أيضا لوجهة نظر الشرع في ذلك، وحكم استنباطه، متبعا آثار السلف في ظهور الحاجة إلى تعلمه، ويقدم لذلك من الأدلة النقلية والعقلية ما لا يحصى . ويبقى لابن الأزرق فضل تفصيل موضوعه وتقريب مضمونه، بما قدّمه في ديباجة الكتاب، ويحسن بالقارئ أن يحصن نفسه بها وإلا حاد عن فهم ما وضع له الكتاب أساسا لكثرة اشتباه أجزائه، ولما اشتمل عليه من عناوين عامة وأخرى فرعية، ولما فيه من حكايات وروايات ومسائل متنوعة وأحكام مختلفة.



الإسلام دين القدوة

المؤلف : حسن إسماعيل مروة

منشورات : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس

طبعة أولى / قطع صغير /16 2 صفحة

يبرز الكتاب أهمية القدوة الحسنة والالتزام بالإيمان قولا وعملا، مؤكدا أن أية دعوة مهما سمت لا تتعدى الكلام المنمق، والمعنى المعجب، سرعان ما يزول أثره، طال الأمد أو قصر ما لم يتحول إلى سلوك يومي. ويقدم الكتاب نماذج من سيرة المصطفى ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان، وممن تعلموا وتربوا على مائدة مدرسة النبوة. ويقف المؤلف أمام الداعية محدداً بعض الصفات التي لا بد له من التحلي بها حتى يؤدي رسالته على الوجه الأكمل.

المعرّب في القرآن الكريم

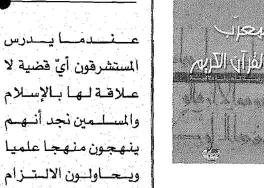
دراسة تأصيلية دلالية

المؤلف: الدكتور محمد السيد علي بلاسي

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ طرابلس

طبعة أولى / قطع متوسط / 380 صفحة.





اختار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لتكون وعاءً لكتابه الخالد «القرآن الكريم». وهذا التشريف والتكريم للغتنا جعلها بلا شك لغة تتربع على عرش الألسنة واللغات؛ وهذه خصيصة وميزة غبطنا عليها أهل الفكر والثقافات. يقول المستشرق الفرنسي لويس مايسنيون: «... وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سموّ الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له».

ونظراً لأن القرآن الكريم قد أنزل بتلك اللغة الخالدة «اللّغة العربية». فلا بد من أن يكون صورة حيّة من تلك اللغة؛ ولذا فقد وردت فيه ألفاظ من لغات أخرى؛ وتلك لمحة جليلة ـ فيما نرى ـ للدلالة على عالمية الإسلام، وأنّه لم ينزل للعرب خاصة، وإنما للعالمين كافة. وفي هذا الكتاب إحصاء واستقصاء شامل لما جاء في القرآن الكريم من كلمات «معربة» يدرسها المؤلف (دراسة تأصيلية): حيث الرجوع بالكلمة إلى أصلها والوقوف على لغتها. و«دلالية» نظراً لأن انتقال اللفظ من لغة إلى أخرى غالبا ما يلحقه ظواهر التطور الدلالي، سواء من حيث الشكل أو المعنى.

الاستشراق..
أهدافه ووسائله

(دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)

المؤلف : الدكتور محمد فتح الله الزيادي

منشورات : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

طبعة ثانية / قطع متوسط / 332 صفحة



عندما يدرس المستشرقون أيّ قضية لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين نجد أنهم ينهجون منهجا علميا ويحاولون الالتزام بالموضوعية والحياد، أما عندما يقتربون من الدائرة الإسلامية (عقيدة أو تطبيقاً) فإن مؤثرات مختلفة تتدافع لتنحرف بالمنهج الإستشراقي وتدفع به إلى اللامنهجية واللاموضوعية. وقد اهتم المستشرقون بعدد من أعلام الفكر الإسلامي، في هذا الكتاب دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون. وما دفع المؤلف إلى اختيار ابن خلدون هو عامل اللغة التي كتب بها عنه واتجاه الكتابة عنه إلى مستهدفات هي أقرب إلى تمثل المنهج الاستشراقي، ويحاول المؤلف الوصول إلى الحقيقة العلمية المجردة التي ترد الأمور إلى نصابها في إظهار حقيقة الفكر الإسلامي وحقيقة مرتكزاته، وعظمة تراثنا الإسلامي، وكيف حاول الغربيون تشويهه وتزييفه عندما تخلفنا عن الاهتمام به والالتفات إلى اقتنائه ودراسته.

القبائل البيضانية

في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة

المؤلف : بول مرتي

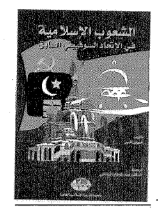
تعريب : الدكتور محمد محمود ودّادي

منشورات : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس

طبعة أولى / قطع كبير / 398 صفحة

يعتبر هذا الكتاب واحدا من سلسلة تضم أحد عشر كتابا، وثلاثين دراسة، نشرها (بول مرتي) عن الإسلام وتاريخ شعوبه في المنطقة الواقعة بين وادي نون شمالاً ونهري النيجر والسنغال جنوبا، حيث قضى ثماني سنوات لدراستها ما بين 1912 و 1920 مسيحي. ويشمل الكتاب مقدمة عن تاريخ القبائل البيضانية من أصولها وأنسابها، وهجرتها إلى الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وصراعها في ما بينها للاستئثار بالنفوذ والسيطرة، وعلاقاتها بجيرانها خاصة القبائل الزنجية والطارقية التي اختلطت بها ما شكل أساساً متيناً للتعايش والاستقرار في كنف الإسلام واللغة العربية. ويعتمد المؤلف على جملة من المصادر المهمة معظمها للرحالة والمؤرخين العرب، وعلى المصادر المحلية من تاريخ (حوليات) المدن التاريخية وعلى المخطوطات الغنية بالمعلومات المختلفة عن أنساب العائلات وغيرها، فضلاً عن المصادر الشفوية.

الشعوب الإسلامية في الإتحاد السوفياتي السابق



المؤلف: شيرين أكنير

ترجمة: الدكتور عبد الوهاب الزنتاني

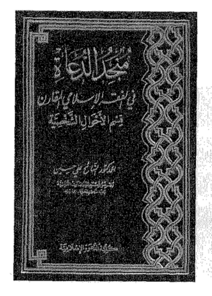
منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس

طبعة أولى / قطع متوسط / 592 صفحة

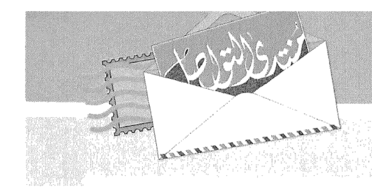
يحتوي الكتاب على معلومات كثيرة ومهمة جداً عن الشعوب المسلمة في الإتحاد السوفياتي السابق، شعوب كثيرة وكبيرة ومتعددة، بلغات وألوان وأشكال وقوميات وأجناس مختلفة جمعها الدين الإسلامي العظيم، فوحد المختلفين منها وهذب وأدب تلك التي لم تكن تتوفر لها حتى عناصر اللغة الواحدة، وقد أغناها روحاً وجسداً وعقلاً ووجدانا، ولقد آمنت بقلوبها وعقولها فحَبَتْ وتفكرت وحللت، ولم تثنها جميع المحاولات التي بذلت في ما بعد عن تمسكها بإسلامها . إن الغرض من هذا الكتاب ـ كما تقول المؤلفة هو الإجابة عن ثلاثة أسئلة أساسية عن الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفياتي سابقاً : من يكونون؟ وأين يوجدون ؟ وكم يكون عدد هؤلاء ؟ .،

منجد الدعاة
إلى الفقه الإسلامي المقارن
(قسم الأحوال الشخصية)

المؤلف : الدكتور السائح علي حسين
منشورات : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس
طبعة أولى / قطع متوسط / 498 صفحة



يسعى المؤلف في هذا الكتاب وفق منهج علمي رصين إلى أن يفتح أمام طلاب كليات الدعوة، والقراء عموماً، آفاقاً واسعة على تراثنا الفقهي العظيم، كما يحرص في الوقت نفسه على أن يربيهم تربية عملية على التجرد من التعصب والتحرر من الجمود على منهج مدرسة فقهية واحدة، فعقل المؤمن الذي يندب نفسه لهداية العباد لا بد له من أن يتميز بالتفكير، وهو فريضة إسلامية، وينفتح على المفيد النافع من تراثنا الفقهي في مختلف مدارسه، ويأخذ بالأحكام والآراء التي تتناسب مع واقعه، ويتسامح مع كل من يخالفه في الرأي إلى أبعد الحدود . ويؤكد المؤلف لكل طالب فقه في أي جانب من جوانب الدين بما يعرضه من أدلة فقهية وشرعية، وما دار حولها من نقاش وحوار، أن الثبات على حكم واحد لا يكون إلا في المعلوم من الدين بالضرورة، وفي ما عدا ذلك فالمسلم في حِلٍ وسعة . ولعل من بين أبرز ما يميز الكتاب أنه يحاول أن يسهم في إعداد دعاة يتميزون بعقول ذكية واعية متحررة من الجمود والتعصب لهذه المدرسة الفقهية أو تلك، بما يؤكد صلاحية هذا الدين واستمراره وحاجة الناس إليه . وفقه الأحوال الشخصية بقسميه الزواج والطلاق وما يتعلق بهما من أمور في شريعتنا الإسلامية هو العلاج الناجح لمشاكل مجتمعاتنا، وكل تشريع يستمد من هذا النبع الأصيل يعتبر ركناً أساسياً لأسرة مستقرة سعيدة ..



الأخ / أمين تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم وبعد

فبين يدي العدد الرابع من«التواصل» وقد استغرقت في قراءته فلا أكاد أضعه جانبا لأمر ما حتى أعود إلى التقاطه، مستمتعاً ومستفيداً.

«التواصل» عمل ممتاز من كل جانب؛ مادة و موضوعات وتبويبا وإخراجاً وطباعة. باختصار: إنها عمل متميز شكلاً وموضوعاً. كما يقال، الأقلام المتمكنة الواعية، الموضوعات الجادة الجيدة الجديدة المتجددة، والرؤية الواضحة ، والأسلوب الهادئ الرصين، كلها تجعل من «التواصل» اسماً على مسمىً، وتجعلني أشعر بالاعتزاز أن يصدر مثل هذا العمل الرفيع المستوى عن (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية) بهذه الصورة المشرفة البديعة.

أهنئكم ورفاقكم بهذا التوفيق الذي لا يستغرب منكم جميعاً، شاكراً لكم جهدكم، وجهادكم، ومباركاً خطواتكم الرائعة .

ولكم المودة وخالص التقدير والاحترام. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. د. علي فهمي خشيم

أمين عام مجمع اللغة العربية / ليبيا

تحية طيبة وبعد،

تلقيت شاكراً نسخة من العدد الرابع لمجلة «التواصل» التي صدرت مؤخراً في طبعة فاخرة وأنيقة وجاءت حافلة بالمواضيع القيمة والهادفة التي تعالج وضعية حيويّة، لها مساس بواقع المسلم المعاصر.

وإني إذ أعرب لكم عن وافر مشاعر التقدير وأجزل الشكر لهذه المبادرة الطيبة أرجو لكم التوفيق والنجاح.

والسلام

بو بكر الأخزوري

وزير الشؤون الدينية / تونس

السادة / أسرة مجلة التواصل

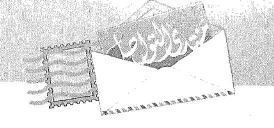
مصافحة حارة

تابعت باهتمام وبامتنان هذه المجلة (التواصل) التي أطمئن تماماً لوصفها بالرائعة . أثق كثيرا في قدرات القائمين على إدارتها وأتطلع إلى استمرارها .

مع الود العميق

محمود البوسيفي

أمين رابطة الصحفيين / ليبيا



الإخوة أسرة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية ...

تملكني شعور بالغبطة والسرور وأنا أتصفح العدد الثاني من مجلة «التواصل» وأيقنت أنه عندما تتوفر الإرادة يتحول الحلم إلى حقيقة، وزاد يقيني أن الجهود المخلصة والعزيمة الصادقة تستطيع صنع الإبداع والتألق، فجاءت التواصل عملا صحفيا متكاملا شكلا ومضموناً، ولا أكون مبالغا إن قلت فاق الواقع الخيال.

تهنئة حارة أزفها إلى كل من ساهم في هذا العمل الإعلامي الثقافي الرائع، وتمنياتي للجميع بالاستمرار والتواصل بإذن الله تعالى.

محمد الهادي / مالطا

الأخ أمين تحرير فصلية التواصل

بعد التحية ،،،

لقد كان من دواعي سروري أن تلقيت مطبوعتكم كهدية من صديق عزيز وكان العدد الثاني منها. ولم أتمكن للأسف من الحصول عن العدد الأول، ومع ذلك كانت سعادتي بها لا توصف.. اطلعت على موضوعاتها المتنوعة، وقد أشعرتني بجدية الطرح وقيمة الموضوعات والقضايا التي تهم عالمنا الإسلامي، وهو ما دفعني إلى الإقدام على المشاركة، وقد أرفقت مع رسالتي هذه موضوعا بعنوان (ركب حضارتنا.. المنطلق والمسار) آملاً أن ينال موافقتكم على النشر، شاكراً جهودكم الطيبة من أجل خلق صرح ثقافي نحن في أمس الحاجة إليه، في الوقت الذي ذهب فيه معظم الجهد في المطبوعات السيارة والمبتذلة.

وتفضلوا بقبول فائق تقديري واحترامي
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشاذلي خالد المهرك
مصراته/ ليبيا

الإخوة بمجلة التواصل

بعد التحية

لقد تصفحت العددين الذين استلمتهما من طريق البريد وهما العدد الثاني وموضوعه الرئيسي (المجامع الفقهية .. لماذا ؟ وإلى أين ؟) والعدد الثالث وموضوعه كما تعلمون (ملتقيات لتعارفوا) . سأعمل على مطالعة المواضيع القيمة التي تحتوي عليها هذه المجلة الممتازة. وإنني أعتقد بأن الكثير من المواضيع والدراسات التي تشملها هذه المطبوعة تمثل الأرضية التي يدور حولها النقاش الآن على الساحة الأوروبية ، حيث إن الأمور غالباً ما تطرح من جانب واحد ومن قبل أولئك الذين يدعون لنفسهم صفة الخبراء في القضايا الإسلامية ، لذا فنحن هنا في أمس الحاجة لإسماع آرائنا وآراء علمائنا وإطلاع الغرب عليه ، فالنقاش يتم من طرف واحد وهو غير متواز ولا متوازن ، لذا اقترح ترجمة بعض هذه الدراسات والتي تتعلق بالحوار والتعارف لكي نواجه بها الحملة الشرسة التي نتعرض لها نحن والإسلام بشكل عام .

أتمنى لكم التوفيق في مساعيكم الحميدة لإيصال صوت الحق ، وتبديد الكثير من المفاهيم الخاطئة التي ترسخت ليس فقط في عقول الغرب عنا بل وفي عقول الكثيرين من المسلمين والعرب الذين يستقون معلوماتهم من مصادر غير موثوق بها.

خليل صدقة
مدريد / أسبانيا

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة «التواصل»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد .. فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن أطالع باكورة «التواصل» التي ولدت ناضجة بفضل الله من رحم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وطالعت أهدافها وأفكارها فأسعدتني كثيراً، كما أسعدت كل قرائها على ما أعتقد.

أسأل الله عونكم على نجاح رسالة «التواصل».

وأتمنى أن تتاح لي فرصة قراءة التواصل دائماً، وثقتي أنكم لن تضنّوا عليّ بنسخة منها مستقبلا ولكم الشكر، وجزاكم الله خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عاطف شحاته زهران

موجه وعظ بالأزهر / المنوفية / مصر

الأخ / أمين تحرير مجلة التواصل ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

أهنئكم بصدور مجلة التواصل، وأرجو لها التوفيق في أداء رسالتها ، وقد أخبرني بصدور هذه المجلة أحد الزملاء الكرام، ولذلك أرجو التكرم بإرسال المجلة إليّ، وسأبعث لكم إن شاء الله ببعض الدراسات والمقالات ، وأعرّفكم أنني عشت في جامعة الفاتح أستاذاً في كلية الآداب أكثر من عشر سنوات .

أكرر لكم أطيب تحياتي وتمنياتي الطيبة لكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أ . د . محمد الدسوقي

القاهرة / مصر

تنويه

في الوقت الذي ترحب فيه أسرة تحرير مجلة التواصل بما يرد إليها من الإخوة الكتاب (مقالات، دراسات، بحوث ....) للنشر على صفحاتها؛ فإنها قد لاحظت أن بعض المواد والموضوعات التي تصلها ليست أصلية، فضلا عن أن بعضها أرسل إلى أكثر من مطبوعة. وعلى هذا فإن أسرة التحرير تعتذر عن عدم نشر تلك الموضوعات، وتفيد السادة الكتاب علماً بأنها لا تنشر إلا المواد التي تُكتب للتواصل خاصة (النسخة الأصلية) ويفضل أن تكون مطبوعة ومحفوظة على قرص مرن. لذا فإنّ أسرة التحرير غير ملزمة بإعادة المادة التي تتلقاها للنشر إلى أصحابها نُشرت أم لم تنشر.

وصفحات التواصل مفتوحة أمام كل الأقلام الجادة التي ترغب في الكتابة وفق معايير النشر الموجودة في كل عدد.

المحرر



حضارتنا الإسلامية بين النقل والإبداع!

أ. د. محمد بلاسي*

الأصالة قدر مشترك بين جميع الحضارات: فكل حضارة أبدعت ونقلت؛ كانت لها سمة تميّزها بين الحضارات العالمية. ولم توجد قطّ حضارة تفرّدت بالإبداع أو تفرّدت بالنقل أو خلت من السمة التي تميّزها بين سمات الحضارة.

إلا أن البدعة الحديثة التي نشأت حول الآريّة والساميّة قد جنحت بالأوروبيين منذ ظهرت فيهم إلى اختصاص الحضارة الإسلامية بالنقل دون الإبداع، وحبّبت إليهم أن يميّزوا عليها حضارات الأمم الآريّة - ولو كانت شرقيّة - بملكة الإبداع والتفكير الحر ولا سيما في المباحث النظرية التي يراد بها العلم للعلم ولا يراد بها العلم للتطبيق أو للانتفاع به في مرافق المعيشة؛ لأن تمييز الشرقيين الآريين ينتهي إلى تمييز العنصر الأوروبي في أصوله الأولى، وهي الدعوى التي يسوغ بها سيادته على أمم العالمين!

وقال منهم قائلون: إن حضارة العرب التي ظهرت بعد الإسلام كانت حضارة منقولة على أيدي الأعاجم الذين دخلوا الإسلام!

وأوّل ما يوجب التشكيك في هذه الدعوى أن نسأل: أين هي الحضارة التي أبدعت ولم تنقل؟ وأين هي الحضارة التي يقال عن جميع علمائها إنهم من عنصر محض خالص ينتمون إليه ولا يمتزج بالعناصر الأخرى؟!

والحقيقة التي لا يشوبها شك: إن كل حضارة مبدعة ناقلة، والحضارة الإسلامية ليست بدعاً في هذا المجال، وإنما اطّلعت على فكر السابقين من يونان وإغريق وهنود وفرس وغيرهم من الأمم، إلا أن هذه الحضارة تميّزت بهضم هذا التراث وأضافت إليه الكثير، فما من أمّة تستطيع استيعاب التراث العلمي لغيرها من الأمم التي تفوقها حضارة إلا إذا كانت قد وصلت إلى هذا المستوى من التراث... وقد كانت الأمّة الإسلامية جديرة بذلك في وقت قصير، ذلك أن مظلّة العلوم الفقهية وعلوم القرآن والسنّة قد أمدّتها بإشعاعات أسرعت في تكوين الفيتامينات للفكر العلمي الجديد..

أما عن الفرية القائلة إن الحضارة الإسلامية ظهرت على أيدي غير العرب، فنقول مجيبين عليهم: إن الإسلام لا يفرّق بين جنس وآخر، ما دام الجميع قد دخل تحت مظلته، والحضارة الإسلامية قد اشترك في تكوينها المسلمون من جميع الأجناس وكان للأمم الأعجمية - حقاً - قسط كبير في بناء صرحها في مختلف العلوم والدراسات، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن هذه الأمم الأعجمية لم تنهض هذه النهضة إلا بعد ظهور الإسلام فيها، ولم تكن لها في إبان مجدها القديم فضيلة على العنصر العربي في الدراسات النظرية التي يراد بها العلم للعلم ولا يُراد بها العلم للتطبيق أو للانتفاع به في مرافق المعيشة.

ومن الثابت أن ليس كل ما انتقل على أيدي الحضارة الإسلامية عربيّاً محضاً في الأصول والفروع، ولكن حسبها أنّه لم ينقطع على أيديها، فاتّصلت بفضلها وشائجه بالتاريخ القديم والحديث، فحفظت تراث الإنسانية كلّها وزادت عليه ونقلته إلى من تلاها. وكل حضارة صنعت ذلك فقد صنعت خير ما يطلب من الحضارات. كما ان ابتكارات الحضارة الإسلامية في شتّى مجالات المعرفة - مما لا يتطرّق الشك إليه - دليل على أن حضارة الإسلام مبدعة وليست ناقلة - فحسب - كما يزعم المغرضون الحاقدون!

---

* أكاديمي - عضو اتحاد كتاب مصر



من اصدارات

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

أوراق عن القدس

الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم

القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر